طبعة ثانية

فاضل الربيعي

حقيقة السبي البابلي

الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن



Jadawel جداول

الكتاب: حقيقة السبي البابلي.. الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن
المؤلف: فاضل الربيعي

جداول
للنشر والترجمة والتوزيع
الحمرا - شارع الكويت - بناية البركة - الطابق الأول
هاتف: 00961 1 746638 - فاكس: 00961 1 746637
ص.ب: 5558-13 شوران - بيروت - لبنان
e-mail: d.jadawel@gmail.com
www.jadawel.net

الطبعة الأولى: أيلول / سبتمبر 2011
الطبعة الثانية: آب / أغسطس 2013
ISBN 978-614-418-078-5

طبع في لبنان

Hamra Str. - Al-Baraka Bldg.
P.O.Box: 5558-13 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2011 Beirut
Second Published 2013 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج. ابراهيم

المحتويات

خلاصة تنفيذية

لم يحدث السبي البابلي في فلسطين قطُّ، ولم تعرف أرضها ولا تاريخها مثل هذا الحدث الضخم. وكل ما كُتب عن هذا الحدث في المؤلفات التاريخية الأجنبية والعربية، بوصفه واقعة جرت فوق أرض فلسطين، وضمن تاريخها القديم، هو من تلفيق القراءة الاستشراقية للتوراة، ويتكشّف عن كونه تزييفًا وتلاعبًا متعمدين بالتاريخ الحقيقي لفلسطين، إذ لا يوجد أي دليل مهما كان بسيطًا - أو يلمح مجرد تلميح - إلى أنه وقع هناك، أو أن اليهود وحدهم كانوا ضحاياه؟ هذا ما يثيره الكتاب ويجادل فيه.

لكن، أين وقع السبي البابلي؟ وما حقيقته؟ وبالطبع، **فنحن لا ننكر وقوع الحدث؛ بل ننكر صلته بفلسطين**. وما يمكن الجزم به اليوم في ضوء الكثير من الأدلة الأثرية والتاريخية التي أقدمها، أن التوراة التي استند إليها كتاب التاريخ من التيار التوراتي لتأكيد وقوع السبي، لا تشير البتة إلى المكان الذي وقع فيه. وفضلًا عن ذلك، فالتوراة في نصّها العبري، تجهل اسم فلسطين والفلسطينيين كليًّا، وكل ما يقال عن أنها أشارت إلى فلسطين والقدس العربية، هو محض خيال استشراقي سقيم. **إن المساهمة الجديدة** التي أتقدم بها في إطار محاولة **تصحيح تاريخ فلسطين القديم**، تستند إلى **منظورين**، يتمثَّل أحدهما في إعادة بناء الرواية عن السبي من خلال قراءة عربية دقيقة وعلمية للنقوش الآشورية، ويتمثل الآخر في إعادة بناء الرواية نفسها، استنادًا إلى المصادر الإخبارية العربية القديمة التي روت ما جرى،

ولكن بوصفه حادثًا هلعيًا وقع في اليمن والجزيرة العربية، واستهدف القبائل الوثنية والموحّدة على حد سواء، ولم يكن مقتصرًا على القبائل التي دانت بدين اليهودية. واليهودية بالنسبة لي، **دين عربي قديم من أديان قبائل العرب**، شأنه شأن المسيحية والإسلام، إذ لم يكن موسى النبي عليه السلام أميرًا دانماركيًا، وداود ليس ملكًا اسكتلنديًا. وبكل يقين، لم يكن سليمان النبي عليه السلام من نبلاء أوروبا. هؤلاء من أنبياء وأبطال العرب في طفولتهم البعيدة، ودينهم من أديان العرب، وكتابهم المقدس من الكتب السماوية التي أضفى عليها القرآن الكريم كل ما يلزم من التبجيل. ولأن اليهودية كما قال الإخباريون العرب القدماء، ظهرت في اليمن؛ فإن التوراة بكل تأكيد هي كتاب من كتب يهود اليمن، وما يدعى باللُّغة العبرية، ليس أكثر من لهجة يمنية منقرضة. لقد احتكر المخيال الاستشراقي الغربي (اليهودي التقليدي) رواية السبي البابلي، وقام بنسبتها دون وجه حق إلى تاريخ اليهود (الغربيين) وحدهم، كما قام بإلحاقها زورًا بالتاريخ الفلسطيني المُصادر والمُتلاعب به، وكأن هذا الحادث كان مصمَّمًا لاضطهاد جماعة بعينها؟ ومن الهامّ للغاية ملاحظة أن هذا الاحتكار كان منهجيًا ومنظمًا إلى حد بعيد، وأن أجيالًا متعاقبة من علماء الآثار والتاريخ، قامت بتسويق الرواية التوراتية عن السبي، باعتباره حدثًا يخص اليهود (الغربيين) وحدهم، بما أنهم ينتسبون إلى هذا الدين؟ وبات من اليسير في سياق هذا الاحتكار الممنهج، رؤية هيمنة استشراقية كليّة ومذهلة على السرد التاريخي للقصة وتفاصيلها، وبحيث أصبح من المتعذر على أي باحث أو عالم أو مؤرخ، التجرؤ على طرح أسئلة، يمكن أن تشكك مجرد تشكيك في درجة دقة وصحة هذا السرد من منظور الحقيقة العلمية. إن السيطرة على السرد، وفرض رواية وحيدة، يتمّ الترويج لها في المؤلفات التاريخية على أنها الرواية الصحيحة والوحيدة التي لا جدال حولها، قد يكون وراء إنشاء أرضية صلبة لفكرة «الحق الديني» في مشروع اغتصاب فلسطين. وهو أمر أدّى، فيما أدى إلى التسليم كليًا في

المؤلفات التاريخية، بأن حادث السبي البابلي وقع في فلسطين، وأن مرويات التوراة وقصصها وأشعارها الدينية هي جزء من تاريخ فلسطين القديم. كما جرى التسليم في سياق هذه الهيمنة على السرد، بأن هذا التاريخ ملكٌ لجماعات أوروبية وأميركية، تنتمي إلى الدين اليهودي. وهذا أمر يثير العجب. فهو يماثل، افتراضًا، خروج مسلم من أصل فلبيني، مثلًا، ليدعي أنه من قريش ومن نسل هاشم، وأن له الحق في أرض العرب ما دام مسلمًا. والحال هذه، يتوجب أن يقال له، أنت مسلم نعم. ولكنك فلبيني؟ وأنت يهودي غربي. نعم، ولكنك لست من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل قبيلة عربية بائدة. وكما أن الإسلام شيء وقريش شيء آخر، إذ ليس كل قرشيٍّ مسلم، وليس كل مسلم قرشيًّا، فاليهودية شيء وبنو إسرائيل شيء آخر. وبكل يقين، فليس اليهودي الغربي (الأميركي، الأوروبي) لمجرد أنه يهوديٌّ هو من بني إسرائيل، وليس كل من كان في الماضي السحيق من بني إسرائيل، هو يهودي بالانتساب. القبيلة شيء والدين شيء آخر. ولأن حادث السبي، التاريخي المؤكد والموثق، لا علاقة له بتاريخ فلسطين لا من قريب ولا من بعيد، كما أن الحملات الآشورية لم تستهدفها في أي وقت، والتوراة نفسها لا تقول بأية صورة من الصور، إن السبي حدث فوق أرضها، فقد توجب علينا إعادة بناء الرواية التاريخية عن هذا الحادث، بطريقة موضوعية تعيد وضعه في إطاره الجغرافي الصحيح. وهذا الكتاب، أخيرًا، هو تطوير لنظرية سبق لي وأن أثرتها في كتابي (فلسطين المتخيّلة)[1] وذلك باستخدام مادتين جديدتين، لم يتسنَّ لي آنذاك، حين أصدرت الكتاب، استخدامهما لسبب يتعلق بحجم الكتاب الضخم، وليس لأي سبب آخر.

الأولى، النقوش البابلية - الآشورية التي تركتها لنا تسع حملات متواصلة. وفي هذا السياق أرغب في التأكيد على أن هذه النقوش لا تشير

(1) فلسطين المتخيّلة، دار الفكر - دمشق 2009.

إلى خط سير يؤدي إلى فلسطين؛ بل إلى الجزيرة العربية واليمن، وهذا ما سنبرهن عليه تفصيليًا. أما الثانية، فهي مرويات الإخباريين العرب القدماء الذين ألحّوا في مؤلفاتهم على أن هذه الحملات، اتجهت بالفعل صوب الجزيرة واليمن وليس نحو فلسطين. وبالطبع، فليس هذا الكتاب إعادة إنتاج لكتاب سابق، لأن المعالجة التي أقدمها مختلفة بصورة جذرية، وهي تأخذ بنظر الاعتبار الفارق الجوهري بين المساهمتين، فالسابقة موجهة لأهل الاختصاص، فيما الجديدة موجهة لعموم القرّاء.

لكن، ما أهمية أن نثير مسألة الحقيقة حول السبي البابلي؟

هناك محوران رئيسان نرى أنهما يحدّدان إطار الصراع الدائر حول قصص التوراة، وما إذا كانت فلسطين مسرحها أم لا، وهما، فضلًا عن هذا الجانب الحيوي؛ يمكن لهما أن يضعا حدًّا فاصلًا ونهائيًا.

الأول:

كسر احتكار الرواية التوراتية السائدة والمهيمنة على السرد التاريخي عن السبي البابلي، بإعادة وضعه في إطاره الصحيح بوصفه حادثًا تاريخيًا مؤكدًا، تعرضت له القبائل العربية البائدة، ومن ضمنها قبيلة عربية تدعى بني إسرائيل، كانت تدين بدين اليهودية في اليمن. وهذه القبائل مجتمعة لا اليهود وحدهم، كانت ضحية أعمال اضطهاد مأسوية وقعت على أيدي الآشوريين.

وفي هذا السياق، فبمقدار نقدنا للقراءة الاستشراقية، قد يتعيّن علينا الاعتراف، بحقيقة أن بعض المصادر العربية والإسلامية المتأخرة، تستحقُّ نقدًا لاذعًا وحتى رفضًا تامًا لمنطوقها ومضمونها. إن بعض هذه المصادر كما سنرى، ودون أي علم حقيقي بالتاريخ، ودون معارف جغرافية رصينة كذلك، تشير مثلًا إلى أن البخت نصر (نبوخذ نصر) خرّب بيت المقدس في بلاد الشام، بينما هي تتحدث في الوقت ذاته عن الحملة كحدث وقع في

اليمن؟ وهذا خلط مريع للتاريخ والجغرافيا، كان من شأنه مع مرور الوقت، أن ساهم في خلق وعي مشوَّه عند العرب والمسلمين لتاريخهم. ومع ذلك؛ فإن أهمية السرديّات الإخبارية العربية القديمة، تكمن في أنها رسمت إطارًا صحيحًا للأحداث، بوصفها مواجهة عنيفة بين الإمبراطورية الآشورية والقبائل العربية المتمرِّدة، وهذا ما يتوافق كليًّا مع النقوش والسجلات.

لقد استخدم التوراتيّون طوال ما يزيد عن مائة عام، رواية السبي البابلي باعتبارها حدثًا يخص اليهود وحدهم، وأنه وقع في فلسطين، وهذان أمران لا صحة لهما على وجه الإطلاق، **فلا السبي البابلي استهدف اليهود وحدهم لأنهم يهود، ولا الحادث وقع في فلسطين** لأنها كانت متمردة على سلطة الآشوريين. والصحيح أن هذه الحملات استهدفت القبائل العربية العاربة في الجزيرة واليمن، لأنها كانت بسلوكها الاستقلالي وتقاليدها البطولية، تشكل تهديدًا حقيقيًّا يتعين التخلص منه أو إضعافه. وهذا ما تؤكده لنا النقوش المسجلة عن تسع حروب شنَّها الآشوريون، ضد القبائل التي كانت تهاجم حدود الإمبراطورية من التخوم الصحراوية، ولم يكن بنو إسرائيل آنذاك سوى قبيلة صغيرة من هذه القبائل البائدة.

الثاني:

إن الغرض من هذا الاحتكار المنهجي والمنظم للسرد التاريخي، ونسبته بالكامل **لتاريخ اليهود** وحدهم، كان وباستمرار، جزءًا من **استراتيجيات احتكار صورة الضحية** الفريدة والاستثنائية. وهو يذكرنا بالطريقة التي جرى فيها في القرن الماضي، **احتكار رواية الاضطهاد** الهتلري لشعوب أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، حين جرى تصوير الحرب وكأنها كانت محصورة في نطاق قضية حرق اليهود في أفران الغاز الهتلرية **(ما يعرف بالمحرقة)**. ومع أننا لا ننكر وقوع المحرقة ولا نشكك فيها، إلا أننا نرى أن

احتكارها، ونسيان حقيقة أن شعوب أوروبا دفعت الملايين من الضحايا (والاتحاد السوفيتي السابق خسر لوحده أكثر من 40 مليون إنسان سقطوا صرعى جرائم هتلر) إنما هو تلاعب مخزٍ بالحقيقة التاريخية. والحال هذه، فكما أن القبائل العربية الوثنية دفعت ثمنًا غاليًا في الحروب التي شنَّها الآشوريون، وهم أخذوا أسرى مثلهم مثل المتدينين (اليهود) فإن شعوب أوروبا كانت ضحية منسيّة في حرب مروِّعة لم يتبق من ذكراها، سوى الصور المحتكرة عن محرقة اليهود.

إن ما نقوم به اليوم، هو في صميم محاولات سابقة قمنا بها لتصحيح تاريخ فلسطين. وهذا التصحيح الذي يجب أن تواصله أجيال من العلماء والباحثين وكتاب التاريخ، سوف يؤدي لا إلى تصحيح تاريخ العرب وتخليصه من المزاعم الاستشراقية وحسب؛ بل وإلى تمزيق الرواية الزائفة والسائدة عن علاقة فلسطين بما يدعى أرض الميعاد اليهودي، أي إلى تحطيم كل وأي أساس قام عليه ما يسمى «الحق التاريخي».

لقد اقتطع علماء آثار وكتاب تاريخ - من المستشرقين والتوراتيين الأجانب والعرب على حد سواء - أرطالًا من اللحم الحيِّ من «جسد التاريخ» وقاموا بلصقها زورًا بتاريخ فلسطين واليهود، لكي تبدو فاجعة السبي البابلي مستمرة ومتواصلة ومتكررة، فالضحايا الذين سقطوا بالأمس البعيد، صرعى سيوف الآشوريين، هم أنفسهم الذين سقطوا بالأمس القريب، مرة أخرى صرعى رصاص هتلر وأفران الغاز البشعة. وفي رواية زائفة من هذا النوع، فليس للضحايا من العرب القدماء، وشعوب أوروبا المعاصرة لهم، سوى النسيان.

إن تصحيح التاريخ هو الطريق إلى العدالة.

فاضل الربيعي

دمشق 16/ 9/ 2010

الفصل الأول

بابليون في الجزيرة العربية وآشوريون في اليمن

حظيت حملة نبوخذ نصر - بختنصر[1] على اليمن وشمال الجزيرة العربية، باهتمام وعناية كثرة من الإخباريين العرب الكلاسيكيين. مثلًا الطبري[2] (سير الملوك) والمسعودي[3] (مروج الذهب) والنويري في (نهاية الأرب)[4] كما أن

---

(1) الطبري، تاريخ الملوك والرسل، دار المعارف، القاهرة 1963: 1/ 313. يرسم سائر الإخباريين العرب القدماء اسم نبوخد نصر في هذه الصورة، بينما ترسمه التوراة في صورة نبو - كد - ءصر وفي صورة نبو - كدر - ءصر. وهذا الاختلاف له صلة بالعادات الصوتية القديمة عند العرب وعند بني إسرائيل. وفي تاريخ الملوك والرسل، يُعطى نسب نبوخذ نصر على هذا النحو (بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ بن عابر. ونمروذ صاحب إبراهيم عليه السلام الذي حاجَّه في ربه أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعل، فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس).

(2) الطبري، تاريخ، 1/ 313، 316، 317، 318، 319، 320، 321.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان 1973 ص 152/ 2 وانظر النسخة الإلكترونية، موقع الوراق. htp\\:www. alwarraq. com مصدر مذكور في قائمة المراجع والمصادر.

(4) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان - 1424هـ - 2004م، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة (15/ 126). يقول النويري: =

الهَمْداني[1] (صفة جزيرة العرب) ألمح إليها عرَضًا في سياق ذكره لحديث ابن عباس (رض) عن حملة الملك الآشوري على الجزيرة العربية، فضلًا عن

= (قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر بختنصر أقوالًا مختلفة، فذكروا منها: أن بختنصر لما خرب بيت المقدس أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا فيه من التراب ما ملأه. قال: ولما انصرف إلى بابل اجتمع معه سبايا بيت المقدس من بني إسرائيل وغيرهم، فاختار منهم سبعين ألف صبي، فلما فرق الغنائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان، فقسمهم في الملوك منهم، فأصاب كل رجل منهم أربعة، وكان من أولئك الغلمة الذين سباهم، دانيال النبي وحنين ومنشايل، وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفاً من سبط بشر بن يعقوب. ثم غزا بختنصر العرب، وذلك في زمن معد بن عدنان. قال: وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة، ثم قام ابن له يقال له نمروذ ثم هلك، وملك مكانه ابن له يقال له بلتنصر، وذلك في زمن بهمن، فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش، وتقدم إليه بهمن أن يرفق ببني إسرائيل ويمكنهم من النزول حيث سألوا، أو الرجوع إلى أرضهم، وأن يولي عليهم من يختارونه، فاختاروا دانيال فولاه أمرهم. فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة).

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق العلامة محمد بن علي الأكوع، نشر سلسلة خزانة الأدب، دار الآفاق التابعة لدائرة الشؤون العامة بوزارة الثقافة العراقية، بغداد 1989، 1/ 24. يقول الهمداني:

[أما حديث عبدالله بن عباس في جزيرة العرب فإنه ما نقل لنا عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من وجه وعن معاوية بن عميرة بن مخوس الكندي أنه سمع عبدالله بن عباس بن عبد المطلب وسأله رجل عن ولد نزار بن معد قال: هم أربعة مضر وربيعة وإياد وأنمار، فكثر أولاد معد بن عدنان بن أدد ونموا وتلاحقوا ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة وانتشروا فيما يليهم من البلاد وتنافسوا في المنازل والمحالّ، وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لإخراب بخت نصر أيها وإجلاء أهلها إلا من كان اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها أحد متنكبًا لمسالك جنوده ومستنّ خيوله فارًّا إليها منهم، فاقتسموا الغور غور تهامة بينهم على سبعة أقسام لكل قسم ما يليه من ظواهر الحجاز ونجد وتهائم اليمن لمنازلهم ومجالهم ومسارح أنعامهم ومواشيهم، وبلاد العرب كلها يومئذ على خمسة أقسام.

مرويات نشوان بن سعيد الحميري[1] (نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب) وابن حبيب[2] (المحبّر) وسواهم. لقد سردت روايات هؤلاء، قصص وأخبار حملات نبوخذ نصر بشكل خاص واستثنائي، ومن دون الإشارة إلى حملات ملوك الإمبراطورية الآشورية الآخرين[3]، ممن قاموا خلال حقب وفترات

(1) نشوان بن سعيد الحميري الأندلسي، نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة دار الأقصى، عمان - الأردن 1982، والنصوص التي يستخدمها الكتاب مأخوذة عن نسخة إلكترونية، مصدر مذكور في قائمة المراجع والمصادر.

(2) ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب: المحبر، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 2009 اعتنى بتصحيحه إيلزه ليختن شتيتر ص 2.

(3) باستثناء الطبري (تاريخ الملوك والرسل: 1/ 313) لم يقدم الإخباريون العرب القدماء روايات متماسكة عن الحملات الأخرى التي قام بها ستحاريب وتجلات بلاسر الثالث. ولكن الطبري وهو يروي أخبار حملة سنحاريب يقدم تفاصيل أسطورية مدهشة عن حملة فاشلة قام بها وانتهت بانتصار صدقيا ملك بني إسرائيل عليه. والمثير في رواية الطبري هذه، أن صدقيا تمكن من مطاردة سنحاريب واعتقاله هو ونبوخذ نصر، فسجنهما ثم أطلق سراحهما بعد أن تابا إلى الله. وهذا ما لا دليل عليه ولا يؤيده التاريخ. ومن المؤكد أن هذه الرواية تخلط بين حملة سنحاريب وحملة نبوخذ نصر. كما أنها تقوم بخلط الوقائع التاريخية، فالحملة قام بها أسرحدون، وهي توقفت بسبب وصول نبأ اغتيال والده سنحاريب أثناء عودته من حملة لتأديب قبائل عربية متمرّدة، وذلك ما اضطرّه إلى سحب جيوشه والعودة إلى بابل، ولم يكن ذلك بسبب انتصار صدقيا - صدقية. يقول الطبري: (إن ملكًا منهم كان يدعى صدقية - صدقيا - بعث الله معه شعيا - أشعيا - بن أمصيا وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى. وشعيا - أشعيا هذا هو - الذي بشر بعيسى ومحمد. فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زمانًا. فلما انقضى ملكه وعظمت فيهم الأحداث وشعيا معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية، فأقبل سائرًا حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض في ساقه قرحة، فجاءه النبي شعيا فقال له يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك فقال، يا نبي الله هل أتاك وحي من الله، فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده؟ فبينما هم على ذلك=

مختلفة، بحملات مماثلة استهدفت إخضاع وتأديب القبائل العربية المتمردة على الإمبراطورية شمال وجنوب الحجاز، ولكن فقط بوصفها حملة عسكرية واحدة وقعت في مكان وعصر واحد، برغم أن السجلات الآشورية تتحدث عن حروب ومعارك وحملات جرت في فترات وأماكن مختلفة.

يدعى نبوخذ نصر في الموارد الإخبارية العربية الكلاسيكية البخت نصر، وبخت نصر - دون أداة تعريف في الاسم الأول -. وُيرسم اسمه على جري عادات رسم قديمة في صورة بختنصّر (بدمج التاء الأخيرة مع الحرف الأول من اسم نصر مثل معليكرب في معدي - كرب وملكيكرب في ملك يكرب، ومثل ملكيصدق في ملك - يصدق). وهذا الأسلوب في الكتابة العربية

= أوحى الله إلى شعيا النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته، فأتى النبي شعيا ملك بني إسرائيل صدقية - صدقيا - فقال له، إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك توصي وصيتك وتستخلف من شئت على الملك من أهل بيتك، فإنك ميت. فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخرَّ ساجدًا وقال يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت. أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة. أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين. أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي. فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا، أن قل للملك صدقية فيأمر عبدًا من عبيده، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برئ، ففعل ذلك فشفي وقال الملك لشعيا النبي، سل ربك أن يجعل لنا علمًا بما هو صانع بعدونا هذا، فقال الله لشعيا النبي، قل له إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه، فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا. فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خر ساجدًا من حين طلعت الشمس حتى كان العصر. ثم قال لسنحاريب كيف ترى فعل ربنا بكم).

القديمة، مصدره الأبجدية الآرامية التي طورت أسلوب رسم الكلمة عند الكنعانيين من كتابة منفصلة، إلى كتابة متصلة الحروف. ولكن اسم نبوخذ نصر يكتب في العبرية في صورتين متقاربتين، نبو - كدر - ء - صر נבוכדר-אצר[1] ونبو - كد - ءصر נבו-כד-אצר وتصوّر حملته العسكرية المدوّية، كأكبر حملة استهدفت القبائل العربية العاربة التي تمردت على سلطة الإمبراطورية. وليس ثمة أي إشارة مهما كانت عابرة في هذه المؤلفات إلى أن الحملة كانت موجهة ضد يهود فلسطين، برغم أن بعضها يخلط بين مسرحين للحدث التاريخي، فتارة نجدها تتحدث عن حملة استهدفت الجزيرة العربية واليمن، وتارة يجري الحديث عن حملة استهدفت بلاد الشام. وهذا يعني أن الإخباريين العرب خلطوا بين مكانين (مسرحين) للحدث. وهذا واضح عند معالجة نصوص هؤلاء، فهم يتحدثون عن السبي البابلي بوصفه حدثًا وقع في الجزيرة وضد أهل حضور في اليمن في آنٍ واحد. وفي التوراة يرسم الاسم في صورة حصور بالصاد المهملة، حيث تقول النصوص التوراتية، إن الحملة دارت في هذا الوادي، وإن البخت نصر دمر أورشليم. بينما تقول روايات الإخباريين العرب إنه دمر بيت المقدس هناك، وفي الآن ذاته يشيرون إلى أن سبب الحملة، كان ثأرًا لدم يوحنا المعمدان الذي قتل في بلاد الشام، وهذا ما لا أساس له في التاريخ المكتوب. إن اهتمام الروايات الكلاسيكية بأنباء هذه الحملة، يتلازم في الكثير من المؤلفات، مع

---

(1) التوراة، النص العبري תורה נביאים כתובים בעברית ואנגלית إرميا - النص العبري -. الإصحاح 46-45/ 4-46-10.

تورة - نبئيم - كتوبيم - بعبريت - وءنكليت.

THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW.

SCRIPTURES Rectory Lane. Edgwarte. Middles H A87LF ENGLAND U. K.

اهتمام خاص برواية أسباب هجرات القبائل وانتقالها من وطن إلى آخر. ونظرًا لوجود طرائق سردية تقليدية تدمج بين ما هو أسطوري وما هو تاريخي، فقد بدت روايات هؤلاء، قليلة الأهمية بالنسبة لكثير من علماء الآثار والتاريخ. بيد أن مدوناتهم، قامت مع ذلك وعلى أكمل وجه بتفسير بعض الظاهرات الاجتماعية والثقافية التي تخصّ تاريخ العرب القديم، بأكثر مما قامت بتقديم روايات تاريخية صافية ومتكاملة أو متناسقة عن الأحداث. إن هذا الاهتمام الذي نجد تعبيره الدقيق في بعض الأخبار التي دوّنها هؤلاء عن خط مسار الحملة، يمكن له أن ينسف من الأساس كل الفكرة الاستشراقية الرائجة عن وقوع السبي البابلي في فلسطين. وقد ورد في كتاب المحبّر لمحمد بن حبيب البغدادي[1] الذي يعتمد الطبري كليًّا على روايته، ما يلي:

> إن بخت نصر أمرَ بغزو أهل حضور[2] وأهل باعربايا[3] الذين لا أغلاق لأبوابهم[4]، فسار نحوهم واستعرض العرب بالسيف حتى انتهى إلى حضور. وكان الذي أمر

---

(1) المحبّر: 6، وابن حبيب هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو أبو جعفر البغدادي، ولد في بغداد ومات في سامراء 245 هجرية - 860 ميلادية.

(2) انظر حضور عند الهمداني (صفة جزيرة العرب: 122 - 123 - 157 - 158 - 210 - 211 - 212 - 213 - 216 - 226 - 238 - 239 - 310 - 366) مصدر مذكور.

(3) يشير الهمداني إلى التلازم بين أهل حضور وأهل عربايا. وهو يرسم الاسم الأخير في الصورة ذاتها: عربايا - انظر عربايا عند الهمداني 210.

(4) اللذين لا أغلاق لبيوتهم عبارة وردت في التوراة في وصف الأعراب الذين هاجمهم نبوخذ نصر. النص العربي من سفر إرميا: 26: 49: 36.
قوموا اصعدوا على أمة.
مطمئنة ساكنة في أمان، يقول الرّب.
لا أغلاق لأبوابها.

بخت نصر بغزوهم وقتلهم، فيما ذكر والله أعلم، أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى ابراخيا بن احنيا بن زربايل بن شائيل، وهو من ولد يهوذا بن يعقوب بأمره، أن يأمر بخت نصر بغزو الذين ذكرنا. فسار حتى انتهى إلى أرض اليمن إلى موضع منها يقال له حضور.

وكان يسكنها بنو إسماعيل بن إبراهيم، وهم قدمان، ورعويل، ويامن[1]، وهم أصحاب الرسّ الذين قتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان، فبيَّتهم بخت نصر وهم لا يعلمون، فجعل يقتلهم. فخرجوا هاربين. ففيهم نزل، والله أعلم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[2] إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[3]. فحصدتهم سيوف بخت نصر. وقد كان الله عزّ وجلّ وهو أعلم، أمر ارميا بن حلقيا، وكان نبي بني إسرائيل أن يأتي مكة فيخرج منها معد بن عدنان، فأخرجه وهو شاب فأتى به الشام. حتى إذا أقلع بخت نصر عن العرب رده إلى مكة، وأرض العرب خاوية. فولد لمعد بها أولاد. فلما كثروا اقتسموا تهامة أسباعًا لكل قوم سبع. فلما كثروا تضايقوا وتنافسوا ووقعت

---

(1) لاحظ كيف أن الإخباريين القدماء، كانوا يرسمون اسم يامن - يمن في صورته العربية دون تصويت، وليس في صورة بنيامين كما في الطبعة العربية من التوراة. إن جعل يامن ابنًا لإسماعيل كما في هذا النص وسواه من النصوص، يؤكد بالنسبة لهؤلاء جذوره العربية القديمة.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 12.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 15.

بينهم الحروب وانتشروا يطلبون المراعي والاتساع.
فظهروا عن تهامة إلى النجود.

من الواضح أن هذا النصّ الذي كُتب في حدود 850 ميلادية، يشير دون أدنى لبس إلى وجود قناعة تاريخية كانت سائدة عند العرب والمسلمين القدماء، مفادها أن حادث السبي البابلي وقع في اليمن واستهدف مخلاف حضور - حصور وليس في فلسطين، وأن شمال الجزيرة، أي الحجاز شهد جزءًا من الصراع الذي دار هناك بين القبائل العربية الوثنية، والآشوريين الوثنيين على خلفية الطاعة للإمبراطورية والالتزام بالمعاهدات المبرمة. ولأن كاتب هذا النص مؤرخ علامة وفقيه ولغوي شهير، اعتمد الطبري كليًّا على مدوناته؛ فإن توظيفه في سياق محاولاتنا لفهم طبيعة السبي البابلي تصبح مبررة. بيد أن هذا النص لوحده، وبالطريقة التقليدية التي يعرض فيها للواقعة، ليس دليلًا كافيًا أو قاطعًا بحدِّ ذاته، للبرهنة على أن حادث السبي لم يقع في فلسطين. إن العودة إلى السجلات الآشورية والبابلية والمصرية، ومقاربتها مع هذا النص وسواه من النصوص المماثلة، هو الذي يمكن له وحده أن يؤسس لمنظور جديد للتاريخ في المنطقة. ولنلاحظ أنّا كلًّا من ابن حبيب والطبري يسجلان الأخبار المتعلقة بالحدث دون حرج، بوصفه حدثًا وقع في اليمن؟ (انظر الصورة رقم 1، مشهد القبائل البدوية الأسيرة) ولذلك، فكل ما يرد في هذا الكتاب من إشارة إلى بيت المقدس ارتباطًا بحادث السبي البابلي عند الإخباريين، إنما هو تعبير ديني قديم استخدمه العرب للدلالة على اسم أورشليم القديمة. وورد في كتاب (التيجان)[1] لوهب بن منبه ما يلي:

(1) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء 1979، ص: 179.

فولي اليمن رحبعم بن سليمان سنةً، فأتاه رسول من بني إسرائيل من بيت المقدس، فقالوا: إن أهل الشام ارتدوا بعد سليمان عن دين الله فاجتمعت إليه حمير.

يفهم من نص ابن منبه، أن سليمان وابنه من بعده رحبعم - رحب عم[1]، كانا يحكمان اليمن وليس فلسطين، وأن بعض القبائل العربية اليهودية المهاجرة إلى بلاد الشام، ارتدّت عن الدين بعد وفاة النبي - الملك سليمان. وهذا حقيقي، لأن الانقسام السياسي الذي شهدته مملكة بني إسرائيل، أدى إلى شقاق ديني تبلور فيما بعد في صورة مملكتين متنافستين. وكان من الطبيعي في ظل هذا الانقسام، أن تتأثر القبائل العربية اليهودية المهاجرة إلى بلاد الشام، بالتداعيات والنتائج الناجمة عنه، وخصوصًا في عصر رحبعم - رحب - عم. ولكن القراءة الاستشراقية التعسفية للتاريخ، قامت دون أي دليل بوضع مملكة يهوذا في شمال فلسطين، ومملكة إسرائيل في جنوبها، ليتطابق هذا المسرح الافتراضي للأحداث مع جغرافية فلسطين، وتصبح الضفة الغربية المحتلة هي مملكة يهوذا، بينما تصبح مناطق 1948

(1) نشوان: نشوة الطرب (فصل ملوك اليمن): وأبوه سليمان النبي عليه السلام.. ذكر صاحب التيجان أنه لما مات سليمان ملك اليمن رحبعم المذكور، فأقام بها سنة، فأتته رسل بني إسرائيل من الشام يخبرونه أن أهل الشام ارتدوا من بعد سليمان عن دين الله وطاعة بني إسرائيل، فسار نحو الشام حتى بلغ أنطاكية، فقتله أهلها، وقتلوا من كان معه من المؤمنين. وبلغ ذلك بلقيس باليمن وقد أخذ منها الهرم، فلم يكن لها طاقة بطلب الثأر من الأرض البعيدة ولا تتبع الثوار، وتغلب كل أحد على ما تحت يده. وذكر صاحب تواريخ الأمم أن بلقيس بنت سد العرم على ما تزعم حمير، وخالفهم الجمهور في ذلك، وقالوا: إن بانيه لقمان بن عاد، ولكن رممته بلقيس. وذكر صاحب المنتظم أنها بلقيس بنت ذي شرح بن الحارث بن بلقيس بن صيفي بن سبأ، ملكت بعد أبيها لمعرفتها بسياسة الملك، وكانت بمأرب، وكان ملكها تسع سنين، وذكر أن ذلك كان على عهد أفريدون ملك الفرس.

(أي عكا وحيفا ويافا والجليل وسواها) مملكة بني إسرائيل؟ بيد أننا، إذا ما وضعنا هاتين المملكتين في اليمن، بحسب روايات **الطبري وابن حبيب وابن منبه**، فإن تصورات المستشرقين تصبح في هذه الحالة، نوعًا من تلاعب مكشوف بالجغرافيا. ولذلك يجب أن تكون يهوذا (قوم هود في القرآن الكريم) في الشمال وليس في الجنوب. أي إن علينا أن نقلب تصورات علماء التيار التوراتي رأسًا على عقب. لقد تمت **رواية تاريخنا - وتاريخ فلسطين بشكل خاص - بصوت الآخر** (المستشرق) وليس بصوتنا نحن. وقد **آن الأوان لأن نروي التاريخ نفسه، ولكن بصوتنا**. ومن الهام للغاية، ملاحظة أن هذا النص وسواه من النصوص الإخبارية التي دأبت على وضع الحملة داخل المسرح الجغرافي اليمني، كان ولوقتٍ طويل مقبولًا ومعتمدًا في عصر ما قبل الإسلام، كأساس تاريخي صحيح لرواية حادث السبي البابلي، ولم يكن ليثير أدنى تحفظ أو اعتراض عند عرب الجاهلية ومطلع الإسلام. لقد كانوا يستذكرون الحادث، ويتداولون أخبار الحملات الآشورية الأخرى في سياق روايتهم لتاريخهم القديم، وفقط بوصفه جزءًا حقيقيًا من التاريخ الشفهي الذي روته القبائل. ولنلاحظ، أن نصَّي **ابن حبيب والطبري** يتحدثان عن **إرميا في مكة** وليس في فلسطين (أمر إرميا بن حلقيا وكان نبي بني إسرائيل أن يأتي مكة وأرض العرب خاوية فيخرج منها معد)؟ والحقيقة، أن المعارك بين بني إسرائيل وقبائل الحجاز، ليست من نسج خيال هؤلاء الرواة، لأنهم يتحدثون عن بني إسرائيل بوصفهم قبيلة عربية بائدة كانت تقيم في اليمن، وأن الصراع معها كان جزءًا من صراع ديني ضد الوثنية، وأن بعض القبائل نتيجة تكاثرها، انزاحت صوب تهامة. كما أن بعض قبائل معدّ العدنانية انزاحت صوب بلاد الشام نتيجة التنافس على المراعي الخصبة، لكن بعضها سرعان ما عاد إلى موطنه القديم في مكة إثر انتهاء الحملة العسكرية. يروي الطبري الرواية التالية التي يؤكد فيها أن إرميا النبي كان في نجران وأنه

عاش هناك كنبيٍّ عربيٍّ لا صلة له بفلسطين مثله مثل برخيا حفيد زربابل:

حدثت عن هشام بن محمد قال، كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلًا فيما ذكر لنا والله أعلم، أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا بن أحنيا بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا، أن ائتِ بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم. وأعلِمْهُ كفرهم بي واتخاذهم الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي. قال، فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل وهو نبوخذ نصر فعربته العرب. وأخبره بما أوحى الله إليه وقصَّ عليه ما أمره به، وذلك في زمان معدّ بن عدنان. قال، فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يُقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها، فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيرًا على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسًا وحفَظةً ثم نادى في الناس بالغزو[1].

استنادًا إلى هذه الرواية؛ فإن نبوخذ نصر اتَّجه إلى الجزيرة العربية، مستعينًا بكتائب من الفرسان والمقاتلين العرب، شكلها من جماعات قبلية كانت تقيم في غرب ووسط العراق القديم، ومن التجار الذين كانوا يتاجرون مع بابل. لقد أرغم العاهل الآشوري ضيوفه من التجار والزائرين على المشاركة في الغزو، لحاجته إليهم كأدلّاء ومساعدين. والمثير للاهتمام في

(1) الطبري: 1: 327.

روايات سائر الإخباريين، إلحاحهم على فكرة أن برخيا بن أحنيا بن زربابل، هو من أنبياء اليهودية، وأنه تلقى الوحي من السماء بتحريض نبوخذ نصر على الغزو؟ وهذا ما لا دليل عليه في التاريخ، لأن حفيد زربابل هذا، لم يكن له وجود في هذا العصر. ونحن نعلم من التاريخ أن زربابل الجد، فاوض قورش الفارسي بعد سقوط بابل في يده عام539 ق.م على العودة من الأسر، أي بعد موت نبوخذ نصر بما يقرب من مائة عام؟

بيد أن هذه الروايات مع ذلك، تشير إلى أن أسباب التحريض فالغزو، تتصل بحدوث أعمال قتل طالت الأنبياء. والأهم من هذا، أنها تؤكد وقوع معارك ضارية بين قبائل العرب، ومن بينها قبيلة علّك بقيادة الشخصية الأسطورية معدّ بن عدنان - أي المُضريين - وبين الآشوريين، وأن الطرفين عقدًا في النهاية صلحًا. وهذه برأينا أهم إشارة تاريخية إلى الطابع الشامل للغزو. كما أن أهمية هذه الرواية، تتأتى من كونها أول تأكيد صريح بوقوع معارك بين الآشوريين والعدنانيين (المُضريين). وهو ما يدعم حقيقة أن كلمة مصريم الواردة في التوراة، تنصرف إلى المُضريين - العدنانيين - لا المصريين. وهذا ما سنراه بدقة حين نقوم بتحليل الكلمة في ضوء النقوش. يضيف الطبري:

> وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين، فإنه ذكر أن معدّ بن عدنان لما ولد ابتدأ بنو إسرائيل بأنبيائهم، فقتلوهم، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء. وعدا أهل الرسّ على نبيهم فقتلوه وعدا أهل حضور على نبيهم فقتلوه، فلما اجترؤوا على أنبياء الله، أذن الله فبعث بختنصر على بني إسرائيل. فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفًا فأوردهم أرض بابل، أري فيما يرى النائم أن يدخل بلاد

العرب فلا يستحيي فيها إنسيًّا ولا بهيمة وأن ينتسف ذلك نسفًا حتى لا يبقي لهم أثرًا. فنظم بختنصر ما بين إيلة والأبلة خيلًا ورَجْلًا ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح أتوا عليه وقدروا عليه[1].

وكما يلاحظ؛ فإن الطبري الذي يحدثنا عن حملة حربية آشورية على اليمن وأهل حضور (أهم مخاليف - ممالك اليمن القديمة وأكبرها) يؤكد لنا أنه دمر المسجد الأقصى (وهو يقصد بيت المقدس أي أورشليم القديمة). وبذلك، يقوم الطبري بدمج مثير لثلاثة عصور. فالمسجد الأقصى لم يعرفه العرب بهذا الاسم إلا في عصر الإسلام، عندما نزلت الآية الكريمة (الإسراء) وليس قبل هذا الوقت. أما بيت المقدس فقد عرفه العرب منذ عصر الجاهلية بوصفه بيت عبادة توحيدية، بينما عرفوا أورشليم من بقايا ذكرياتهم عن السبي البابلي. وإلّا فكيف لمؤرخ رصين مثل الطبري، أن يسمي أورشليم التي دمرها نبوخذ نصر، باسم المسجد الأقصى لو لم يكن يقصد به أورشليم؟ هذا الدمج المثير للعصور والأمكنة، أدى في ما أدى إلى خلط في الجغرافيا. ثم يضيف الطبري في روايته:

وإن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله قد أنذر قومكما فلم ينتهوا، فعادوا بعد الملك عبيدًا وبعد نعيم العيش عالةً يسألون الناس. وقد تقدمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوا إلّا لحاجة، وقد سلطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم. فعليكما بمعدّ بن عدنان الذي من ولده محمد الذي أخرجه في آخر الزمان أختم به النبوة، وأرفع به من الضّعة. فخرجا تطوى لهما الأرض حتى

(1) الطبري، 1/ 316، 317، 318، 319، 320، 321، 324.

سبقا بختنصر فلقيا عدنان قد تلقاهما، فطوياه إلى معدّ.

ولمعدّ يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله برخيا على البراق وردفه خلفه فانتهيا إلى حران من ساعتهما، وطويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق[1]. فهزم بختنصر عدنان وسار في بلاد العرب حتى قدم إلى حضور. واتبع عدنان فانتهى بختنصر إليها وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار عربة[2] إلى حضور، فخندق الفريقان وضرب بختنصر كمينًا وذلك أول كمين كان فيما زعم. ثم نادى منادٍ من جوّ السماء يا لثارات الأنبياء، فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم فنادوا بالويل. ونهي عدنان عن بختنصر، ونهي بختنصر عن عدنان، وافترق من لم يشهد حضور ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين، فرقة أخذت إلى ريسوب[3] (ريسوت) وعليهم عك، وفرقة قصدت لوبار[4] (وبار) وفرقة - إلى - حضر العرب[5]

---

(1) موضع في الجزيرة العربية ما بين مكة والمدينة، وصفه الهمداني ص 285 صفة – المصدر السابق.

(2) عربة عند الطبري، وفي التوراة – ها – عربه הערבה (مثلًا הערבה יושע يوشع 16 : 3). ويقصد بعربة وادي العرب وهو أشهر وديان اليمن وأكثرها خصوبة.

(3) في الأصل ريسوب وهذا تصحيف، والصحيح ريسوت وهي من مدن الساحل اليمني وسوف نشير إليها في فصول لاحقة، وهذا برأينا تأكيد هام للغاية من الطبري أن خط سير الحملة كان يتجه نحو الساحل.

(4) في الأصل لوبار والصحيح وبار وهي من مدن الصحراء.

(5) حضر وادٍ شهير من وديان اليمن يتصل بوادي العرب، ورد ذكره في التوراة في صورة حصر - بالصاد المهملة دون تصويت - חצר وسنأتي على ذكره في موضعه.

يُفهم من هذا النص أن المُضريين - العدنانيين، بقيادة الملك الأسطوري معدّ بن عدنان، اصطدموا بالآشوريين في عمق الجزيرة العربية واليمن، وأنهم كانوا سوية مع بني إسرائيل في مواجهة قوة إمبراطورية غاشمة، ولكنهم بعد معارك طاحنة توصلوا إلى اتفاقية صلح مع الآشوريين، وبحيث إن فرقة منهم اتجهت إلى الساحل (ساحل كنانة حيث موضع ريسوت اليمنية) وفرقة باتجاه حضور الوادي، وأخرى نحو البادية (وبار) وأخرى أخذت طريقها صوب وادي العرب وحضر، وهو وادٍ معروف من أودية اليمن، تصبُّ مياهه في وادي العرب. والسؤال المنطقي التالي يستحق وقفة تأمل: لماذا يزعم إخباري وفقيه مسلم وعلامة في التاريخ مثل ابن عباس أو ابن حبيب أو الطبري أو ابن دريد أو الحميري أو سواهم، أن نبوخذ نصر قام بغزو الجزيرة العربية وخرّب بيت المقدس في اليمن؟ هل كانوا - حاشاهم - يكذبون؟ أم أنهم نقلوا لنا جزءًا منسيًا من الأحداث التي اختزنتها الذاكرة التاريخية للعرب، ويتعلق بوصف جغرافية الحملات الآشورية؟ ولماذا يزعم ابن حبيب أن إرميا النبي كان في مكة؟ ولماذا لم يقل أي واحد من هؤلاء، إنه كان في فلسطين كما يزعم الاستشراقيون في مؤلفاتهم - ويردد المؤرخون العرب الكثير مما يقال فيها من معلومات خاطئة - ؟ هذا الخلط المريع للوقائع والعصور والجغرافيات، يضعف من القيمة التاريخية للروايات، ولكنه ليس كافيًا كسبب جرهري لرفضها أو التعامل معها باستخفاف، والأجدى أن نقوم بتفكيك هذا الخلط وإعادة تركيب الرواية التاريخية، بفصل ما هو أسطوري عنها، ولكن من دون إهمال قيمته وأهميته، فالأساطير تروي الجزء المسكوت عنه من التاريخ. وفي هذا الإطار يروي نشوان بن سعيد الحميري (نشوة الطرب)[1] استنادًا إلى الطبري وابن حبيب وآخرين، الرواية التالية

---

(1) نشوان، نشوة الطرب، فصل ملوك اليمن.

التي تؤكد أن السبي البابلي استهدف بني إسرائيل والعرب على حد سواء، وأنه وقع في اليمن وليس في فلسطين.

وكان معدّ بن عدنان حينئذ صغيرًا. قال البيهقي: فاختفى من طوائف العرب في غار، وكان له من يتفقده فيه بما يعيش به، إلى أن بعث الله له بختنصر فخلَّصه. قال الطبري: كان معدّ في زمان بختنصر ابن اثنتي عشرة سنة. وإن الله أوحى إلى إرميا أن اذهب إلى بختنصر فمُرْه أن يهلك العرب، ويحمل معدًّا على البراق إلى الشام. قال السهيلي: «فنشأ معدّ مع بني إسرائيل، ومن ثم وقع في كتب الإسرائيليين نسب معدّ». وكان بختنصر حينئذ قد سلطه الله على بني إسرائيل وعلى العرب، على ما تقدم في التاريخ، وذلك قبل أن يولد المسيح ﵇. وكانت العرب حينئذ قد طغت فقتلت بأرض اليمن حنظلة ابن صفوان النبي ﵇، وقتلت بحضور من أرض الحجاز شعيب بن ذي مهدم.

قال صاحب الروض الأنف «وكان رجوع معدّ بن عدنان إلى الحجاز مدة رفع الله بأسه عن العرب، ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهق[1] إلى مواطنهم بعد أن دوخ بختنصر بلادهم، وخرب المعمور، واستأصل أهل حضور».

إن الخلط الذي تقع فيه سائر هذه الروايات، يكاد يتمركز في المسألة المتعلقة ببيت المقدس، ففي حين تُروى بقية أخبار الحملة على أنها وقعت

(1) أي أنهم اعتصموا في الجبال.

في اليمن، فإنها تعود إلى تذكير القارئ ببلاد الشام، وبحيث تصبح المعارك وكأنها تدور هناك. ويبدو أن المسلمين وهم يعتمدون بيت المقدس قبلة لصلاتهم، بديلًا من الكعبة التي كانت يومئذٍ وثنية، ويرفعون من شأن المسجد الأقصى، ويمجدون مكانته الروحية، ويؤلفون القصص عن قداسة الصخرة المباركة، قد تجاهلوا أو قللوا من أهمية وخطورة الدمج بين الوقائع التاريخية والجغرافية في مؤلفاتهم ومروياتهم. لكن هذه النصوص، وعند النقل والتداول من جانب الإخباريين المسلمين في وقت مبكر من الإسلام، وربما مع صعود دور المسجد الأقصى في حياة الجماعة الإسلامية الأولى كقبلة بديلة من الكعبة الوثنية، واجهت معضلة غير قابلة للحل، فقد برز إلى واجهة الأحداث الدينية اسم بيت المقدس في بلاد الشام. والأمر المؤكد أن المسلمين الأوائل كانوا يستخدمون الاسم الروماني إيلياء في وصف فلسطين، نظرًا لأن هذه التسمية كانت شائعة ومتداولة، ثبتها التقسيم الإداري الروماني لبلاد الشام. وفي العهدة العمرية ثمة تأكيد على أن المسلمين استخدموا الاسم الروماني إيلياء، ولم يسجلوا اسم القدس في مؤلفاتهم ومروياتهم إلَّا بصورة نادرة وفي وقت متأخر. ولذا حدث خلط بين المسجد الأقصى وبيت المقدس وإيلياء وأورشليم. إن نصّ العهدة العمرية الموجود اليوم في أرشيف كنيسة القيامة بالقدس الشريف، يؤكد بشكل قاطع أن العرب والمسلمين استخدموا الاسم الروماني إيلياء. والعهدة هذه هي الوثيقة التي وقعها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مع مسيحيي أهل فلسطين. يقول النص[1]:

(1) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - عمان، دار الجيل 1973، مصدر مذكور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم **وألّا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.**

لقد ذكر كثرة من المؤلفين المسلمين في مؤلفاتهم، وبعد وقت طويل من فتوحات بلاد الشام، اسم **بيت المقدس** وهم يقصدون **المسجد الأقصى** الوارد ذكره في **القرآن الكريم**، ثم سجلوا - دون تدقيق - وهم ينقلون أخبار حملة نبوخذ نصر، اسم **بيت المقدس كدلالة على المسجد**، كما لاحظنا من نص الطبري الذي يقول: **إن نبوخذ نصر دمر المسجد الأقصى**، وهو يقصد **بيت المقدس** (أي أورشليم القديمة التي ورد اسمها في التوراة). وكما هو الحال اليوم؛ فإن الكثير من العرب والمسلمين لا يميزون بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى ويعاملونهما على أنهما مكان واحد. وهذا أمر يماثل الخلط الذي وقع فيه بعض المسلمين في الماضي، ممن لم يميزوا بين مسجد قبة الصخرة وبيت المقدس القديم الذي تحدثت عنه روايات الإخباريين. ولذلك حدثت فوضى تاريخية في مؤلفات الإخباريين المسلمين المتأخرين، اختلطت فيها الجغرافيات كما تداخلت فيها أسماء الملوك والأنبياء. وهذا ما يفسّر لنا وعلى أكمل وجه، الأسباب التي تكمن وراء اضطراب روايات العرب المسلمين لقصة بناء سليمان لبيت المقدس، وكذلك لقصة لقائه

بلقيس، ففي حين أنهم كانوا يروون قصة بناء البيت في بلاد الشام؛ ويسردون ما يرونه أدلة على معجزات البناء، عندما أمر سليمان الجن بهذا العمل؛ فإنهم كانوا، دون حرج أو شعور بوجود تناقض في رواياتهم، يواصلون رواية وقوع حملة نبوخذ نصر في شمال الجزيرة العربية واليمن التي انتهت بتخريب بيت المقدس ونهبه، وهم يقصدون تخريب أورشليم والهيكل ونهبه؟

إن قصيدة النابغة الذبياني[1] في مديح النعمان بن المنذر (18 ق. الهجرة، 605 ميلادية) تفضح هذا الخلط. قال النابغة:

ولا أرى فاعلًا في النّاس يُشْبِهُهُ ولا أُحاشي من الأقوام من أحدِ

إلا سُليمانَ إذ قال الإلٰهُ له قُمْ في البريّة واحددها عن الفندِ

وخَيِّسِ الجنَّ إني قد أذنتُ لهم يبنون تدمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

تصدر مثل هذه المزاعم والمرويات الشعبية عن بناء سليمان لمدينة تدمر بواسطة الجن، عن ثقافة قديمة سائدة وراسية ومستمرة في مجتمع القبائل العربية، تعطي للجن قدرة أسطورية هائلة على بناء المدن السحرية. بيد أن هذه المرويات تؤكد في آن واحد، أن سليمان النبي أمر الجنّ ببناء المدينة في الصحراء السورية، بينما كان يحكم اليمن؟ وهذا يعني أن هناك خللًا في هذه المرويات، مصدره الخلط الفظيع في الجغرافيا، وبحيث يستحيل بسبب ذلك، تصديق هؤلاء الشعراء ورواة التاريخ.

ومع ذلك، لا يتوجب رفض مروياتهم كليًا إلّا بعد التدقيق والفحص

---

(1) النابغة الذبياني: الديوان، شرح وتعليق الدكتور حنا ناصر الحِتيّ، دار الكتاب العربي 1991، وانظر كذلك: قرص الشعر العربي من مصادره الأصلية، AFI، عبد اللطيف للمعلومات، دون تاريخ نشر. والنابغة هو زياد بن معاوية الغطفاني المُضري أبو أمامة أشهر شعراء الجاهلية وصاحب قصيدة المتجرّدة التي تغزل فيها بزوجة النعمان.

والمقاربة. لقد كان هذا التناقض وما يزال محيّرًا للعقول، إذ كيف ولماذا حدث الخلط في الجغرافيا؟ إن التفسير الأولي - والمقبول مبدئيًا لأغراض البحث والاستقصاء - يمكن أن يتحدد في النقطة التالية:

لمّا كان العرب في مطلع الإسلام، يقاومون الوثنية بكلِّ الأشكال، فقد كان أمرًا منطقيًّا أن تتجسد مقاومتهم هذه، في القطع التامّ مع تراث الوثنية الروحي ورموزها في الجزيرة العربية، وأن يتطلعوا إلى بقايا الجماعات التي ظلت على دياناتها التوحيدية في الجزيرة العربية وبلاد الشام بشكل خاص. وفي مطلع الإسلام بالطبع، لم يكن المسلمون الأوائل وحدهم الطليعة المقاومة للوثنية، فقد شاركهم في ذلك حنيفيون وزاهدون وعبّاد وموحِّدون ورهبان وقساوسة نصارى، وحتى يهود الجزيرة العربية واليمن. وعندما أمر النبي ﷺ بتغيير القبلة، والتوجه بالصلاة صوب المسجد الأقصى في بلاد الشام (إيلياء) فإن أنظار المسلمين وكل العرب، اتجهت منذئذٍ إلى تعظيم مكانته، وتمجيد الصخرة المقدسة وإظهار بركاتها ومعجزاتها حيث ارتقاها النبي ﷺ - في معراجه صاعدًا إلى السماء. ولأن القرآن لا يذكر اسم بيت المقدس، بينما يذكر اسمه في صورة المسجد الأقصى، فقد جرت مماثلة تلقائية بين الاسمين، وبحيث صار أحدهما دالًا على الآخر. أي أن دمج الموضعين (بيت المقدس والمسجد الأقصى) كما هو حاصل اليوم، كان في الأصل نتاج دمج ثقافي وديني في الجغرافيا. وحين جرت فتوحات الشام - تاليًا - تسبَّب هذا الخلط في حدوث اضطراب فظيع في رواية العرب والمسلمين لحادث السبي البابلي، ذلك أن سائر الموارد الإسلامية اعتادت على المماثلة بين الاسمين، ولذا ارتبكت في وصف وتحديد عصر ومسار الحملة ومسرحها الحقيقي. إن السبب المباشر في هذا الاضطراب، يجب أن ينظر إليه من منظورين:

الأول، ويتصل بالتاريخ القديم الذي لم يدوَّن بصورة صحيحة وظل

شفاهيًّا في الغالب، أما الثاني، فيتصل بطبيعة الصراع الديني الذي كان محتدمًا في الجزيرة العربية واليمن. إن بعض الموارد الإسلامية كما سنرى، تخلط بين وجود بيت المقدس الذي بناه سليمان في اليمن، حسب ما تقول لنا روايات الإخباريين القدماء (والتوراة تسميه هيكل الرب) وبين المسجد الأقصى الذي بنته القبائل العربية اليمنية المهاجرة إلى بلاد الشام، وكانت في معظمها قبائل من الموحدين واليهود العرب. وهذا ما يفسِّر لنا السبب الحقيقي لتفجر النقاش في وقت مبكر بين الفقهاء المسلمين حول المقصود من اسم بيت المقدس. لقد دار نقاش طويل ومتشعب التفاصيل بين الفقهاء ورواة الأخبار من العرب والمسلمين، وخلال فترات وحقب مختلفة من تاريخ العرب بعامة وتاريخ الإسلام بشكل أخصّ، حول بيت المقدس، وأين يقع وما المقصود من الأرض المقدَّسة؟ ومن المؤكد أن هذا النقاش لم ينته - فيما وصلنا من مصادر سليمة وموثقة وفي حالة مقبولة - إلى إنشاء أية مقاربة صحيحة تجمع بين أفضل وأقرب الآراء والتصورات وتقدّم تصورًا متماسكًا. وقد رجح ابن كثير[1] أن يكون المقصود بالأرض المقدسة، بيت المقدس. وقال قتادة إنها الشام وهذا قول الفراء والكلبي[2]. وبحسب النويري[3] مثلًا فقد اختُلِفَ في الأرض المقدسة ما هي؟ فذهب ابن عباس رضي الله عنه[4] إلى أن المقصود بها أريحا. وقال السديّ[5]:

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة 1999، 3/ 53.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ط/ بيروت، دار صادر 1994 مادة قدس.

(3) النويري: نهاية الأرب في بلوغ الأدب - 30 مجلد طبعة أحمد زكي باشا - مصر 1920: 1/ 302

(4) هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم رسول الله ﷺ. أمه: لبابة الكبرى بنت الحارث أخت ميمونة زوجة النبي ﷺ فكانت خالته.

(5) السدي إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي.

إن أريحا هي أرض بيت المقدس، بينما قال مجاهد[1]، إنها الطور وما حوله. - بينما نعلم أن الطور يُقصد به طور سيناء المصرية وهذا خلط فظيع آخر - . وقال الضحاك[2]: هي إيلياء وبيت المقدس. أما الكلبي فهو يرى أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، لكن قتادة يرى على العكس من كل هؤلاء، أنها الشام كلها. وقال عبد الله بن عمر[3] في تفسير المقصود بالحرم، أن الحرم محرم مقداره من السماوات والأرض، وبيت المقدس مقدس مقداره من السماوات والأرض. وكما هو واضح من هذه التصورات، فهي تدور في حلقة مفرغة، يعجز معها القارئ المسلم عن فهم المقصود من الأرض المقدسة. إن هذا الأمر يؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه من أن المسلمين المتأخرين، قاموا بخلط الأماكن والعصور، لأنهم كانوا يواجهون صعوبة حقيقية في التمييز بين ذكرياتهم عن حملة نبوخذ نصر في الجزيرة واليمن - التي كرستها المؤلفات الإخبارية - وكيف أنه خرّب أورشليم، وبين المسجد الأقصى في بلاد الشام الذي حرّره عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن انتزعه من البيزنطيين الذين كانوا قد وضعوه ضمن تقسيم إداري باسم إيلياء. وقال ابن قتيبة[4]: وقرأت في مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: اللهمَّ إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت

---

(1) لسان العرب، مادة قدس. ومجاهد الذي يرد ذكره في كتب المفسرين هو مجاهد بن جبر المكي التابعي، الإمام الحجة الثقة الثبت، ولد سنة 21 هـ. روى عنه جماعة، توفي 104هـ.

(2) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك، الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو عاصم الشيباني، وكان يبيع الحرير. ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة للهجرة.

(3) ولد عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ بعد البعثة النبوية الشريفة بثلاث سنوات، وعندما هاجر كان عمره إحدى عشرة سنة.

(4) ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ - 15 رجب 276 هـ/ 828 م - 13 نوفمبر 899 م) أديب فقيه محدث ومؤرخ.

مكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس. وقال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. **والمسجد الأقصى بيت المقدس، سمي أقصى لأنه** أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعد المسافة بين المسجدين. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ قيل: بالماء والأنهار والأشجار والثمار. وهذا تفسير مثير آخر من فقيه وأديب مسلم يماثل بين الموضعين ويعاملهما كموضع واحد. وقال مجاهد: سماه مباركًا لأنه مقرّ الأنبياء، وفيه مهبط الملائكة والوحي، وهو الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة. **وبذلك يصبح مسجد قبة الصخرة الذي بناه الأمويون، هو نفسه بيت المقدس القديم الذي دمره نبوخذ نصر، وهو نفسه المسجد الأقصى؟** وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾[2]، قال الثعلبي[3] نقلًا عن كعب الأحبار[4]، وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غنم، **أن التين مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس.** لكن الضحاك، الفقيه الذكي يعترض على كل هذه التفسيرات ويشدد في القول: **هما مسجدان.** ومسجد بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلّا إليها لقول رسول الله ﷺ - فيما ورد في الصحيح: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». والضحاك، بهذا التفسير يعيد الأمور إلى نصابها، فقد كان النبي العظيم

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 1.

(2) سورة التين، الآيات: 1، 2، 3.

(3) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسّر من أهل نيسابور، توفي سنة 427 للهجرة.

(4) كعب الأحبار (652 م) كعب بن ماتع، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم.

محمد ﷺ واضحًا غاية الوضوح في التمييز. إن هذه القائمة الطويلة التي تضمّ كبار علماء وفقهاء وأئمة العرب والمسلمين، لا تكاد تتفق على تمييز بيت المقدس - الذي خرّبه نبوخذ نصر حسب ما رأينا من روايات الإخباريين - عن المسجد الأقصى الذي حرره المسلمون من أيدي البيزنطيين، أو حتى تحديد موضعه بشكل صحيح. كما أن الفقهاء والإخباريين والصحابة لا يقدمون جوابًا موحّدًا بشأن إيلياء. هذا باقتضاب شديد فحوى النقاش (ولا أجد ضرورة للاستفاضة فهذا يخرج عن اهتمام الكتاب). ومن المؤكد في ضوء تحليل تصوراتهم وأحاديثهم ومروياتهم المنقولة، أنهم لم يكونوا يعرفون أي شيء عن التقسيم **الإداري الروماني لبلاد الشام**، وهو التقسيم الذي ثبت اسم **إيلياء في الخرائط**، باعتباره دالًا على **الجزء الجنوبي من سورية**. لقد ظلت **مسألة إيلياء** في كتابات الإخباريين العرب الكلاسيكيين لغزًا مستعصيًا على الحل، لأن اسمها الجديد كان يختلط في ذاكرتهم باسم **إيلة**، وهو اسم قديم ورد في **التوراة**، وأشار إليه القرآن بأنه **حاضرة البحر** (البحر الأحمر)[1] التي يعيش سكانها على **صيد السمك ويسبتون (يجعلون السبت عطلتهم)**. ولذلك، صارت **فلسطين، وبيت المقدس والمسجد الأقصى وإيلة وإيلياء**، تعني في هذه الروايات **مكانًا واحدًا**.

فلماذا ولأي سبب روى الإخباريون العرب في الجاهلية والإسلام، قصة

(1) قال الله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 163-166].

تخريب بيت المقدس على يد نبوخذ نصر في حملته على اليمن؟ خذوا مثلًا هذا النص الذي يكشف لنا نمط التناقضات: يقول ابن دريد[1] (الاشتقاق) في تأويله لاسم السحول (مخلاف السحول اليمني الشهير) ما يلي:

> ومن سحول: شعيب بن يهزم النبي، قتله قومه فبعث الله عليهم بخت نصر فأفناهم. وزعم ابن الكلبي أن قوله تعالى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[2]. أنهم هؤلاء.

إذا كان نبوخذ نصر غزا مخلاف السحول، حيث أهل حضور اليمن، وخرّب بيت المقدس هناك، فكيف حدث هذا الخلط، وبحيث أصبح المسجد الأقصى في الشام يعني بيت المقدس؟

أريد هنا - منعًا لكل وأي لبس مُغرض - أن أشدد على الفكرة التالية: إن الهدف من تبيان التناقض في نصوص المؤرخين والفقهاء المسلمين، هو الكشف عن نوع وطبيعة الخلط الذي وقع فيه هؤلاء، وليس التشكيك في معتقدات المسلمين عن بيت المقدس. كل ما في الأمر، أن تحقيق التاريخ وتصحيحه، يتطلب الجرأة والشجاعة في الكشف عن كل وأي تناقض في الروايات، وصولًا إلى الكشف عن التزوير الهائل الذي حدث تاليًا على أيدي المستشرقين التوراتيين بشأن وقوع السبي البابلي في فلسطين. وسنتوقف هنا لتحليل نص ابن دريد عن شعيب النبي، المولود والمقيم في سحول اليمن من أجل توضيح مضمون وحدود هذا الخلط. . إن كثرة من الإخباريين العرب والمسلمين تربط بين شعيب النبي وبين مدين (مدن Midian الواردة في النقوش الآشورية) ولكنها لا تذكر اسم مخلاف السحول هذا. والأمر

(1) ابن دريد - الاشتقاق - 970 - 933، 1/ 1 نسخة إلكترونية، مصدر مذكور.

(2) سورة الأنبياء، الآيات: 13، 14، 15.

المؤكد أن اسم مدين - مدن ورد في التوراة والموارد العربية والقرآن على حد سواء في صورتين، مدن מדן وأصحاب مدين في مواضع عدّة، تذكيرًا بالمآل المأسوي لهؤلاء الذين قتلوا النبي. كما أن القرآن أشار إلى شعيب بالتلازم مع ذكر اسم مدين ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1]. لقد سجل القرآن في سورتي التوبة والحج اسم هذه الجماعة ونبيّها، سوية مع تسجيل أسماء أخرى، مثل نوح وعاد وثمود، وربط بينها وبين التذكير بالعدل وعدم الإفساد في الأرض. وعلى غرار ما يفعل كثرة من الإخباريين، يقوم الطبري ثم المسعودي تاليًا، بتقديم رواية تبدو مُلتبسة وغير قابلة للتصديق، حين يزعمان أن المقصود من اسم شعيب (يثرون) الوارد ذكره في التوراة יתרו وأن موسى (نزل على أهل مدين)[2] بعد هروبه من الفرعون المصري، وأنه تزوج هناك ابنة كاهن مدين الذي يدعى يثرون واسمها صفورة، وأنها ولدت له جرشوم، وهو جرش بمعاملة الميم الأخيرة كأداة تعريف منقرضة. وجرش اسم مدينة من المدن التي ذكرتها التوراة والهمداني والشعر الجاهلي والأساطير باعتبارها مدينة في اليمن، يبدو أن القبائل المهاجرة إلى بلاد الشام استذكرتها وسمت بها اسم مدينة جرش الأردن.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 85.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد 2، 1993، 3/ 885.

يلاحظ جواد علي، أن اسم مدين ورد في شعر «كُثيِّر عزَّة - وهو من شعراء اليمن - ويفهم من بعض القصائد أنه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان، يتعبدون، ويبكون من حذر العقاب. وورد في بعض الموارد التاريخية اسم بطن يقال له بنو المدّان، كما ورد ذكر مدان في غزوة زيد بن حارثة لبني جذام، يقال له فيفاء مدان. والمدان اسم صنم عرف به بنو عبد المدّان. وفي التوراة يرد أن المديانيين كانوا برفقة الإسماعيليين الذين باعوا يوسف في القصة المشهورة. كما تذكر التوراة أن موسى نزل عندهم وتزوج ابنة يثرون كاهن مدين - مدن. وأن يثرون هذا من بني قينت - قين Kenite وهم من فروع مدين.

يعني هذا أن الإخباريين المسلمين كانوا يؤمنون أن موسى كان في اليمن، وأنه أقام في مدين، ولذا قاموا بالمطابقة بين النصين، القرآني والتوراتي، ليستنتجوا أن المقصود من شعيب، الكاهن يثرون الوارد ذكره في التوراة. بيد أن كلمة يثرون ليست اسم علم[1]، وإنما هي كناية عن اسم الوظيفة التي كان الكاهن يشغلها وهي الكهانة، أي أنه كان كاهنًا في قومه، والكاهن في بعض اللغات العربية الجنوبية اليمنية يدعى (يثرو - يثرون)[2]. أما اسمه فهو رعوئيل أو حوياب بن رعوئيل. ويُفهم من سائر هذه النصوص، أن النبي شعيًا، نبي جماعة تعيش في مخلاف السحول، وليس هناك مخلاف بهذا الاسم لا في فلسطين ولا في أي مكان في العالم سوى أرض اليمن القديم، كما وصفها الهمداني في صفة جزيرة العرب، وهذا أمر لا يحتمل أي نقاش بكل تأكيد. كما يُفهم منه أيضًا أن نبوخذ نصر توجه بحملته الحربية صوب هذا المخلاف، وبحيث جعل أهله: ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[3]. ولعل نص ابن عبد المنعم الحميري[4] (الروض المعطار في خبر الأقطار)[5] يضاعف على نحو ما من طبيعة هذا الخلط الشائك والمعقد بين الأماكن، برغم أن كتابه هذا من أهم المصادر الجغرافية القديمة:

والغرائب التي أصيبت في الأندلس كمائدة سليمان التي

---

(1) جواد علي، 3/ 885.

(2) قارن مع (إثر - إثري) في اللهجة المندائية التي تتضمن دلالة الطهر. والإثريون - بقلب الهمزة ياء اليثريون - كما في الديانة الصابئية هم نوع بشري شبيه بالملائكة.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 15.

(4) محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت. طبعتان 1975 - 1984 - ص: 34 وابن عبد المنعم الحميري هو محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميري 900 هجرية ت 1485م.

(5) الحميري، المصدر السابق نفسه.

> لقيها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة، وقُليلة الدّر (قُلة الدر) التي لقيها موسى بن نصير بكنيسة ماردة، وغيرها من الذخائر كانت مما حازه صاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس[1] إذ حضر فتحها مع بخت نصر.

فكيف يجب أن نفهم هذا التوافق على وقوع الحملة في مخلاف السحول اليمني (كما عند ابن دريد مثلًا) ونهب بيت المقدس على يد نبوخذ نصر كما يزعم ابن عبد المنعم الحميري؟ بكلام آخر، ما الذي يجعل عالمًا لغويًا مثل ابن دريد، وإخباريًا يمنيًا مثل الحميري، يتوافقان على تحديد وجهة الحملة صوب اليمن ووجود بيت المقدس هناك؟ هذا التناقض يبدو غير قابل للحل، لأن النصوص الإخبارية ترسم مسرحين مختلفين لحدث واحد؟ ومع ذلك؛ فإن كلًا من خبر ابن دريد وابن عبد المنعم الحميري، يلتقيان في النقطة المتعلقة بأورشليم وحملة نبوخذ نصر، فهي لم تقع في فلسطين قط، كما أنهما، كل على انفراد، يشيران إلى مسرح جغرافي هو بكل تأكيد ليس مسرحًا جغرافيًا فلسطينيًا؛ فابن دريد مثلًا يضع أورشليم (التي يسميها بيت المقدس) في مخلاف السحول اليمني، عندما ظهر شعيب نبيًا هناك يدعو الجماعة العربية اليمنية إلى التوحيد وعدم الشرك بالله، وقد

(1) في بعض المرويات الإخبارية الإسلامية يقصد ببيت المقدس القديم أورشليم. وهذا واضح من ربط حملة نبوخذ نصر على اليمن بنهب أورشليم وتدميرها. والغنائم التي أخذت من بيت المقدس وردت في التوراة - سفر عزرا: [7]وَالْمَلِكُ كُورَشُ أَخْرَجَ آنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي أَخْرَجَهَا نَبُوخَذْنَاصَّرُ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ آلِهَتِهِ. [8]أَخْرَجَهَا كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ عَنْ يَدِ مِثْرَدَاثَ الْخَازِنِ، وَعَدَّهَا لِشِيشْبَصَّرَ رَئِيسِ يَهُوذَا. [9]وَهذَا عَدَدُهَا: ثَلاَثُونَ طَسْتًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْفُ طَسْتٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَتِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ سِكِّينًا، [10]وَثَلاَثُونَ قَدَحًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَقْدَاحُ فِضَّةٍ مِنَ الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَعَشَرَةٌ، وَأَلْفٌ مِنْ آنِيَةٍ أُخْرَى. [11]جَمِيعُ الآنِيَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَمْسَةُ آلاَفٍ وَأَرْبَعُ مِئَةٍ. الْكُلُّ أَصْعَدَهُ شِيشْبَصَّرُ عِنْدَ إِصْعَادِ السَّبْيِ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ (عزرا - النص العربي 7: 1).

قتله أهل هذا المخلاف فسلط الله عليهم غضبه، وسار نبوخذ نصر إليهم وخرّب أورشليم. أما ابن عبد المنعم الحميري، فيعرض علينا معلومة ثمينة للغاية، إذ نجح العائدون من السبي وهذا ما تؤكده التوراة صراحة - في استعادة مقتنيات أورشليم، ومنها مائدة سليمان[1] وقُليلة (تصغير قلة أو جرّة) مقدسة من جرار هذا المعبد. ويبدو أن بعض هذه المقتنيات حملتها القبائل العربية اليهودية في هجرتها من اليمن إلى شمال إفريقيا ثم الأندلس، وقد استعادها المسلمون أثناء الفتح، بوضعها في الكنائس، وأن هذه المقتنيات كانت في الأصل مما أخذه نبوخذ نصر أثناء الاجتياح العسكري. فهل يمكن الافتراض أن العرب حملوا معهم من فلسطين إلى الأندلس مقتنيات سليمان النبي التي وجدت في مخلاف السحول اليمني؟ هذا غير منطقي، والتاريخ لا يعرف هجرة انطلقت من فلسطين إلى الأندلس، بل يعرف هجرات من اليمن والجزيرة العربية إلى هناك؟ أم أن القبائل التي استوطنت أثناء فتح الأندلس، وهي قبائل يمنية من المقاتلة المسلمين على الأرجح، حملت معها ما كانت تحتفظ به في موطنها الأصلي من ذكريات ومقتنيات تخص بيت عبادتها الزائل، وأن المقصود من «بيت المقدس» في الموارد الإسلامية المبكِّرة،

(1) جلال الملوك نصوص: حبشية قديمة، ترجمة مجدي عبد الرزاق سليمان، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن المجلس الأعلى للثقافة برقم 469 القاهرة 2003. وفي التراث اليهودي - المسيحي للحبشة، تدور أساطير عدّة حول مائدة سليمان هذه التي تظهر بكامل أبهتها في حفل تتويج داود بن سليمان من زوجته غير الشرعية ماكدة (وهي بلقيس). كما تروى أسطورة شيقة عن تمرين التاجر الحبشي الذي أرسلته بلقيس - ماكدة - إلى سليمان ليمسح ولدها داود وينصبه ملكا على الحبشة. والأحباش يؤمنون أنهم ينتسبون إلى سليمان ملك اليمن. والمثير أن هذه الاساطير تتحدث عن أورشليم وعن صهيون، ولكن بوصف صهيون سيدة سماوية مقدسة انتقل تابوت عهدها إلى الحبشة بعد أن سرقه داود وعاد به إلى بلاده الحبشة.

تعبير دينيّ مجازي استخدمه المسلمون، للدلالة فقط على أورشليم القديمة التي خربها الآشوريون، فزالت وانمحى كل أثر لها؟ ما يؤيد ذلك، نص للهمداني في (صفة جزيرة العرب[1] - باب ما جاء عن ابن عباس في ذكر جزيرة العرب) يذكر فيه أن نبوخذ نصر قام بغزو جزيرة العرب:

عن ابن عباس (سأله رجل عن ولد نزار بن معد) قال: هم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار، فكثر أولاد معد في عدنان بن أدد[2] ونموا وتلاحقوا ومنازلهم مكة وما وليها من تهامة، وانتشروا فيما يليهم من البلاد وتنافسوا في المنازل والمحال، وأرض العرب يومئذ خاوية ليس فيها منهم، نجدها وحجازها وعروضها كثير أحد، لإخراب بخت نصر إياها وإجلاء سكانها، إلّا من كان اعتصم برؤوس الجبال وشعابها ولحق بالمواضع التي لا يقدر عليه فيها أحد، متنكبًا لمسالك جنوده ومسنن خيوله، فارًّا إليها منهم فاقتسموا الغور غور تهامة بينهم على سبعة أقسام.

يُفهم من وصف ابن عباس هذا، أن حملة نبوخذ نصر أدّت إلى تدمير أجزاء واسعة من مواطن القبائل في الجزيرة العربية وإجلاء سكانها، باستثناء بعض القبائل التي لجأت إلى قمم وشعاب الجبال. كما يُفهم منه أن الحملة جرت في مسرح معلوم يمتد من مكة حتى تهامة اليمن. وحسب هذا النص - ونص التوراة كذلك - لم يكن بوسع العاهل الآشوري الوصول إلى القبائل التي فرَّت صوب الجبال، نظرًا لوعورة طرقها ومخاطر بلوغها، وهو أمر نتج

(1) الهمداني: 1/ 24.

(2) انظر إشارتنا تاليًا حول هدد في النقوش وفي التوراة.

عنه تلقائيًا، أن هذه القبائل استوطنت أعالي تهامة على سبعة أقسام (أقاليم). وهذا ما تؤيده رواية التوراة حرفيًا، فهي تقول إن بعض القبائل فرت إلى الجبال وقاومت الآشوريين، كما أنها اقتسمت الأرض بعد انتهاء الحملة على سبعة أقسام (سفر يشوع)[1]. ومن المؤكد أن القبائل العربية الموحدة، وبعد زوال حكم الآشوريين، وتبدل وتغيّر ظروف الصراع، هي التي قامت ببناء ما سوف يعرف بالمسجد الأقصى. وهذا أمر منطقي ولا يتطلب الكثير من النقاش، لأن التاريخ لا يعرف شعوبًا وقبائل غير عربية بنت مسجدًا في هذا الجزء من العالم. وبالطبع لا يبدو منطقيًا تخيّل قبائل بدائية هاجرت من أستراليا مثلًا إلى بلاد الشام لتبني بيت العبادة هذا؟ لقد قامت بهذا العمل قبائل عربية - في طفولتها البعيدة - وفور استقرارها في بلاد الشام، بعد هجرات كبرى متتابعة قادتها من اليمن والجزيرة، وهذا سلوك تقليدي عند الجماعات المهاجرة، فهي تنقل معها ذكرياتها وعقائدها وأساطيرها وأسماء بيوت عبادتها إلى مواطن الاستقرار الجديدة، وبحيث تطلق عليها الأسماء ذاتها التي احتفظت بها في ذاكرتها. ولذا سمت المسجد الأقصى بيت المقدس. يروي المرزوقي[2] (الأزمنة والأمكنة) ظروف تأويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة، فيقول نقلًا عن الكلبي عن ابن عباس في تأويل آية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[3] أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأتتهم ضبابة في بلاد الشام فصلوا لغير القبلة، فسألوا رسول الله ﷺ يأمرهم بالإعادة، وكانوا يصلون نحو بيت المقدس، فنزلت الآية. فقال

(1) يشوع: النص العبري - مصدر مذكور.

(2) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، طبعة دار المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن، صدرت الطبعة الأولى عام 1332، ص 1509/ 1386 نسخة إلكترونية. والمرزوقي هو أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي ولد 423 هجرية وتوفي عام 1030 م.

(3) سورة البقرة، الآية: 115.

رسول الله ﷺ - لجبرائيل: وددت أن ربي جلَّ جلاله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها. فقال جبرائيل: إنما أنا عبد مثلك، فادع ربك وسله، ثم ارتفع جبرائيل وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه الذي سأله، فأنزل الله آية: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]. قال: فنسخت هذه الآية ما كان من الصلاة قبلها نحو بيت المقدس. وكانوا يصلون نحو صخرة بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، بعد أن قدم المدينة ثم حوّل إلى الكعبة (قبل وقعة بدر بشهرين). لكل ذلك، ولأجل بناء تصورات موضوعية وصحيحة خالية من الأهواء، فسوف نقدم روايات الإخباريين العرب في الإسلام المبكر، لمسار الحملة في اليمن، كما نقدم وصفًا لمسارها الافتراضي في بلاد الشام استنادًا لما ورد في مؤلفات المسلمين المتأخرين، والقائلة إن (العرب كانوا في أرض العراق في أيام بختنصر). وهذا يعني أن رؤية الإخباريين القدماء لوجود العرب التاريخي لا تتقيّد بالنظرة الشائعة عن وجودهم في الصحراء كجماعات بدوية هائمة، وإنما كانوا يقيمون في حواضر ومدن كبرى أيضًا، وهذا هامٌّ للغاية لأنه يعكس رؤية تاريخية صحيحة، تأخذ بعين الاعتبار أن العرب كانوا أمة بحرية ومدنية، وأنهم كانوا تجارًا يقدمون العراق للتجارة، وذلك في أيام معدّ بن عدنان، وأن بختنصر جمع من كان في بلاده من العرب حين همَّ بغزو الجزيرة العربية، وذلك عندما نزل وحي الله على أحد أنبياء اليهودية وهو برخيا من أجل معاقبة الآثمين بحسب رواية ابن حبيب، وأن نبوخذ نصر أقام حيرًا - معسكرًا - في النجف (على تخوم محافظة بابل اليوم) للجماعات العربية المشاركة في الغزو، وعمل على تحصينه، ثم ضمهم فيه، ووكل بهم حرسًا وحفظة، ثم نادى في الناس بالغزو. وحين انتشر الخبر في سائر المدن والبوادي، خرج

(1) سورة البقرة، الآية: 144.

إليه الكثير من الجماعات البدوية لتقدم فروض الطاعة والولاء، فأنزلهم «بختنصر السواد على شاطئ الفرات، فابتنوا معسكرهم، فسموه الأنبار». كما قام بإخلاء معسكر الحيرة في وقتٍ تالٍ وقام بتحويله إلى قرية كبيرة ضمت الكثير من القبائل. أدى هذا التدبير من جانب نبوخذ نصر إلى تأمين الظروف الملائمة لكسب ودّ الجماعات العربية، وتشجيعها على العيش داخل حدود الإمبراطورية، ولتكفّ عن غاراتها وغزواتها على الثغور. كما مكّنه ذلك من تنظيم حملته بشكل جيد لإخضاع القبائل المتمردة عند سواحل البحر الأحمر. ومن غير شك، فقد سعت روايات الإخباريين العرب، وبشكل مطّرد إلى الربط بين وجود العرب في العراق ووصولهم إليه عبر هجرة كبرى، وبين وقوع حملة نبوخذ نصر على اليمن وشمال الجزيرة العربية، وكان الغرض النهائي من هذا الربط، تقديم تفسير تاريخي لوجود العرب في العراق، وكيف وصلوا إلى بلاد الرافدين. لكن من المؤكد أن هذا التفسير أضفى بعدًا جديدًا من التعقيد، والتداخل في الجغرافيا والأسماء والتواريخ على مجمل الرواية، وسوف يؤدي ذلك، من بين ما يؤدي إليه إلى وقوع اضطراب شديد في الوقائع، بما يهدد صدقيتها في الصميم، ذلك أن وجود العرب يرتبط بهجرة سابقة على هذا الحادث، قامت بها القبائل العربية وقادتها إلى العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا. ولكن من المحتمل في ضوء تحليل نصوص الإخباريين الكلاسيكيين، أن السبي الذي تعرضت له هذه القبائل في الجزيرة العربية واليمن، انتهى بانضمام بعض هذه القبائل إلى شقيقاتها المهاجرة، وأنها أقامت في المواطن الجديدة المحصنة التي أنشأها نبوخذ نصر في الأنبار والنجف. لكننا نعلم أن هذا التفسير لوجود العرب في العراق، يتناقض مع روايات الإخباريين الآخرين، وحتى مع رواية ابن الكلبي نفسه، إذ يظهر من رواية له أن الذي أنزل العرب في العراق ملك يمني، قام بغزو العراق، يدعى تبان أسعد وهو أبو كرب ابن الملك كرب بن تبع، وأن هؤلاء

يدينون بوجودهم إلى هجرة (أو حملة) قام بها ملوك اليمن، وقادتهم إلى الاستقرار في أرض الرافدين، وأن من نزل الحيرة والأنبار من العرب، كانوا جماعات يمنية مهاجرة. وبصدد هذه النقطة، فمن المؤكد أن نص ابن الكلبي يشير إلى الغزوات التي كانت القبائل العربية تقوم بها على حدود الإمبراطورية الآشورية، وهو ما شكل تهديدًا مستمرًّا استلزم القيام بحملات تأديبية. يروي اليعقوبي في (تاريخ اليعقوبي)[1] الرواية التالية عن حملة نبوخذ نصر وحملة تجلات بلاسّر الثالث بعد وفاة عزيّا وصعود ابنه ءحاز - أحاز:

فكفر فعبد الأصنام، فسلط الله عليه تغلفلسّر ملك بابل فسباه، واستعبده وفرض عليه الجزية وأخرب مدينة الأسباط العشرة بفلسطين وهي سَبَسْطيَة[2] وسبى أهلها فدخل بهم إلى أرض بابل.

إن المعلومات التاريخية التي استقاها اليعقوبي من نصوصه - وهذا مجرد نموذج واحد - مأخوذة من نصوص التوراة مع إضافات كثيرة، لأن النص التوراتي مثلًا، لا يذكر اسم فلسطين قط في هذه الحملات. كما أنها تتضمن وقائع لا يعرفها النص التوراتي كما هو الحال مع واقعة قيام الملك المصري فرعون الأعرج الذي أسر ملك إسرائيل يهو ءحزا:

ثم ملك يهوآحزا ابنه ثلاثة أشهر ثم أسره فرعون الأعرج ملك مصر، ووضع على بلاده الخراج، وصيّر عليها ملكًا من قبله وأخذ يهوآحزا، فذهب به إلى مصر فمات

---

(1) أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي: تاريخ اليعقوبي، 1-2 دار الكتب العلمية، بيروت 1999، ص: 1 - 57، 58، 60.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1990 مادة سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين وهي من أعمال نابلس.

هناك، ثم ملك بعده يوقيم - يهوياقيم - أخوه، وهو أبو دانيال النبيّ. وفي عصره سار بخت نصر - ملك بابل - إلى بيت المقدس، فقتل بني إسرائيل وسباهم إلى أرض بابل ثم صار إلى أرض مصر فقتل فرعون الأعرج ملكها. وأخذ نبوخذ نصر التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء، فصيّرها في بئر وطرح عليها النار وكبسها، وكان ذلك في عصر إرميا النبي، فلمّا علم بقدوم بخت نصر، أخذ تابوت السكينة فخبأه في مغارة حيث لم يعلم به أحد، ولم ينج من بخت نصر إلّا إرميا[1].

وفي الواقع لا توجد وقائع تاريخية تؤيد هذه الرواية، إذ لم يحدث أن قُتل ملك مصري أعرج على يد نبوخذ نصر، وهذا يؤكد أن الإخباريين المسلمين خلطوا الوقائع، بعضها ببعض، وقاموا بدمج مثير بين العصور والأماكن، ونسجوا روايات ذات طابع أسطوري. ومع ذلك، لا يتعيّن الاستهانة بهذا النوع من السرد التاريخي أو التقليل من قيمته التاريخية والسردية، فهو يتضمن معلومات ووقائع نجهلها، وقد تكون شائعة ومستمرة في الراسب الثقافي حتى عصر الإسلام وما بعده بعقود. وعلى منوال هذه المزاعم، ينسج اليعقوبي تحت تأثير مرويات وهب بن منبه في التيجان، رواية عن تهوّد اليمن في عصر أسعد أبو كرب، وهو تبع بن حسّان بن بجيلة ابن مليكيكرب بن تبّع الأقرن، وذلك بعد غزوة فاشلة قام بها لاحتلال مكة. وكما يلاحظ، فهذا النوع من الروايات يسير في الخط السردي ذاته لمرويات الإخباريين اليمنيين عن قيام الحميريين بغزو العراق. والمثير للاهتمام، أن

(1) اليعقوبي، 1 - 59: تقول رواية اليعقوبي أن زُربابل النبي الذي عاد من السبي، هو الذي أخرج التوراة وكتب الأنبياء من البئر التي دفنها فيها نبوخذ نصر فوجدها على حالها لم تحترق.

هذه المزاعم عن حملات قامت بها قبائل اليمن على حدود العراق القديم، تنسجم مع ما تقوله السجلات الآشورية عن غزو مضاد قامت به هذه القبائل، أدى إلى تنظيم حملات متواصلة لإخضاعها. كما روت سلسلة من الأساطير اليمنية وردت عند وهب بن منبه: التيجان في ملوك حمير) ونشوان بن سعيد الحميري (نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب) أن الملك تبع هذا، وبعد أن تم تنصيبه خلفًا للملك ياسر يهنعم، خرج من اليمن صوب شمال الجزيرة العربية حتى نزل على جبلي طيِّىء، ثم سار يريد الأنبار. فلما انتهى إلى الحيرة ليلًا (تحيَّر فأقام مكانه، فسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار، وخلف به قومًا من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة. ثم التحقت بهم جماعات أخرى من بينها طيِّىء وكلب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد). وهذه برأينا أول وأهم إشارة إلى الغارات التي كانت القبائل العربية البائدة تقوم بها ضد الإمبراطورية البابلية - الآشورية. ويلاحظ من هذا الخبر التاريخي، أن هجرة كبرى قادت القبائل العربية إلى العراق، وأن وجود هذه القبائل هناك، لم تكن له صلة بالحملة الحربية التي قادها نبوخذ نصر وانتهت بتدمير أورشليم وإجلاء سكانها وسكان مناطق أخرى من اليمن. وهذا أمر مهمّ يتوجب التقيّد به، فالحملة كانت جزءًا من عمل حربي لتأديب القبائل المتمردة وضبطها، أما هجرة القبائل العربية وإقامتها في أرياف العراق، فهي جزء من هجرة كبرى كانت متواصلة بفعل عوامل مختلفة. والطبري ينقل رواية أخرى عن ابن الكلبي، تقول: إن العرب الذين أسكنهم بختنصر الحيرة، انضموا بعد وفاة هذا الملك إلى أهل الأنبار، وأن الجزيرة العربية ظلت إثر ذلك خرابًا. وهذا أمر مقبول، فالحملة العسكرية العنيفة ثم الهجرات الكبرى، تؤدي لا محالة إلى وضع شبيه بما ورد في وصف الهمداني وحديث ابن عباس وابن الكلبي، فالجزيرة ظلت لوقت طويل خرابًا بسبب الجفاف والحروب والكوارث الطبيعية.

وهكذا، ما أن كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليها، حتى فرقتهم من جديد حروب وقعت بينهم، ولتبدأ هجرات جديدة، إحداها داخلية في حدود تهامة اليمن، وأخرى خارجية قادتهم إلى مشارف الشام والعراق والبحرين. وفي وقتٍ تالٍ تطلعت القبائل - وتحت تأثير المجاعة والقحط والجفاف الذي ضرب المنطقة - إلى ريف العراق المستقرّ والخصب[1]، بوصفه المكان المثالي لهجرة جديدة، فأجمع رؤساؤهم على المسير إلى العراق، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحقيق في جماعة من قومه وأخلاط من الناس، ثم أعقبتهم موجات أخرى استقرَّت في الحيرة والأنبار وغيرها من الأماكن، بعد أن تغلبوا على الإرمانيين[2] - من إرم -. ما يلفت الانتباه في هذا النوع من الأخبار التي نقلها الطبري، أن اسم الحيقار هذا مماثل لاسم الشخصية الأسطورة أحيقار - ء حيقار صاحب الحكم والحكايات الشهيرة في الأدب البابلي، ولنلاحظ أن الألف المهموزة بدون لام تؤدي في لهجة أهل اليمن وفي العبرية كذلك אחיקר وظيفة أداة التعريف (ء حيقر دون تصويت - الحيقار، ومثل لخضر في الأخضر). وذلك ما يدفعنا إلى التأمل في الترابط المتقن للسرد الإخباري الكلاسيكي، فهو يسجل بدقة متناهية وقائع نجهل تفاصيلها. ومن المؤكد أن يهود القبائل العربية البائدة الذين وصلوا بلاد الشام في وقت متأخر نحو 200 ق.م، أقاموا في جنوبها (فلسطين). ولعل النقش الذي عثر عليه علماء الآثار يؤيد ما ذهبنا إليه. لقد عثروا على كتابة من كتابات القبور في بيت شعريم בית שערים BethShe'arim في جنوب شرقي حيفا، ورد فيها:

---

(1) جواد: 3/ 885.

(2) جواد: 1/ 175، 195، 199.

هذا قبر منحم قولن حميرن، وتعني: مناحيم قيل حمير أي ملك حمير. والموضع الذي وجدت هذه الكتابة فيه، هو مقبرة من مقابر كبار الأحبار، وقد وجدت معها كتابات أخرى، تشير إلى أسماء أحبار معروفين. ويرجع الباحثون تأريخ الكتابة المذكورة إلى حوالي سنة 200م[1].

يؤكد هذا النقش صحة ما ذهبنا إليه، فالقبائل العربية اليهودية التي وصلت فلسطين كانت قبائل يمنية. ومن شأن ذلك أن ينسف من الأساس، خرافة وجود ما يسمى في المؤلفات التاريخية الاستشراقية (بالاستيطان اليهودي) وهو تعبير يراد به التلميح إلى وجود يهودي منفصل، أي وجود عرق آخر لا صلة له بالعرب. والصحيح أن اليهود اللين وصلوا فلسطين كانوا من القبائل العربية اليمنية. وقد ارتأى النويري[2] في (نهاية الأرب) أن عيد الفور عند اليهود ويسمونه الفوريم، له علاقة بحملة نبوخذ نصر وأن:

البخت نصر لما أجلى من كان ببيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم، أسكنهم مدينة جي وهي إحدى مدينتي أصفهان.

---

(1) المفصل 1/ 265.

(2) النويري: نهاية 1/ 180 - 184 وهو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي، وكتابه بلوغ الأرب يتألف من30 مجلدًا. يقول النويري: وأعياد اليهود التي نطقت بها توراتهم خمسة: منها عيد رأس السنة ويسمون رأس هيشا، أي عيد رأس الشهر وهو أول يوم من تشرين، ينزل عندهم منزلة عيد الأضحية عندنا، ويقولون إن الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح إسحاق ابنه عليه السلام فيه، وفداه بذبح عظيم، ومنها عيد صوماري ويسمى الكبور وهو عندهم الصوم العظيم، فخرجوا إلى التيه، وجعلوا يأكلون اللحم، والخبز الفطير، وهم بذلك فرحون. وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون.

فلما ملك أردشير بن بابك، سماه اليهود بالعبرانية أجشادوس. وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون، ولليهود يومئذ حبر يسمى بلغتهم مردوخاي. فبلغ أردشير أن له ابنة عم جميلة الصورة من أحسن أهل زمانها. فطلب تزويجها منه، فأجابه إلى ذلك. فتزوجها وحظيت عنده، وصار مردوخاي قريبًا منه. فأراد هيمون الوزير إصغاره حسدًا، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أردشير. فرتب مع نواب الملك في سائر الأعمال أن يقتل كل واحد منهم من يعلمه من اليهود. وعين لهم يوم وهو النصف من آذار. وإنما خص هذا اليوم دون غيره، لأن اليهود يزعمون أن موسى عليه السلام ولد فيه وتوفي فيه. وأراد بذلك المبالغة في نكايتهم ليضاعف الحزن عليهم بهلاكهم، وبموت موسى عليه السلام. فبلغ مردوخاي ذلك، فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما بلغه، ويحضها على إعمال الحيلة في خلاصهم فأعلمت الملك بالحال، وذكرت له أن الوزير إنما حمله على ذلك الحسد، لقرب مردوخاي منه. فأمر بقتل هيمون الوزير وأن يكتب أمانًا لليهود فاتخذوه عيدًا واليهود يصومونه قبل ثلاثة أيام.

لا يمكن قبول هذه الرواية بأي شكل من الأشكال على أنها رواية تاريخية، لأنها تقوم بخلط الوقائع وتركيبها بشروط إنشاء الأسطورة، وبحيث يصبح نبوخذ نصر 622ق.م معاصرًا للملك الفارسي أردشير الأول 224م. أما الملك الأكدي دلجي، نحو 2350ق.م فيصبح اسمًا لمدينة فارسية تدعى جي. وبالطبع؛ فإن المقصود من أردشير الأول، الإمبراطور الفارسي قورش

الذي احتل بابل 539ق.م، وهو الملك الذي أسقط حكم آخر ملوك بابل نبو - نئيد (نبونعيد). كما أن الجزء المتعلق بالزواج لا يتعدى كونه إعادة إنتاج لأسطورة أستير التي وردت في التلمود، وهو من كتب التعليم الديني اليهودي الشعبية. ومع ذلك، يمكن قبول هذه الرواية على أنها تمتلك بنية الأسطورة، وكان الغرض من إنشائها، تقديم تفسير لوجود عيد يهودي قديم، من خلال ربطه بحدث تاريخي. لكن هذه المزاعم لا تبدو مقطوعة عن السياق التقليدي في سرد الأخبار، فابن الكلبي، مثلًا يزعم أن أردشير الأول 266 - 241م، وأثناء استيلائه على العراق، واجه مقاومة ضارية من قبائل تنوخ التي رفضت الإذعان لإرادته، وأن هذه القبيلة هاجرت من العراق إلى الشام بعد وقوعه تحت نير الاحتلال الساساني، ثم التحقت بها جموع أخرى من قبائل العرب، فكوّنوا هناك ممالك وإمارات. وهذا النمط من السرد التاريخي لا غرض له سوى تقديم تفسير عن وجود العرب وأسباب هجراتهم من خلال ربطها بعصر الاحتلال الفارسي. لقد ارتأى جواد علي (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) أن من الخطأ تصور، أن وجود العرب في بادية الشام وشاطئ الفرات وأطراف دمشق، يرتقي إلى أيام الآشوريين أو قبل ذلك بقليل، فوجود العرب أقدم من هذا العهد بكثير. والكتابات الآشورية هي أقدم كتابة وصلت إلينا وقد وردت فيها إشارة إلى العرب، لأن هذه الأرض امتداد لأرض جزيرة العرب. وهذا صحيح ومقبول. ولأن حملة نبوخذ نصر استهدفت القبائل العربية (ككل بما فيها اليهودية) في اليمن والجزيرة العربية، وذلك بدوافع دينية وسياسية تتعلق بكون بعضها جماعات توحيدية، شديدة الاعتزاز باستقلاليتها، بينما كانت الإمبراطورية الآشورية وثنية، وبسبب مقاومتهم الشديدة لفكرة الخضوع لإرادتها، فقد كان أمرًا مقبولًا في كتب الإخباريين العرب، أن يجري الاهتمام بهذا الجانب بوصفه واقعة تاريخية صحيحة. بيد أن خلط ودمج الأحداث والوقائع، سوف يتسبَّب في خلق نظرة

شكاكة، تقلل من قيمة وصدقية الجوانب التاريخية التي عالجها هؤلاء، بينما يمكن قبول الوصف الجغرافي في مؤلفاتهم بأقل قدر من التحفظ. إن كتب الإخباريين العرب إجمالًا، ومن منظور كونها سرديّات تقليدية، يندمج فيها **الأسطوري بالتاريخي**، تنتسب إلى التقاليد السردية ذاتها التي كتبت بها بعض أسفار التوراة من جانب الكهنة، وهي لذلك تصبح نموذجًا مثاليًّا لهذا الدمج، لأنها تخلط وقائع التاريخ بالأساطير والمرويّات. ومع هذا، فهي تقدم وصفًا جغرافيًّا صحيحًا. إن الجغرافيا ثابتة يصعب التلاعب بها، فالأماكن والمواضع لا يمكنها أن تنتقل أو تندمج، بينما التاريخ متحرك، وله قابلية ذاتية على دمج أحداثه بعضها ببعض، أو نسبتها إلى هذه الجماعة أو تلك. لهذا السبب وسواه، فسوف نقبل - نحن المعاصرين - بقدر ما من التحفظ، بالوصف الجغرافي في مؤلفات الإخباريين العرب، بينما يساورنا شك قوي في صحة التاريخ الذي يعرضه هؤلاء. وهذا ما نلاحظه عند التدقيق في رواية المسعودي لحادث السبي البابلي، مثلًا، ففي (مروج الذهب) يرى أن (**بني حضور أمة عظيمة ذات بطش وشدة، فغلبت على كثير من الأرض والممالك، وقد تنازع الناس فيهم: فمنهم من ألحقهم بالعرب البائدة، ومنهم من رأى أنهم من ولد يافث بن نوح. وقد بعث الله عز وجل إليهم شعيب بن مهدم بن حضور بن عدي نبيًّا**)[1]. ومن الواضح، طبقًا لهذه الرواية، أن اسم مخلاف حضور، له صلة بنسب النبي شعيب فهو من بني حضور. وهذا تأكيد لما ذهب إليه الهمداني من قوله، إن أسماء المواضع والأماكن في اليمن والجزيرة، هي أسماء آباء وجدود أو آلهة. بيد أن

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام 346 للهجرة، اعتنى بها الدكتور يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان. 1: 355 دون تاريخ نشر.

المسعودي يقوم بتقديم توضيح هام لمقاصده من اسم شعيب، فيقول: وهذا غير شعيب رعويل صاحب مدين الذي تزوج موسى ابنته، فبينهما مئون - مئات - من السنين -.

ولما بُعِثَ شعيب (الآخر) إلى حضور، واشتد كفرهم، خَوَّفهم وتوعدهم، فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل أظهرها الله على يديه، تدل على صدقه وتثبت حجته على قومه، فلم يضيع الله دمه، ولم يكذب وعيده، **فأوحى الله تعالى إلى نبيّ كان في عصره وهو برخيا بن أخبيا بن زنائيل بن شالتان، وكان من سبط يهوذا بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، أن يأتي بختنصر، وكان بالشام، وقيل: غيره من الملوك، فيأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق[1] لبيوتهم، فلما أتى برخيا ذلك الملك قال له الملك:** صدقت، لي سبع ليال أؤمَرُ في نومي بما ذكرت، وأنادى بمجيئك إليّ، وأبشر بخطابك ويُقال لي ما أمرتني به، وأن أنتصر للنبي المقتول المظلوم، فسار إليهم في جنوده وغشي دارهم في عساكره، وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربه من حيث عَمَّ الصوت جميعهم، فلما سمعوا ذلك علموا أن الأمر قد نزل بهم، فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم، وولَّت كتائبهم يتراكضون، وأخذهم السيف، فحصدهم

(1) من المحتمل أن المسعودي وسائر الإخباريين العرب كانوا يعرفون هذا التوصيف. وثمة احتمال ضعيف أنهم أخذوها من النص العربي للتوراة.

أجمعين. وقد ذكر أن في قصة هلكهم قال الله عَزَّوَجَلَّ من قائل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[1].

إذا ما قبلنا هذه الرواية بطابعها الأسطوري الاستثنائي، وهي تحريف لأسطورة حلم العاهل الآشوري نبوخذ نصر التي روتها التوراة؛ فإن المكان الذي اتجهت إليه حملته لن يكون فلسطين بكل تأكيد، لأنه سار للثأر من قتلة النبي شعيب في مخلاف حضور اليمني. وبالطبع، لا يوجد أي دليل تاريخي على واقعة من هذا النوع تتعلق بمصرع نبي عربي[2] بأيدي قومه، كسبب وحيد لشن حرب ضخمة، ولعل السجلات الآشورية خالية تمامًا من ذكر هذه الواقعة، بينما نعلم من روايات أخرى أن نبوخذ نصر اتجه إلى بلاد الشام للثأر من قتلة النبي يوحنا المعمدان، وفي رواية أخرى أنه سار للثأر من قتلة النبي حنظلة بن صفوان في الجزيرة العربية. ولذلك؛ إذا ما قمنا بإزالة القشرة التاريخية الرقيقة من الأسطورة، وفصلنا بين ما هو تاريخي وما هو أسطوري في بُنيتها، فسوف نحصل على نصَّين متوازيين، يروي أحدهما خبرًا صحيحًا عن مسار الحملة العسكرية، فهي اتجهت صوب حضور، أما الثاني فسرد أسطوري يروي بشروط إنشاء الأسطورة تصورات عمومية عن دوافع زحف نبوخذ نصر، وبحيث يبدو كما لو أنه كان يقوم بأعماله الحربية لخدمة آخرين يأمرونه بالزحف للاقتصاص من القتلة هنا وهناك. وللتدليل على أن الإخباريين المسلمين كانوا يقدمون روايات مضطربة ومشوشة عن حدثٍ، لا يملكون عنه وثائق ومعطيات صحيحة ودقيقة، فيلجأون إلى ربطه بأحداث دينية، قد تكون وقعت في عصر قريب؛ فإننا نسوق نموذجًا شائعًا في كتب

(1) سورة الأنبياء، الآية: 12.

(2) المقصود بالنبي القتيل اشعيا الذي سجن وعُذب لأنه وقف ضد التمرد الذي قادته القبائل ضد الآشوريين - انظر الفصل الخاص بتحليل القصائد - .

هؤلاء، مثلًا المسعودي[1] فهو يحدد موقع حضور على النحو التالي:

> وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه: فمن الناس من رأى أنهم كانوا بأرض السماوة، وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة، وذلك بين العراق والشام إلى حد الحجاز، وهي الآن ديار خراب براري وقفار، ومنهم من رأى أن ديارهم كانت بلاد جند قنسرين إلى تل ماسح إلى خناصرة إلى بلاد سورية، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة إلى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام.

وهذا وصف غير صحيح ولا يمكن قبوله، لأن حضور مخلاف شهير من أهم مخاليف اليمن (أي من ممالكها القديمة). وهو يدلُّ على أن المسعودي لم يكن يعرف أي شيء عن تاريخ هذا المخلاف - المملكة. وهكذا، وبسبب هذه الرواية المضطربة التي يقدمها، وسواها من روايات مماثلة قدمها آخرون، فقد وقع بعض المؤرخين المسلمين المتأخرين في فخ النقل غير الدقيق، وبحيث جرى التركيز من دون سبب مقبول على أن الحملة جرت في بلاد الشام. وعلى سبيل المثال؛ فإن لغويًا عظيمًا مثل أبي منصور الثعالبي[2]

---

(1) المسعودي 1: 355.

(2) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف سلسلة ذخائر العرب - 57، وانظر النسخة الإلكترونية 1515/ 113 - 1/ 1 (عن سعيد بن المسيب، قدم بخت نصر دمشق، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفًا، فسكن، وقد طعن في صحة هذا القول) ثمار القلوب: 61. (وروى المحدثون عن النبي ﷺ أنه ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبخت نصر. ثمار: 238).

ينقل عن سعيد بن المسيّب وهو من الفقهاء المسلمين الكبار قوله (**وقدم بخت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفًا**). وهذا الخبر يخلط بصورة مأسوية بين العصور، بحيث يصبح يحيى (يوحنا المعمدان) معاصرًا للآشوريين في عهد نبوخذ نصر، وتصبح الحملة كتدبير عسكري للثأر من قتلة النبي، وهذا أمر لا يؤيده التاريخ المكتوب. كما أن بلاد الشام في الأصل كانت ضمن النفوذ الآشوري، ولم تكن هناك دلائل من أي نوع على وقوع اضطراب فيها أدى إلى تسيير حملة حربية. وكنا رأينا من نموذج المسعودي[1] أن الحملة قصدت مخلاف حضور اليمني للاقتصاص من قتلة شعيب النبي. إليكم وصفه لبلاد (أرض) سبأ:

وذكر أصحاب التاريخ القديم، أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن، وأثْرَاها وأغْدَقها، وأكثرها جنانًا وغيطانًا، وأفسحها مُرُوجًا، مع بنيان حسن وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاثفة، وأنهار وأزهار متفرقة، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجدِّ على هذه الحالة، وفي العرض مثل ذلك، وأن الراكب والمارّ كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها تواجهه الشمس ولا تعارضه؛ وكان أهلها في أطيب عيش وأرْفَهِهِ وأهنأ حال، وأرغد قرى، وفي نهاية الخصب، وطيب الهواء، وصفاء الفضاء، وتدفق الماء، وقوة الشوكة، واجتماع الكلمة، ونهاية المملكة. وكانت بلادهم في الأرض مثلًا، وكانوا على طريقة حسنة من أتباع شريف الأخلاق، وطلاب الأفضال على القاصد

(1) المسعودي: 1: 375.

> والسفر بحسب الإمكان وما توجبه القدرة من الحال؛ فمكثوا على ذلك ما شاء الله من الأعصر (العصور)، لا يعاندهم ملك إلّا قَصَموه، ولا يوافيهم جيش إلّا كسروه، فذلت لهم البلاد. وأذْعَنَ لطاعتهم العباد، فصاروا تاج الأرض.

وهذا التوصيف المنمَّق، المذهل في جزالته، يشير إلى أرض ممالك (مخاليف) حصينة، كانت متمنعة حيال الخضوع. لذلك، ولأجل تفكيك هذا الدمج فسنقوم بإعادة تحليل النقوش الآشورية للتحقق من خط مسار الحملات العسكرية، والبرهنة على أن حادث السبي البابلي لم يقع في فلسطين قط.

وصف اليمن والجزيرة العربية في النقوش البابلية والآشورية

من المنظور الجغرافي يشكل العراق امتدادًا طبيعيًا لساحل الخليج العربي، كما أنه يتصل بجزيرة العرب من البرّ عبر سلسلة من التخوم الصحراوية الجنوبية. ويتضح من تاريخ الدولة البابلية ثم الآشورية، أن الإمبراطورية العراقية بسطت نفوذها على سواحل البحر الأحمر ومدن الداخل[1]. وكل هذا تؤكده الأساطير والمرويات التاريخية التي ربطت بين العراق والجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر الطويل، فهي ذات أساس جغرافي يصعب تجاهله أو التلاعب به. ولأجل مناقشة مسألة الحملات العسكرية الآشورية ومسرحها الجغرافي، فسوف نقوم بمناقشة القراءة التي قدمها جواد علي في المفصل لهذه الحملات، لنبيّن نمط المشكلات التي تثيرها هذه القراءة، ومن أجل أن نعيد وضعها في إطارها التاريخي الصحيح، كما سجلته السجلات الآشورية والتوراة. يدعى البحر الأحمر عند الجغرافيين

(1) تاريخ العرب (مطول) د. فيليب حتي، د أدوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، 1961، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع/ بيروت ط 1949، ط 1961، ج/ 1، 39، جواد علي: المفصل: ب 2، 1993، 3/ 885.

اليونانيين الكلاسيكيين Sinus Arabicus. وعلى سواحل هذا البحر، دارت أعظم المعارك بين المصريين والآشوريين من أجل بسط السيطرة عليه. لقد كان العالم القديم محكومًا بتوازن قوى الحضارتين التاريخيتين في وادي النيل ووادي الرافدين، ولم تكن فلسطين (جنوب سورية التاريخية) بطبيعة الحال سوى قطاع صغير وهادئ يخضع لنفوذ الآشوريين الكامل.

ولذلك لا توجد خارج إطار الرواية الاستشراقية لقصص التوراة، أية دلائل عن وجود صراع مصري - آشوري حول فلسطين المزعومة أو داخلها، ومن دون أن يعني ذلك، نفيًا لتاريخ من الصراع الذي نشب بين الطرفين؟ وبينما تحتفظ لنا السجلات والمقتنيات الأثرية بوقائع صحيحة، ومؤكدة عن صراع ضارٍ دار على سواحل البحر الأحمر طوال عقود متواصلة؛ فإن هذا التاريخ يصمت عن ذكر أي شيء عن صراع مصري - بابلي حول فلسطين. ويحدثنا نص سومري - أكدي يعود إلى عام 2400 - 2371 ق.م، ويخص فتوحات لوكال - زاجي سي Lugal - Zagge - Si أحد ملوك السلالة الثالثة من ملوك الوركاء Uruk أن فتوحاته كانت تمتد من البحر الأسفل (الخليج العربي) إلى (البحر الأعلى) Upper Sea أي البحر المتوسط.

وبرأي جواد علي[1]؛ فإن ذلك يشير إلى أن حكم هذا الملك شمل الخليج العربي بأسره. وكانت فتوحات سرجون الأكدي المعروف باسم شرو - كين Sharru - kin 3371 - 2316 ق.م، قد بلغت ما يسميه الجغرافيون اليونانيون، البحر التحتاني. أي سواحل البحر الأحمر، فقد استولى على مواضع منه. وهذا أقدم نص يخبرنا بوصول الأكديين، وفي وقت مبكر من صعود الدولة في العراق التاريخي إلى هذا الجزء من العالم القديم. وينبغي

(1) جواد: 1/ 256، 3/ 885.

في هذا السياق، ملاحظة أن الحملات الحربية لتاديب القبائل العربية البائدة، المتمرّدة على الإمبراطورية، كانت ذات تقاليد عسكرية صارمة، ولم تكن مجرد حملات موسمية وتقليدية. وممّا يؤكد هذا الطابع الاستثنائي في السلوك الإمبريالي للدولة الإمبراطورية في العراق القديم، أن هذه الحملات ظلت متواصلة حتى بعد سقوط بابل. ولعل حملات ملوك الحيرة (الكوفة حاليًا في الفرات الأوسط) تؤكد حقيقة أن ضرب وتأديب القبائل المتمرّدة، كان من السياسات الثابتة، وبلغت ذروتها مع حملات المنذر الأكبر بن ماء السماء 554م التي استهدفت نجران. ولذلك لا يبدو العراق القديم بمعزل عن أرض الساحل وجزيرة العرب. ويبدو من نقوش نارام - سن (نرام - سين الأكادي Naram -sin 2270 - 2223ق.م) التي روى فيها ظروف استيلائه على الممالك المتصلة بأرض بابل، وكان سكانها من العرب Aribu - Arabu، أن العراق التاريخي كان يتمّدد فوق مساحة جغرافية واسعة منذ وقت مبكر. والأمر المؤكد طبقًا لهذه النقوش، أن نرام - سن، هيمن على الممالك الصغيرة في سياق حملات متواصلة، سوف تستهدف سواحل البحر الأحمر تاليًا. وطبقًا لما ورد في التوراة، فقد شن الآشوريون نحوًا من ستة حروب كبرى، استهدفت بني إسرائيل والقبائل العربية في البادية، وقد سجلها الكتاب المقدس لليهودية بدقة في عدد من الأسفار، بينما تؤكد السجلات التاريخية أن عدد الحملات التي شنها البابليون والآشوريون خلال ما يزيد عن مائتي عام متواصلة، بلغ نحو تسع حملات متتابعة انتهت بحملة نبوخذ نصر الذي قام بأكبر عملية سبي جماعي للقبائل.

إن هذا العدد الضخم من الحروب، وسواء أكانت ستة حسب التوراة أم تسعة حسب السجلات الآشورية، يشير بوضوح تام إلى طابعها الفريد والاستثنائي، فهي ترتبط بالتوسّع الإمبريالي الذي طبع بطابعه تطور

الإمبراطورية الآشورية. ولذلك، فليس الجانب التاريخي في الحملات مطروحًا للنقاش، بمقدار ما تبدو الجغرافيا التي دارت فيها الحروب هي المعضلة، لأن الخلاف بين العلماء يدور اليوم حول المسرح الجغرافي لا التاريخي، لمرويات التوراة عن حملات الآشوريين، وما إذا كانت قد دارت بالفعل في فلسطين القديمة أم في مكان آخر؟ ومن أجل تمكين القرّاء من الحصول على مقاربة دقيقة بين النصوص التوراتية، ونصوص السجلات والنقوش التي تركها لنا الآشوريون من جهة، ومن جهة أخرى بين هذه النصوص وما سجله الإخباريون الكلاسيكيون من العرب والمسلمين، فسوف نبدأ من أكثر الحملات التاريخية نموذجية، نعني حملة سنحاريب وابنه من بعده أسرحدون، بوصف هاتين الحملتين المتتابعتين من بين أكثر الحملات الحربية التي حظيت بتسجيل مذهل للجغرافيا. وبكلام آخر؛ فإن طاقة النقوش على تقديم وصف جغرافي دقيق لمسرح المعارك، يجعل من تسجيلها نوعًا من اللقى الأثرية التي لا تقدر بثمن. وكما رأينا من نص الطبري فإن أسرحدون - الابن وليس سنحاريب الأب - هو الذي اضطرّ إلى سحب جيوشه ووقف عملياته الحربية، لا لأنه تعرض للهزيمة على يد صدقيا ملك إسرائيل، وهو أمر لم يحدث في هذه الصورة، بل لأنه تلقى أنباء عن اغتيال والده في بابل.

تكمن أهمية هذه النقطة العابرة، في أنها تأكيد على وجود تطابق بين النقوش والإخباريات العربية القديمة في العديد من الوقائع. وهذا ما نراه بوضوح عند تحليل نقوش حملة سنحاريب.

1: حملة سنحاريب وأسرحدون 680 – 669 ق.م

إن إعادة بناء الرواية التاريخية لحادث السبي البابلي، تتطلب مقاربة جديدة بين النقوش الآشورية والمرويات العربية القديمة، لاستخلاص فكرة

جديدة ومغايرة. ومن الهام للغاية ملاحظة، أن المؤرخين العرب القدماء، يجمعون على أن اليهودية ظهرت في اليمن، وأن سليمان الملك - النبي كان هناك. يقول ابن الكلبي[1]:

> واتخذت حِمْيَر نسرًا[2]، فعبدوه في أرضٍ يقال لها بلخغ، ولم أسمع حِمْيَر سمَّت به أحدًا ولم أسمع له ذكرًا في أشعارها ولا أشعار «أحد من العرب»، وأظن ذلك لانتقال حِمْيَر أيام تبّع إلى اليهودية.

ويبدو أن قصة انتقال أو عودة اليهودية إلى اليمن في مؤلفات الإخباريين الكلاسيكيين، تدور داخل تواريخ متناقضة، فتارة يقصد بها الإشارة إلى حملة تبّان أسعد كرب على مكة، ثم غزواته على تخوم الإمبراطورية الآشورية، وتارة يقصد بها تحول اليمن إلى اليهودية في عصر ملكها المتهوّد ذي نواس الحميري عام 523م. ولكن من المؤكد أن حملة تبان أسعد كانت أول محاولة لإعادة بعث اليهودية القديمة، وهي محاولة فاشلة تحطمت فور عودته من غزوة شنها على تخوم الإمبراطوية الآشورية، واجتاز فيها الجزيرة العربية في العمق. وبالطبع، فهذه المحاولة أقدم بكثير من محاولة الملك الحميري ذي نواس الحميري (يوسف بن زرعة). ومما يدلل على ذلك أن الإخباريين يربطون بين حملة تبان أسعد هذه، وبين العودة إلى اليهودية وتحطيمه الأصنام. يضيف ابن الكلبي[3]:

---

(1) أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي: الأصنام، ط/أحمد زكي باشا، 3 - القاهرة/ دار الكتب العربية، 1995، 11.

(2) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، الترجمة المنحولة إلى ابن وحشية، تحقيق توفيق فهد، 3 أجزاء طبعة المعهد العالي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1993، ص 292: نسر هو صنم تهامة الذي عبدته سائر العرب وهو الصنم الذي ذكره ابن وحشية في مرويته عن نواح الأصنام على تموز.

(3) الأصنام: 12.

وكان لحِمْيَر أيضًا بيت يقال له ريام يعظمونه ويذبحون عنده الذبائح، وكان فيما يذكرون، يُكلمون منه. فلمّا انصرف تُبّع من سيره الذي سارهُ إلى العراق، قَدِمَ معه الحبْران اللذان صحباه من المدينة، فأمراه أن يهدم ريام. قال: شأنكما به، فهدماه وتهوّد تبّع وأهل اليمن.

ويُفهم من سائر هذه الأخبار بطابعها الأسطوري، أن القبائل العربية الوثنية كانت تشن غارات متزامنة على تخوم الإمبراطورية الآشورية، ولكن في سياق محاولتها العودة إلى اليهودية القديمة التي اندحرت وتلاشت من المسرح التاريخي. وفي هذا الإطار يتوجب رؤية الحملات التي قام بها الملوك الآشوريون على الساحل اليمني. لقد كان الغرض منها إخماد حركات تمرّد مستمرة ومتواصلة، فخلال حملتين متتاليتين، تمكن كل من سنحاريب (سنحريب) وولده أسرحدون 680 - 669ق.م، من فرض السيطرة على أجزاء واسعة من الجزيرة العربية وإخضاع القبائل المتمردة هناك. وبحسب جواد علي[1]؛ فإن نعت المؤرخ اليوناني هيرودوت، لسنحاريب بأنه (ملك العرب والآشوريين) هو تأكيد لنجاحه في قمع تمرُّد الأعراب على الإمبراطورية في مواضع عدة. ويبدو من السجلات التي وصفت الحملة، أن جيش أسرحدون واجه أثناء اختراقه البادية مصاعب وأهوالًا يصعب تخطّيها، فعدا عن وعورة الأماكن التي كان عليهم اختراقها لمطاردة القبائل المتمردة، كانت هناك مصاعب ومخاوف من نوع آخر، فقد شكا الجنود لقائدهم بمرارة من كثرة الثعابين والأفاعي التي تطير في السماء، وكانت تهاجم المعسكرات ليلًا، وتثور عليهم وتقفز أمامهم كما يذكر نص أسرحدون، ومن بينها ثعابين ذات رأسين أو أجنحة. وعندما سار جيش

(1) المفصل: 3/ 885.

أسرحدون في أرض بزو Bozu، شاهد الجنود كيف أن الأرض كانت مغطاة بالثعابين والعقارب، وكانت لكثرتها مثل الذباب والبعوض(1). والتوراة تسمي مكانًا بعينه بزو בוז. إن تحقيقاتي الشخصية التي قمت بها طوال سنوات من العمل الشاق في مؤلفي السابق (فلسطين المتخيّلة) للتأكد من صحة الفرضيات المقدمة عن خط الحملة الحربية الآشورية، تؤكد ما يلي:

ليس ثمة مكان يوصف بأنه من أماكن الوحش في البيئة الصحراوية التي اجتازها الجيش الآشوري سوى الموضع الذي وصفه الهمداني وسمّاه البزوه (خبت البزواء) في بلاد بارق من ناحية غور السراة. لقد وصف المؤرخ اليوناني هيرودُوت(2) هذا الموضع بعد نحو 169 عامًا من حملة أسرحدون هذه (500 ق.م) في كتابه وصف مصر، وكتب عن الثعابين الطائرة في المكان نفسه على هذا النحو:

يوجد مكان في (شبه الجزيرة) العربية وهو مقابل مدينة فوتو - بوتو تقريبًا. ولقد ذهبت إلى هذا المكان لأستفسر عن الثعابين المجنحة. وبعد أن وصلت شاهدتُ عظام أعمدة فقرية لثعابين لا يمكن وصفها، إذ كانت توجد كتل من الأعمدة الفقرية الكبيرة وأخرى أصغر منها، وغيرها صغيرة جدًا. وكانت هذه الأكوام كثيرة، وكان المكان الذي فيه الأعمدة الفقرية منتشرة، ومكدّسة بعضها على بعض بهذا الشكل، مدخلاً ضيّقًا ينحدر من الجبال إلى سهل كبير، ويتصل هذا السهل بالسهل المصري. وهناك رواية تقول إنه في الربيع تطير

(1) المفصل: 3/ 885.

(2) هيرودوت، وصف مصر، نقله إلى العربية الدكتور محمد المبروك الدويب، ط/ جامعة قار يونس، ليبيا، 2006 ص، 49.

الثعابين المجنحة من البلاد العربية إلى مصر. لكن الطيور أبا منجل تخرج ويجتمع بعضها مع بعض في هذا المدخل من البلاد، ولا تسمح للثعابين بالدخول وتقتلها. ولهذا السبب يقول العرب إن طائر أبا منجل يشرف كثيرًا من المصريين[1].

ومن الواضح أن هذا المكان لا صلة له بفلسطين وهو كما ارتأى هيرودُوت، يقع في شبه الجزيرة العربية. لقد واصل الجيش زحفه برغم هذه المصاعب والأهوال واستولى على أماكن ومواضع أخرى، كما أسر الأميرة تبؤة Tabua ظبوة. وقد سقطت في يده مواضع كثيرة منها أدوم (أدومو Adumu) التي توصف بأنها مساكن أريبي، أي مساكن وادي العرب، حيث استولى على أصنامها وأسر ملكتها ءشكالاتو Iskallatu التي كانت كاهنة الإلهة دبت Dibat. وهذا الاسم هو ذاته اسم الوادي الشهير ءشكول الذي وصفه الهمداني، وُيرسم في التوراة في صورة ءشكول אשכול . وقد وصف الهمداني ديار قبيلة عربية قديمة هي (بنو شكل - الشكل) لا تزال منازلها حتى اليوم في محافظة البيضاء شمال اليمن. أما دبت Dibat التي كانت تتعبد لها هذه الملكة الكاهنة فهي اسم الوادي (دبة - دبت) الذي وصفه الهمداني كوادٍ متصل بساحل بني مجيد (ما يعرف بمجدو في التوراة) وقال عنه (الدَّبيَّة لبني الحماس من بلحارث بن كعب)[2]. وبنو كعب هم سادة نجران، وأساقفتها الذين كاتبهم النبي ﷺ. وفي وادي نجران شعبة من وادي نخلة تعرف بالشعبة اليمانية حيث يوجد معبد الإلهة العُزّى. وسأتوقف عند هذا الاسم المثير: دبيت (دبية) إذ من الواضح أنه اسم وظيفة الكاهن في المعبد

(1) هيرودوت، 49.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب: تحقيق، محمد بن علي الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990 - ص178.

لا اسم الصنم. وقد ورد في مرويات وأخبار العرب والمسلمين، أن دبية - دبيت كان كاهن العزى التي عضدها خالد بن الوليد بطلب من النبي ﷺ. وسأكتفي من النصوص الكثيرة عن هذا الكاهن الذي ظل يحمل لقب دبية، سواء أكان امرأة أم رجلًا حتى ظهور الإسلام، برواية ابن الكلبي في (الأصنام). يروي ابن الكلبي[1] ما يلي:

وكان سَدَنَة العُزّى بني شيبان بن جابر بن مرّة (بن عبس ابن رفاعة بن الحارث بن عُتبة بن سليم بن منصور).
وكان آخر من سَدَنها منهم دُبيّة «ابن حَرمى السُّلمّي» وله يقول أبو خراش الهُذليّ و«كان» قدمَ عليه فحذاه نعلين جيدتين[2] فقال:

حَذاني بعد ما خَذمت نعالي دُبيّة إنَّه نعمَ الخليلُ
مقابلتين من صلوى[3] مُشبّ من الشيران[4] وصلهُما جميل

ما يلفت الانتباه في هذه المروية، أن ساردها يقطع بحقيقة أن سدانة العُزّى كانت في بني سليم، وأن آخر من سَدَنها منهم هو دُبيّة، وقد وصفه الشاعر بأنه «الخليل». وبالطبع؛ فإن وصف الشاعر لهذا الكاهن بأنه (نعم الخليل) ينصرف إلى مجاورته للإلهة. وهذا اللقب هو لقب النبي إبراهيم الذي سمي به لقربه من الله. وكانت العُزّى حسب إجماع الرواة في وادي نخلة الذي تمتد شعبة منه باتجاه نجران[5]. ومع ذلك، فهناك خلاف بين

(1) الأصنام: 22، 24، 25.
(2) أهداه نعالًا.
(3) الصلى: وسط الظهر.
(4) وعند ياقوت: من الثيران وهذا خطأ - انظر هامش أحمد زكي باشا.
(5) ديار بني سليم وفي التوراة وادي شليم - سليم.

الرواة حول اسم الكاهن (السادن) فالمقريزي، نقلًا عن الواقدي، يقول إنه أفلح بن النضر الشيباني من بني سليم[1] ولا يقول إن اسمه دُبيّة. ولذلك، يمكن الافتراض أن دُبيّة كان لقبه لا اسمه. ولكن اللقب هذا، إذا ما قمنا بتحليل مضمونه الديني، يجب أن يكون دالًا على وظيفة الإلهة العُزّى نفسها، فهي نخلة (شجرة). والمعبد نفسه مؤلف من بيت تحيط به ثلاث شجرات نخيل على هيئة امرأة[2] وجاء في رواية الأصنام: فلما كان عام الفتح دعا النبي ﷺ خالد بن الوليد فقال: انطلق إلى شجرة ببطن نخلة - أي ببطن الوادي - فاعْضدها:

فانطلق خالد وأخذ دُبيّة فقتله وكان سادنها، فقال أبو خراش الهُذليّ في دُبيّة يرثيه:

مـا لـدُبـيّـة الـيـومَ لـم أرَهُ	وسط السروب ولم يلمم ولم يطفِ
لـو كـان حـيًّـا لـناداهـم بـمـتـرعـة	من الرواريق من شيزى بني الهطفِ[3]
ضخم الرماد عظيم القدر جفنتهُ	حين الشتاء كحوض[4] المنهل اللَّقفِ

ويتضح من هذه القصيدة، أن سادن العُزى (كاهنها) كان يسقي زوارها النبيذ، وهذه هي وظيفة الخليل (الكاهن) الدينية في الوثنية، فهو يعيش جوار الآلهة لا يبرح مكانه ويقوم بخدمة المتعبدين. والمثير للاهتمام، أن اسم دُبيّة هذا مأخوذ من اسم آنية الخمر ومفردها دبّة[5] وتجمع دُبّاء. وفي حديث النبي ﷺ أنه نهى عن الدُّبّاء، وهي أوعية - آنية - كانوا ينتبذون فيها، أي

(1) الأصنام، هامش المحقق ص: 25.
(2) الأصنام: 24، كانت العُزّى شيطانة تأتي ثلاث سَمُرات ببطن نخلة.
(3) الهطف بطن من عمرو بن أسد.
(4) الحوض اللقف الذي يهدم من أسفله.
(5) وحتى اليوم لا يزال أهل العراق والشام يسمون آنية العرق - الخمر، دبّة.

يضعون فيها الزبيب ليغلي، فكان النبيذ فيها يغلي سريعًا ويكون مسكرًا[1]. وهذه كلها، صور نموذجية لإلٰهة الخمر العربية القديمة.

وقد يكون اسم دبا، انتشر في وقت ما بانتشار عبادة إلٰهة الخمر هذه، فأطلق على أماكن أخرى، منها سوق شهيرة في الجاهلية ما بين البحرين وعُمان. وفي الروض المعطار، ما يؤكد أن الاسم أطلق على موضع شهير هو دبا[2]:

> ودبا فيما بين عمان والبحرين، قدم وفد الأزد من أهل دبا على رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، فبعث فيهم مصدقًا منهم يقال له حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دبا، وكتب له فرائض صدقات أموالهم ثم رسم له أخذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم، ففعل.

ويبدو أن جواد علي لم يفطن إلى أنه كتب بنفسه أن دبا - دبية (بالتاء اللاصقة على جري تقاليد الكتابة اليمنية القديمة) ما يلي[3]:

> وفي عُمان مدن قديمة، منها صحار ونزوة، ودبا أو دما، وكانت من المدن المهمة في أيام الرسول، وهي عاصمة عمان الشمالية، كما كانت سوقًا من أسواق الجاهلية، وسكانها من الأزد.

ويمكن الاستنتاج من كل ذلك، أن الحملة استهدفت نجران، وأن سنحاريب استولى على أصنام بني سليم. وأريد هنا لفت أنظار القرّاء إلى الفكرة التالية: حسب ما نقله لنا الهمداني فإن كل أسماء المواضع والأماكن

(1) ابن منظور، لسان: 14/ 249.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان 2/ 434، الروض المعطار: 228.
(3) جواد علي، 1/ 174.

في اليمن هي أسماء آلهة أو آباء قدامى. وهذا أمر هام للغاية يجب الاهتمام به، فما يبدو لنا في هذه النصوص أسماء ملوك وملكات وأصنام، أصبح في عصر الهمداني أسماء جبال ومياه ووديان. ولنلاحظ كذلك، أن اسم أدوم يرتبط باسم أريبي الذي ورد في التوراة في الصيغة ذاتها אדומים في مواضع عدة[1] ارتباطًا بالصراع ضد الآشوريين. وقد فهم بعض علماء الآثار من التيار التوراتي أنه ينصرف إلى دومة الجندل، وأن المعارك دارت هناك. ويرأينا أن هذا خطأ كرره جواد علي، لأن أدوم جبل شهير في الجزيرة العربية وفي وادي العرب (أريبي) أي مساكن أريبي. كما أن رسم الاسم في صورة أدومو لا يطابق رسمه في صورة دومة، بينما نعلم أن الواو الأخيرة في الأسماء حرف صوتي وليست من أصل الاسم، كما في لهجات العرب من سكان السواحل: مثل عبدو في عبد، وأحمدو في أحمد.. الخ. واستنادًا إلى وصف الهمداني، فقد عرف العرب القدماء جبلين بهذا الاسم، أحدهما أدوم في منطقة الجليل (جليل الجزيرة العربية وليس فلسطين) وأدوم آخر في اليمن.

هاكم وصف الهمداني في صفة جزيرة العرب[2]:

والمساكن من هذا المخلاف (مخلاف السحول) جبل

---

(1) انظر مثلًا منازل الأسباط عندنا في فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور.

(2) صفة: 81: وأدم بديار مزينة وأدم بالسَّحول جبلان، ذو الجليل من مواضع الوحش وذو الجليل على محجة نجد فيه ثمام وهو الجليل، ووعال من بلد ذبيان، الدنا وإليها ينسب أمواه الدُّنا جماعة ماء، وعويرضات، ردينة موضع تنسب إليه الرماح وهي قرية على شط البحر في المشرق وكذلك الخط في البحرين وإليه تنسب الرماح الخطية، وأما قنى مرَّان فقالوا مرَّان على محجَّة البصرة بينها وبين مكة أربع رحلات فإذا قيل القنى المرَّان فإنها جماعة مارن، ومر الظهران أسفل مكة وقد ذكرناه، الذُّهيوط بلد ناحية الشأم بين جذام وكلب، وبطن الأيم واد هناك وحسمى وصيداء وحارب وجلق ديار غسان وإيلياء -.

أدُم[1] وأرياب[2] موضع ذي فائش[3] (ويعلق محقق الكتاب ما يلي: وأرياب في رأس أدم من يحصب العلوّ وهو رأس صيد - وادي صيد -).

لنلاحظ أن الاسمين أدم ووادي صيد - صيدا (صيدون في التوراة وهذا وزن عبري وبناء مألوف للأسماء بزيادة الواو والنون التي تطورت برأينا إلى ألف ونون مثل عدن - عدنان) هما من مساكن القبائل العربية، ويرسمان في صورة أدم وعرب (واذي العرب) وصيد - صيدا كما في السجلات الآشورية والمصرية وعند الهمداني. ولعل الاسم أريبي الذي توهم جواد علي أنه (عريبي) وهو برأينا وادي العرب الشهير بمخاليفه وقبائله[4] يؤكد أن الفضاء الجغرافي المرسوم لا يشير البتة إلى فلسطين. أما أدم الآخر في الجزيرة العربية فهو أدم في ديار بني مُزينة في قلب الجزيرة العربية. وهناك موضع آخر بالقرب من سائر هذه المواضع يدعى أراب حسب وصف الهمداني[5] يقع بالضبط في الفضاء الجغرافي لمخلاف حضور في وادي مور الشهير. وهذا أمر مثير بالفعل، ويتطابق مع مزاعم الإخباريين العرب القدماء عن

---

(1) جبل أدم: وهو يسمى اليوم قيظان، ضبطه الأكوع بفتح الهمزة وكسر الدال. وهذا يوضح الكيفية التي تحدث فيها التغيّرات الفونيطيقية على الأسماء، فهو تغيّر طفيف لا يطاول سوى الحركات الإعرابية لا أكثر. وعند ياقوت الحموي (معجم البلدان): أدم من قرى اليمن ثم من أعمال صنعاء.

(2) أرياب: عزلة جبلية في جبل أدم. وأريب - أريبي بزيادة الياء اللاصقة الأخيرة هي النطق الآشوري لعريب - عرب والمقصود منه وادي - العرب - .

(3) فائش - فائس ويرسم في العبرية - سفر التكوين في صورة أليفز [illegible] .

(4) قال الأعشى في وصف أرياب (صفة جزيرة العرب: 198).

ويالقصر من أرياب لو بتّ ليلة لجاءك مثلوج من الماء جامد

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص 135.

مسار الحملة. يقول الهمداني[1]: **وأدم بديار مُزينة وأدم بالسحول، جبلان، وذو الجليل من مواضع الوحش على محجَّة نجد فيه ثُمام وهو الجليل.** بيد أن النص الآشوري لا يشير البتة إلى المكان الذي انطلق منه سنحاريب، صوب ما يُفترض أنه دومة الجندل، أي ما اعتقد علماء الآثار أنه Adummatu - Adumu. ويبدو أن خطأ في قراءة الاسم، قاد عالمًا مرموقًا من علماء الآثار هو موسل إلى الافتراض أن المقصود بهذا الاسم، دومة الجندل في عمق الجزيرة العربية، بينما سنرى تاليًا أن المقصود به أدم في مخلاف السحول باليمن.

يؤكد لنا كل هذا، أن روايات الإخباريين العرب عن الحملات الآشورية في مخلاف السحول، صحيحة تمامًا، ما دامت النقوش تتحدث عن استيلائهم على جبل أدومو ومساكن عريبي - العرب، وهذه أماكن ومواضع في مخلاف السحول. ومع ذلك فقد امتد نفوذ سنحاريب بفضل حملته هذه في الجزيرة العربية، ليشمل منطقة واسعة تمتد من قلب الجزيرة إلى حدود بابل. إن النص الذي تركه لنا سنحاريب، والقائل إن العرب في مملكة تلخونو (تل - هونو) كانوا يبتاعون الطحين والملابس والمواد الضرورية الأخرى من بابل[2]، يؤكد وجود روابط متنوعة سياسية وتجارية حقيقية. ويحسب نص النقش فقد اشترك العرب مع البابليين في الحرب على المقاطعات الآشورية في بلاد الشام. أي أن روابطهم القوية والوثيقة مع البابليين، مكنتهم من لعب أدوار حاسمة في الصراعات الداخلية ضد خصومهم الآشوريين. لكن، وعندما تمكن الملك الآشوري سنحاريب من

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص 295.
(2) المفصل: 1/ 175، 195، 199، 256 - 3/ 855.

بسط سلطانه على بابل في سنة 689 ق.م، قام بأعمال انتقامية ضد هذه المملكة، وتعقب الأعراب في البادية انتقامًا منهم لولائهم لخصومه البابليين، ومن الواضح أن حملته بلغت أدومو אדום . ويظهر من النصوص الآشورية أن خلافًا نشب داخل مملكة تلخونو (تل - هونو) بين القبائل العربية البدوية والملك حزاء يل (خزا ايلي حسب النقوش الآشورية وفي التوراة سفر الملوك 2 يرسم الاسم في صورة בן חזאל بن - حز - ءل) على خلفية الحملة الانتقامية. وبرأينا أن السبب الأهم الذي فجّر الخلاف، جاء في الواقع بعد أن تولى الملك بنفسه قيادة الجيش وتنظيم خطط الدفاع والهجوم. لقد فجّرت الهزائم التي منيت بها المملكة غضب واحتجاج القبائل، متهمة إياه بسوء القيادة. وحسب نص النقش الذي نقله جواد علي عن موسل؛ فإن مملكة تلهونو (غضبت على حزا إيلي ملك أريبي)[1]. فلماذا سمَّى الآشوريون حزا - ءيل ملك أريبي، وهو ملك تل - هونو؟ يقول اليعقوبي عن قبائل الهون ما يلي[2]:

> والهون من خُزيْمَة وهو القارة، وإنما سمّوا القارة لأن بني كنانة لمّا خرجت بنو أسد بن خُزيْمة من تهامة، وخالفوا كنانة، وضعوا القليل إلى الكثير، جعلوا بني الهون بن خزيمة قارة بينهم. ويقال إن بني الهون نزلوا أرضًا منخفضة، والعرب يسمّون الأرض المنخفضة القارة وقبائل بني الهون بن خُزيمة «هي» عضل ودبش ابنا يثع بن الهون. فأمّا الحكم بن الهون بن خزيمة فإنه صار إلى اليمن، فحل بلاد مذحج فولد بها أولاده.

---

(1) المفصل، 1/ 175، 195، 199، - 3/ 851.

(2) اليعقوبي، تاريخ: 1: 198 - 199.

يفسّر لنا نصّ اليعقوبي بعض ألغاز التوصيف الآشوري، فالملك حزا - إيلي هو أحد ملوك الهون - الهونو، وهؤلاء انتسبوا إلى كنانة العدنانية، وفي الآن نفسه كانوا يرتبطون بقرابات أسرية مع أسد القحطانية. وهذا النص الثمين يعطينا كذلك فرصة نادرة للتعرف على اسم الملك اليمني الذي اشتبك معه الآشوريون، فهو يثع، تمامًا كما في النقوش. إن العودة إلى وصف الهمداني لمنطقة الهون ووادي العرب (عريبي) سوف توضح هذا الالتباس. تقع الهون - هونو - خونو إلى الشمال من محافظة ذمار وتتصل بمخلاف السحول، حيث جبل أدم وفي أعلاه عزلة جبلية تدعى أرياب في الفضاء الجغرافي لوادي العرب. يقول الهمداني (مخلاف الهون - أي مملكة الهون - مخلاف واسع. والهان في ذاتها بلد واسع يسكنها آلهان بن مالك أخو همدان وبطون من حمير وقراها كثيرة - ويضيف محقق الكتاب: وقد غلب اليوم مخلاف أنس على اسم مخلاف الهان)[1]. هذا يعني أن الفضاء الجغرافي الواسع للوادي الخصب وادي العرب، كان يغلّب تسمية الملك باسمه، فهو ملك قبيلة الهون ووادي العرب. وفي النهاية استسلمت مملكة الهون (تلخونو - تل هون) للآشوريين، فجرى نهب الأصنام واقتيد الأعراب أسرى إلى نينوى عاصمة الآشوريين، كما أخذت الأميرة تبؤة - ظبوة Tabua أسيرة إلى عاصمة آشور، ولكن ليعاد تنصيبها ثانية أميرة على أريبي - وادي العرب، بعد أن خضعت سياسيًّا لإرادة الإمبراطورية. أما حزا ايلي (ᚏᚏᚏ حزاءيل) فقد أفلت مع أتباعه عندما اعتصم في رؤوس الجبال[2]، والحال هذه، فلم يكن بمقدور سنحاريب المغامرة بمطاردته في منطقة وعرة

(1) مخلاف الهان عند الهمداني - انظر صفة جزيرة العرب.

(2) انظر حديث ابن عباس كما أورده الهمداني (صفة) - مصدر مذكور، فهو يتحدث عن اعتصام بعض القبائل في رؤوس الجبال هربًا من الآشوريين.

داخل الوادي (وفي التوراة يرسم الاسم في صورة ها - عربة הערבה أي العرب). ثم تخبرنا المصادر الآشورية أن حزاءيل (حزا ايلي) قام فور وفاة سنحاريب وانتقال العرش إلى ابنه أسرحدون، وبعد زوال أسباب العداء بين الطرفين، بزيارة العاصمة الآشورية ليقدم بنفسه فروض الولاء والطاعة للعاهل الجديد الذي أعاد إليه الأصنام الأسيرة، ومنها عتر سمين[1] (عشتار السماوية) وصنم آخر يدعى صنم الإلهة ديه Daja [2] ونهيا Nuhaia [3] وإبيريلو (إبر ءيل - إبريل)[4] أي الله البارئ Ebirillu وعتر كرمه Atar Kurumaia [5] ويبدو أن بعض هذه الأصنام أصيبت أثناء وجودها في الأسر بالتلف، فأمر أسرحدون بإصلاحها وإعادتها إلى ما كانت عليه وإرجاعها إلى حزا إيلي بعد أن نُقشت فوقها عبارة إلى جوار اسم الملك، تفيد بتفوق إله آشور على الأصنام. فمن هو الملك حزا - ءيل (حزا - إيلي) الذي كان يتعبّد للإلهة دبيت ودية ونهيه وعتر سمين وإبرا - ءيل (إبريللو)؟ تزودنا الرواية التوراتية بمعلومات رائعة وتفصيلية عن هذه الحملة، لم تدونها السجلات الآشورية، من بينها التفاصيل الخاصة بصراع حزا - ءيل مع الآشوريين. وسوف نبدأ من اسم الإلهة نهيه Nuhaia. لقد تركت هذه الإلهة اسمها في وادٍ عظيم من وديان اليمن وبالصورة ذاتها، تمامًا كما في التوراة נחה . ولأن أسماء الأصنام، ترتبط بمنظومة معتقدات دينية (طوطمية) وأنماط حياة كذلك، فقد أصبحت ضمن شجرة الأنساب البشرية،

---

(1) عتر سمين: عشتار السماء إلهة الخصب عند اليمنيين.

(2) ديه - ديت انظر الدو عند الهمداني: 256، 278، 291، 345.

(3) نهيا - نهيه، صفة 51: النهية نهية حبونن، والربيعة بأسفل نجران. وكذلك ما كتبناه عن وادي نهية في (فلسطين المتخيلة).

(4) إبريل، اسم الإله العربي القديم إبرئ إيل: الله البارئ والذي صار من أسماء الله الحسنى.

(5) لاحظ العلاقة بين اسم المعبود كرمه وإلهة الخمر العربية.

وبحيث صار الإله (المعبود) والطوطم جزء من شجرة نسب الإنسان، وذلك ما تشهد عليه ظاهرة الأنساب عند العرب القدماء، حيث يصبح الإله أدد (هـ - ءدد أو هدد، حدد [illegible]) مثلًا، أبًا أعلى لعدنان. في هذا الإطار سوف يبدو أن لاسم الإلهة نهيه صلة باسم مكان (موضع) بعينه، أو بطوطم تجسد في صورة صنم معبود، وبحيث أصبح دالًّا على مكان أو طعام والعكس. ولأن الإخباريين القدماء سجلوا في رواياتهم أخبار حملة نبوخذ نصر، ولم يتحدثوا عن أية حملة أخرى لأي ملك بابلي أو آشوري آخر، بينما نسبوا كل ما جرى من دمار وخراب خلال تسع حملات جرت في عصور مختلفة إلى ملك واحد، فقد بات علينا القيام بعملية تفكيك شاقة، بهدف إعادة بناء الرواية التاريخية لكل حملة من هذه الحملات، بالاعتماد على السجلات والنصوص الإخبارية. من الواضح أن حملة سنحاريب (توفي عام 689 ق.م) استهدفت القبائل المتمردة التي جرى مطاردتها في عمق البادية، وأن اسم المملكة تل - هونو التي هاجمها تدعى بالضبط العربي تل - هون (هان) بما أن الواو الأخيرة حرف صوتي. وهؤلاء قبيلة عربية كما رأينا من نصوص الهمداني واليعقوبي. وفي هذه الحالة يجب أن تكون من ممالك تهامة اليمن[1] لأنهم حسب رواية اليعقوبي أقاموا هناك.

أراد أسرحدون من وراء عملية إعادة تنصيب الأميرة الأسيرة طبوت - طبوة - تبوة Tabua التي تربَّت آنئذٍ تربية مدنية آشورية، ومن جديد أميرة على أريبي، أن يضمن وإلى أقصى حد ممكن فرض سلطان آشور على أهم مخاليف اليمن القديم في وادي العرب. وهو حلم تحقق، ولكنه لم يدم طويلًا، لأن العداء بين الآشوريين والقبائل العربية كان عميقًا، وكانت طبيعة التناقضات والخلافات شائكة ومتراكبة، دينيًا وسياسيًا. ومع ذلك، فلم يكن

(1) انظر ما كتبه الهمداني عن مخلاف الهان.

أمام أسرحدون سوى هذا الإجراء لتثبيت أسس النفوذ الآشوري على القبائل المتمرِّدة. كما اعترف أسرحدون بحزا إيلي الملك المتمرد، ملكًا على قبيلة قيدار، ولكن مقابل إتاوة قدرها خمسة وستون جملًا. فلما توفي حزا إيلي سنة 675ق.م اعترف أسرحدون بوريثه في العرش وولي عهده ابنه يتع - يثع Uaite ملكًا جديدًا على القيداريين، شرط أن يدفع إتاوة سنوية كبيرة مقدارها ألف منّ Minae [1] من الذهب، والمن البابلي وحدة وزن تساوي نصف كيلو غرام. كما فرض عليه أن يدفع لخزانة الإمبراطورية جزية سنوية مقدارها ألف حجر كريم. والنصوص الآشورية ترسم اسم قبيلة قيدار في صورة قِدرو Kidru. وهذا الاسم ورد في نصوص التوراة في الصورة ذاتها קדר - قيدار. وهؤلاء قبيلة عربية قديمة عرفها اليونانيون وسموها بالاسم نفسه مؤكدين على أنها عربية، أي تمامًا كما في التوراة - قصيدة حزقيال - وأنها كانت تقيم في الفضاء الجغرافي نفسه لمملكة - مخلاف حضور (حصور في التوراة חצור التي هاجمها نبوخذ نصر ودمرها، واستولى على ممتلكاتها. والمثير للاهتمام أن سفر إرميا يشير إلى هذه الحادثة التاريخية، ويسجلها بدقة. والملاحظ أن الجزية الثقيلة التي اضطرَّ الملك إلى تقديمها، تضمنت نحو خمسين جملًا سنويًا محملة بكميات كبيرة من البخور. وهذا دليل على أن مسرح المعارك كان اليمن القديم الذي يشتهر حتى اليوم بإنتاج البخور، بينما لا يوجد لدى الأعراب في البادية ممتلكات ضخمة من البخور كما في نص النقش. وقد وافق الملك الجديد بسبب ظروف تنصيبه الصعبة، أن يدفع للآشوريين أضعاف ما كان يدفعه والده.

غير أن تقديراته للأوضاع الداخلية لم تكن دقيقة، فقد ثارت عليه القبائل، وقام زعيم قبلي ساخط يدعى أوبو Uabo بثورة عارمة عامة للتخلص

(1) المن: ما يعادل نصف كيلو غرام.

منه ومن سلطان الآشوريين. وحيال هذه التطورات، أسرع الآشوريون إلى إرسال جيش ضخم لإخماد الثورة، فتمَّ أسر أوبو Uabo وأخذ إلى نينوى. بيد أن ظروف الصراع وحالة الإمبراطورية المنهكة من تسيير الحملات العسكرية إلى أصقاع بعيدة ومناطق وعرة وصعبة، والقتال الشرس الذي كان على القوات خوضه، أدت إلى إضعاف قدرتها على إخماد أي تمرد أو ثورة داخلية من هذا النوع. ولذلك، قاد يثع Uaite الثورة هذه المرة بنفسه ضد الآشوريين وراح هو وأتباعه، يطرقون أبواب الإمبراطورية ويهددون حدودها المحاذية للبادية، فاضطر الآشوريون إلى تجهيز حملة جديدة هاجمت مضاربه، واستولت على ممتلكاته بما فيها الأصنام التي أخذت مع الأسرى مرة أخرى. أما يثع فقد وجد نفسه في خضم المعركة وقد أصبح بمفرده دون أنصار، ليفر صوب البادية كما ورد في النص. وكما رأينا من رواية اليعقوبي فإن يثع هذا كان من قبائل الهون، أي تمامًا كما في النص الآشوري، وهو والد الملك تبع الذي يقال إنه كان يشنُّ الغارات على تخوم بابل. إثر ذلك، قام أسرحدون عام 676ق.م بحملة أخرى على قبائل عربية تنزل أرض بزو Bazu قتل خلالها كما يقول النص، ثمانية ملوك، من بينهم ملك يدعى حازو - حزو وفي التوراة ءحاز. كما تمكن العاهل الآشوري من أسر ملكة يفأ - يافع وملكة با - إيلو (باهلة) Ba'ilu وملكة إخيلو - إكيل - Ihilu وأسر زعيمًا يدعى هابن عمرو[1] - بن عمرو Habanamru. كما أسر ملكًا يدعى ملك بتع وملك جبأ.

وأريد التوقف هنا أمام أسماء هذه القبائل القديمة. إن قبيلة إكيل Ikilu - من بطون همدان العظيمة التي تقيم في حقل صعدة، وتمتد مضاربها حتى وادي بطنة (الذي حيرّ اسمه علماء الآثار، وزعموا أنه بدنة - مدنة إلخ).

(1) لاحظ أن الاسم كان ينطق بأداة التعريف العبرية والعربية القديمة الهاء (ها - بن).

وقد وصف الهمداني مساكن إكيل هذه على النحو التالي[1]:

حقل صعدة: وتجتمع مياه هذه الأودية من أسفل البطنة ثم إلى همدان ثم إلى نجران. وصعدة سكانها الإكيليون من آل ربيعة سعد الأكبر.

يؤكد لنا هذا التطابق بين النقوش الآشورية ونصوص التوراة ووصف الهمداني لليمن، أن المعارك كانت تدور في صعدة. ولأن الآشوريين تمكنوا من أسر أحد ملوك هذه القبائل ويدعى ملك بتع Buda وآخر يدعى ملك جبأ، فمن الهام للغاية ملاحظة ما يلي: أن بتع Buda هذا ليس شخصية من نسج خيال الآشوريين. والهمداني يعطي نسبه واسمه على النحو التالي[2]: وأولد بتع الملك ابن زيد، علهان ونهقان الملكين، وأمهما جميلة بنت الصّوار بن عبد شمس. وفي أخبار اليمن القديمة، أنه لما قحط القطر في زمان يوسف عليه السلام وألحت الجراد وساءت أحوال اليمن والحجاز لأنها أرض مغلقة - مرتفعة - لا يسوح فيها، أمر بتع ابنيه علهان ونهقان أن يكتبا للناس إلى خزنة الملك). ويبدو أن الهمداني قرأ نقشًا بخط المسند[3] عثر عليه في صنعاء ما يلي: وفي مسند بصنعاء على بعض الحجارة التي نقلت من قصور حمير وهمدان: علهان ونهقان ابنا بتع لهم الملك قديمًا كان. وزيادة في التوثيق، يؤكد الهمداني نقلًا عن حديث محمد بن أحمد الأوساني[4] أن الأخير قرأ - بدوره - نقشًا بخط المسند في منطقة عمران من البون دار

---

(1) الهمداني صفة جزيرة العرب، ص 225.

(2) الهمداني: الإكليل - من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر - الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء 1990 ص 269.

(3) المسند، 9/ 269.

(4) الهمداني، الإكليل 14/ 268.

همدان ما يلي: (علهن ونهقن ابنا بتع بن همدان صحح - رمم - حصن وقصر حدقان بن زيد بن بنينا). وكل هذه الإشارات تؤكد أن بتع كان من ملوك همدان بالفعل، وكما وصفته النقوش الآشورية. والمثير للاهتمام أن الهمداني يرسم صورة دقيقة لنسب (قد يبدو لنا أسطوريًا). يقول: (وأولد بتع ابن حاشد ذا مرهب ءل. فأولد مرهب ءل ينوفًا ذا باع القيل - الملك - وهو أجلّ من وفد على سليمان عليه السلام من قيول - أقيال - اليمن مع بلقيس). كما ورد اسم بتع هذا في الشعر الجاهلي. قال علقمة:

قد مات يوسف ذو نواس ومات ذو بتع ينوف

ولذلك، نستنتج من كل هذه الإشارات، أن اسم بتع هو ينوف، وأن بتع لقبه. لكن نشوان بن سعيد الحميري[1] يفاجئنا بالمزاعم التالية: (ويقال إن بتع اسمه الأصلي بري ءل، أي صنعة الله - خلق الله. وذو بتع هذا زوج بلقيس - زوجة سليمان وهو صاحب السّدّ، سد بتع). نخلص من ذلك أن بتع الذي اصطدم بالآشوريين حسب النقوش، واستنادًا إلى طريقة رسم اسمه بالإنجليزية من جانب علماء الآثار هو تبع dbua (بتقديم وتأخير الباء) وهو لقب يمني شهير. ولعل نطقه في صورة بتع ناجم عن تقاليد الإبدال في الحروف عند القبائل التي كانت تساعد الآشوريين في تسجيل ونطق الأسماء. والمثير أن الحميري يخبرنا أنه هو نفسه إبر - ءل (إبريل) الذي أسر الآشوريون صنمه. وما يدلل على ذلك، أن التباعيين - من تبع هم من بطون همدان المقيمة في صعدة. وذلك ما يؤكده لنا الهمداني[2] الذي يقول

(1) نشوان بن سعيد الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن، المسمى خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة - بيروت، الطبعة الثانية 1978. ص 96 - 328.

(2) الهمداني، صفة 187.

في وصف مخلاف السحول: مخلاف السحول: وساكنه بطون من الكلاع وهي بطون من حمير منها السحول وجبأ الذي ينسب إليه جبأ المعافر والتباعيون من همدان. وفي هذا النص ما يؤكد، أنه من همدان، كما في المساند التي عرضها الهمداني كأدلة قاطعة على وجوده ملكًا على التباعيين. وبصدد اسم جبأ، يمكن الجزم أنه من الأسماء الشهيرة التي تدلُّ على مخلاف واسع وخصب في المعافر هو مخلاف جبأ. فهل يمكن الافتراض أن السبي البابلي حدث في فلسطين؟ في هذا السياق، تشير النقوش إلى أن أحد ملوك وادي يد - يدي Idai أفلت من الأسر، وسوف نأتي على ذكر هذا الوادي تاليًا، علمًا أننا تحدثنا عنه مطولًا في فلسطين المتخيلة، فهو الوادي الشهير الذي ورد ذكره في التوراة والشعر الجاهلي وفي وصف الهمداني بالصيغة نفسها. وللتدليل على نمط التأويل الاستشراقي - التوراتي السائد في علم الآثار، سوف أسوق المثال التالي عن النقاش الذي جرى بين العلماء حول تحديد موضع بزو وحزو: ارتأى كلاسر في تأويله لاسم بوز - بزو الوارد في نص سنحاريب، أنه موضع في الجزيرة العربية الشمالية. أي في الحجاز. أما موسل، فارتأى أن الوصف يشير إلى أنها تقع في بادية مجدبة ليس فيها غير الشوك ونوع من حجر يعرف بـ(حجر فم الغزال)[1]، وأن هذه البادية وطبقًا للنص الآشوري تتصل بسهل فيه الأفاعي والعقارب وأنواع من الجراد مثل الزربابو. بينما تصور موسل موضع حزو كأرض جبلية. لكنه، وبرغم هذا التحديد الدقيق نسبيًا من حيث التوصيف، قام بوضع بزو في غرب وفي جنوب» تدمر السورية، وفي وادي السرحان على وجه التحديد، وأن الملوك الثمانية الذين قتلهم أسرحدون كانوا يقيمون في وادي السرحان

(1) المفصل: 3/ 885.

عند الحدود الشرقية لحوران، وفي الرحبة وقطة إلى وادي القطامي. وهذا غير منطقي وغير مقبول جغرافيًا، لأن الحملة في هذه الحالة تكون قد اتجهت صوب الصحراء السورية وليس إلى شمال الجزيرة العربية. وبكل يقين سوف تصبح فلسطين بعيدة تمامًا. ومع أن وادي السرحان هذا لا يعرف بازو - بزوه ولا حازو - حزوى، ولا توجد قطة ولا الرحبة ولا السرحان، فقد واصل العالمان الأثريان وضع الأماكن الواردة في النص الآشوري ضمن خريطة فلسطين، بينما نرى، وبخلاف هذا التخبط، أن خط سير الحملة الحربية يشير إلى الجزيرة العربية، وليس ثمة موضع له مثل هذه التوصيفات الموحشة سوى موضع حزوى أسفل نجران. وهذا ما يؤكده الهمداني في وصف هذه البادية[1] بقوله (ومن أسفل نجران حُزوى كثيب منقطع وحده طويل). وللدقة أكثر يحدده الهمداني في اليمامة. قال الشاعر:

لقد جشأت نفسي عديّة مُشرف ويوم لوى حُزوى فقلت لها صبرا

والغريب، أن وادي يد - يدي هو في الفضاء الجغرافي الذي وصفته الحملة الآشورية. ولكن المخيال الاستشراقي التوراتي ذهب أبعد مما نتصور، فالكلمة برأي موسل تعني الجاف أو (الودي) وذلك بإبدال الحرف الأول من كلمة أيدي - بحرف الواو (ودي). والمؤسف أن العالم الجليل جواد علي انساق خلف هذه المزاعم، ورأى احتمال أن يكون موضع الودي هو يدي، أو يديء شمال تدمر السورية. وسوف نبرهن أن وادي يدي هذا ليس سوى وادي أيد الذي وصفه الهمداني بدقة في أرض السراة اليمنية على مقربة من بلاد بارق، أي في المكان نفسه الذي وقعت فيه الأحداث[2] وحيث توجد في الفضاء الجغرافي الأماكن ذاتها التي ذكرها النقش. وحسب

(1) الهمداني، صفة، ص 266 - 267.

(2) المصدر السابق: 233.

مزاعم المستشرقين، فقد سلك الجيش الآشوري الطريق التجارية المارة من الحافات الشرقية لحوران إلى دمشق. وهكذا تصبح أرض بزو في بلاد الشام لا في الجزيرة العربية. إن هذا الخلط الجغرافي، يبيّن على أكمل وجه كيف تلاعب المستشرقون وعلماء الآثار من التيار التوراتي بحادث السبي البابلي. لكن الأغرب من كل هذا أن العالمين **كلاسر وموسل**، اتفقا تقريبًا على أن موضع أسيس أو أرض أوسيتس الوارد في النص الآشوري في توصيف خط الحملة الحربية،هو اسم يرد في التوراة في صورة אשיש - Ausitis. وهذا صحيح، ولكن أسيس هذه التي وصفها امرؤ القيس في شعره، هي موضع يمني، وقد أوردنا في مساهمة سابقة ما يكفي من الأدلة التي تؤكد بشكل قاطع أنها وردت في شعر امرئ القيس في وصفه لأرض اليمن[1]. بكلام آخر، وقع العالمان في تناقض صارخ، لأن بزو في أرض الشام، بينما حازو في البادية. فإلى أين اتجهت الحملة إلى الشمال أم إلى الجنوب؟ ويبلغ التناقض حدّه الأقصى، حين يضطرُّ **كلاسر وموسل** إلى الاعتراف أن المراد بـأسيس Aisetai قد يكون ايسايتاي - ايسايته، وهو اسم موضع ذكره الجغرافي بطلميوس في بادية بلاد العرب. وهذا أمر غير مفهوم؛ فإذا كانت الحملة تتجه نحو تدمر، فكيف تسنى لها الوصول إلى عمق الجزيرة العربية؟ لقد انساق جواد علي وهو ينقل تصورات **كلاسر وموسل**، وراء هذه الأخطاء، وهذا أمر مؤسف بالفعل. ولأن النقاش حول بزو - بازو اتخذ طابع المطابقة مع ما ورد في التوراة، فقد عاد كل من **كلاسر وموسل** إلى القول إن بزو هي نجد، وإن البادية التي تحدث عنها أسرحدون هي منطقة النفود. وأما حازو فإنها الأحساء[2]. ولاحظ جواد علي في هذا السياق، أن

(1) انظر أسيس في فلسطين المتخيلة - 2: 297.

(2) المفصل: 1/ 157، 195، 199.

رولنسن ذهب إلى احتمال كون هذه المنطقة هي أرض ملكة الحيرة، وما يتصل بها إلى جبل شمر، لأن الوصف المذكور ينطبق - في رأيه - على هذا المكان. أما كلاسر فاقترح مكانًا آخر، هو الأقسام الشرقية والجنوبية من اليمامة (ضواحي الرياض اليوم). وهذا رأي هو الأقرب إلى الصواب من بين كل الآراء والمقترحات. كما اقترح أن تعتبر حاز هي ذاتها حزوى التي تسمى السدوسية لبني سعد في اليمامة، لأن هذه اللفظة قريبة جدًا من حزو التوراة ومن خازو النص الآشوري. وهذا ما نتفق معه تمامًا. ولكننا، بفضل هذا الرأي العلمي الرصين، سنجد أنفسنا من جديد في قلب التناقض الجغرافي، إذ على هذا الأساس سوف ننتقل من تدمر ووادي السرحان إلى نجد، بينما تصبح بزو في اليمامة، وهي أرض ذات آثار قديمة وعاديات وخرائب تقع بين وادي ملهم ووادي حنيفة. ورأى آخرون على خطى تصورات المستشرقين هذه، أن أرض بازو هي الساحل المقابل لجزر البحرين، أي جزيرة تلمون كما كانت تعرف عند القدامى. وأما حازو، فهي الأحساء. وهكذا، خرج جواد علي بالاستنتاج التالي: بما أننا نلاحظ وجود تقارب في مبنى اللفظتين حازو وأحساء، فهذا يعني أن المقصود منها منطقة الأحساء. في هذا الإطار طرح علماء الآثار وهم يقرأون السجلات، السؤال التالي: أي طريق سلك أسرحدون عند عودته من الحملة على الأحساء؟ اقترح البعض فكرة أنه سلك طريقًا موازيًا لساحل الخليج، وأنه في هذه الحالة يكون قد اخترق أرض بازو وحازو - خاسو أي الأحساء، ثم سار شمالًا إلى بابل. وكان أسرحدون قد سلك في حملته الأولى طريقًا اخترق منطقة النجد، فلما قرر العودة سلك الطريق الثانية الموازية. لكن كلاسر انتهى في استنتاجاته إلى احتمال وجود علاقة بين باهلة Bi - i - lu وهو اسم الملكة، وبين اسم باهل القبيلة المعروفة التي تقع منازلها في هذه المنطقة. وعنده أن حملة أسرحدون استهدفت اليمامة. وقد وجدتُ في المساند

الحميرية - اليمنية (نقوش جام[1] مثلًا) والتي أعاد قراءتها مطهر الإرياني ما يلي:

سعد تألب - يتلف - بن - جدنم - كبر - أعرب - ملك - سبأ - وكدت - ومذحجم - وحرمم - وبهلم - وزدال - وكل - أعرب - سبأ

وهو ما يعني:

القائد - سعد تالب بن يتلف الجدني كبير أعراب ملك سبأ وكبير كندة ومذحج وحرام وباهل وزيد إيل وكل أعراب سبأ.

في هذا النقش سجل الحميريون اسم القبيلة باهل، باعتبارها من البدو (أعراب سبأ) تمامًا كما في السجلات والنقوش الآشورية، وهو ما يؤكد وجودها التاريخي ويدعم تصورنا لحالتها، فهي من الجماعات البدوية التي كانت جزءًا من تحالف تقوده سبأ. كما ورد اسم باهل في النقش رقم 39 بوصفهم من أعراب حمير، أي من بدو حمير. وفي الحقيقة لا تُعرف باهل اليوم إلّا باسم باهلة، وهما برأي الإرياني، باهلتان - مفرد باهلة، إحداهما يمنية من سعد العشيرة وتقيم في السراة، وأخرى عدنانية. وهذا يعني أن نقش الآشوريين سجل واقعة صحيحة تتعلق بالصدام مع بدو اليمن. ولهذا، لا يبدو أن كلاسر وموسل (وعلى خطاهما مؤرخون عرب) قرأوا النقوش بطريقة دقيقة. فكيف يمكن لنا، القيام بعملية تفكيك مثمرة وفعالة لهذه الفوضى الجغرافية؟ سأعطي هذا النموذج لغرض دراسة نمط التلفيق في

(1) مطهر علي الإرياني، نقوش مسندية وتعليقات - مركز الدراسات والبحوث اليمني1990 النقش رقم 32.

القراءة الاستشراقية لحملة سنحاريب. ينقل جواد علي - وهو في حالة استسلام تام لتأويلات علماء الآثار من التيار التوراتي - ما يلي:

> سار - سنحاريب - إلى بلاد الشام لإخضاع العمونيين والمؤابيين والأدوميين والعرب والعبرانيين، فقد كان هؤلاء قد انتهزوا فرصة قيام البابليين وقبائل إرم والعرب والعيلاميين على الآشوريين للتخلص منهم، فألفوا حلفًا بينهم في جنوب بلاد الشام، أي في فلسطين والأردن، وانحدروا لمحاربة سنحاريب. فلما وصل إلى ساحل البحر المتوسط، أخذ جيشه يستولي على المدن، الفينيقية والفلسطينية، ويتقدم نحو الجنوب حتى بلغ عسقلان Ashkelon ولما وصل إلى موضع التقه Eltenkeh - Altenkeh، اصطدم بالعرب وبالمصريين، غير أنه تغلب عليهم واستولى على التقه وعلى تمنة - تمنت - تمنة Timnath وعقرون - عاقر Ekron.

هذا النص الذي يصدر عن مؤرخ مثل جواد علي، يضاعف من درجة الفوضى في الجغرافيا. إن تحديد المواضع الواردة في هذا النص، وبهذه الطريقة التعسفية التي يجري فيها تأويل وتطويع الجغرافيا بأكبر قدر من التلاعب، لتصبح مواضع في فلسطين والأردن، سوف يؤدي لا محالة إلى فوضى عارمة. وهذا ما سوف نبينه. لدينا في النص أسماء مواضع معروفة ذكرها الشعر الجاهلي، كما سجلها جغرافيو العرب القدامى وهي على التوالي: تمنه، وعقر - عقرون، والتقه، وهذه أسماء لا وجود لها في فلسطين قط، بينما يخبرنا النص أن الحملة كانت في الجزيرة العربية واليمن. وما يؤكد ذلك، أن علماء الآثار الذين وضعوا هذه الأسماء في فلسطين، لم

يعثروا عليها هناك. يصف لنا الهمداني مواضع **تمنه - تمنيه، وعقر - عقرون، والتقى** - التقه وبالصيغ نفسها والتوصيف نفسه. هاكم أولًا ما كتبه عن تمنة - تمنية[1]:

والذي يصالي جنب (أي يجاور سراة جنب) من عنز والرفيد والعوص وأداي وعنقة والراكس والعين عين الرفيد، تمنية. وتمنية يسكنها بنو مالك.

وحسب هذا الوصف؛ فإن تمنية تقع بالضبط في أوطان بلحارث من منطقة **الجوف اليمني**. وفي التوراة وردت هذه الأسماء في الصورة التالية:

תמניה - تمنيه - تمنية، עקרת - عقرون - عقرون، אלתקה ءلتقون - التقون. وقد وردت هذه المواضع في سفر يشوع[2] ضمن منازل دان وعشائرها وبالتسلسل نفسه الوارد في النقوش الآشورية. وهذا مدهش حقًا. إليكم نص السفر باللُّغة العبرية:

למטה דנ למשפחתמ ויצא הגבול השביע ואת גבול
נחלתמ צרעה ואשתאול ועיר שמש ושעלבינ וילות
ויתלות ואילות ותמנה ועקרות ואלתקה

وهذا النص يقول بالضبط ما يلي:

ولسبط دان ولعشائره يخرج سهمهم - نصيبهم - السابع، مرتفعاتهم وأغوارهم: صرعة والشتيل وقرى شمس وثعلبين وإيلون وأيلة وتمنية وعقرون والتقه.

---

(1) الهمداني، صفة ص 231.

(2) يشوع النص العبري: 19: 19: 20: 37.

يعني هذا أن النقش الآشوري سجل بدقة تاريخية متناهية أسماء المواضع التي احتلها الجيش، وهي ليست بكل تأكيد في فلسطين؛ بل في عمق الجزيرة العربية وعلى مقربة من تخوم اليمن (الحالي) حيث تثليث قرب نجران وجُرش أي في منطقة الجوف اليمني. وقد أورد الشعر الجاهلي والشعر العربي في عصري الإسلام الأموي والعباسي أسماء هذه المواضع[1]. أما سائر المواضع الأخرى، فقد سبق لنا التحدث عنها بالتفصيل في (فلسطين المتخيلة) ولا أجد حاجة لتكرار تحديدها في هذا الكتاب.

2: حملات شلمنصر الثالث 858 – 824 ق.م

من المؤكد، استنادًا إلى السجلات والنقوش البابلية - الآشورية، أن البحرين (جزيرة دلمون) ضُمّت إلى أراضي الإمبراطورية في عصر أسرحدون، بينما استولى شلمانصر الثالث 858 - 824 ق.م على معظم المدن الواقعة على سواحل الخليج، ففي نص للملك سنحاريب - سنحريب، يتضح لنا أن ضمّ البحرين جاء في أعقاب استيلاء الآشوريين على بابل مباشرة؛ إذ أرسل وفودًا لإبلاغ أهل دلمون (البحرين) إما بالاستسلام أو تحمل نتائج العصيان. ويبدو أن سكان دلمون آثروا الحل السياسي بالاندماج مع الإمبراطورية الصاعدة في عالم السياسة الدولية كقوة مرهوبة الجانب.

---

(1) قال كثير عزة واصفًا تمنية – وفي التصغير للتحبّب تمن – :

كأن دموع العين لما تخللت ... مخاوم بيضًا من تمنٍ حمالها

وقال الحسين بن مطير (ياقوت: مادة رقم 2555) واصفًا التقه – التقى (وفي البناء العبري للأسماء ءلتقون مثل صيد – صيدون).

ألا حبذا دار السلام وحبذا ... أجارع وعساء التقيّ فدورها

وقال امرؤ القيس يصف وادي عقر – عقرون:

وقال الحيّ أين دفنتموه ... فقيل له بسفح العقر دارُ

كانت دلمون مقدسة، وقد رويت عنها أساطير دينية، وعبدت فيها آلهةٌ تعبّد لها أهل العراق. وينقل جواد علي عن هومل أنه قرأ نقشًا يتضمن اسم أحد كبار آلهة دلمون يدعى لخمو - اللخمو، وهو إلهة أنثى. ما يلفت الانتباه في هذا الاسم أنه يشير إلى عبادة الإلهة الأم باسم لخمو - لخمون وفي العبرية לחם وهذا اسم القبيلة العربية الشهيرة لخم التي أعطت اسمها لبيت لحم. ومعلوم أن اللخميين أصبحوا من ملوك العراق القديم، وأسسوا فيه ممالك مزدهرة. كما أن داود في التوراة يقدم نفسه في صورة داود اللخمي[1] (وفي نصوص أخرى داود الإفراتي من بيت لحم)؟ إن أهمية النقش الذي يحمل اسم لخمو - لحمو يكمن هنا: إنه يعرض علينا فكرة هامة للغاية عن تطور عبادة الإلهة الأم عند العرب، وأشكال النسب الأمومي. لقد زعم بعض الباحثين الذين استلهموا ثقافتهم من القراءة الاستشراقية للتوراة، أن تقاليد الانتساب إلى الأم هي تقاليد يهودية، وهذا رأي سطحي، لا يأخذ بعين الاعتبار أن هذه التقاليد، تنتسب في الأصل إلى عبادة الإلهة الأم عند العرب القدماء، وأن هؤلاء اليهود هم من قبائل العرب (ولم يكونوا من القبائل الإسكتلندية). لقد خلدت القبائل العربية المهاجرة إلى جنوب الشام - فلسطين، اسم إلهتها القديمة في صورة قرية تدعى اليوم بيت لحم. وهذا هو برأينا المضمون القديم لقداسة المدينة، وارتباطها بقصة مريم وولادة المسيح.

وفي السنة الثالثة من حكم تجلات بلاسر الثالث 745 - 727 ق.م. تقريبًا، دفعت له ملكة عربية اسمها زبيبي - زبيبة الجزية، وكانت تحكم أريبي. أي أن زبيبة هذه كانت من ملكات وادي العرب. ويجب أن نتذكر هنا أن اليمن القديم حسب روايات الإخباريين الكلاسيكيين عرف ملكات

(1) كما نقرأ في سفر صموئيل الأول، صموئيل 1/ : 17: 8 (فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ: «ابْنُ مَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟» فَقَالَ دَاوُدُ: «ابْنُ عَبْدِكَ يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ»).

كثيرات مثل بلقيس وأروى، كنّ يحكمن المخاليف - الممالك الصغيرة. وهذا التقليد له صلة بعبادة الإلهة الأم، مثلما له صلة بشجرات النسب الأمومي عند العرب. أما في السنة التاسعة من ملكه، فقهر ملكة عربية أخرى اسمها سمسي - شمسي Shamsi، واضطرها إلى دفع الجزية أيضًا. وقد صوّرت المنحوتات العظيمة التي تركها الآشوريون هذا الانتصار في لوحات جميلة، منها لوحة نحت فيها منظر فارسين آشوريين يحملان رمحين، يتعقبان أعرابيًا يركب جملًا، وتحت أعقاب الفرسين وأمامهما، تناثرت على الأرض جثث الأعراب الذين قُتلوا. وقد حرص النحات على أن يظهر أشكال هؤلاء الأعراب، فهم يرتدون ما يشبه الأوزار اليمنية (التنورة القصيرة) وكانت شعورهم شعثاء وطويلة وقد عقدت إلى الوراء، وأما اللحى فتبدو كثة. كما يظهر في بعض هذه المنحوتات أعرابي يمد يده اليمنى لفارسين آشوريين متوسلًا ومستسلمًا[1]. أما الملكة شمسي - سمسي، فقد بدت حافية القدمين، ناشرة شعرها، وتحمل جرة من الجرار الإحدى عشرة المقدسة[2]، بعد أن أضناها الجوع والتعب في فرارها إلى بزو[3]. وورد في الكتابة الآشورية أن الملكة أرسلت وفدًا إلى ملك آشور لمصالحته واسترضائه، ضمّ عددًا من سادات قبيلتها وأتباعها. كما تذكر نصوص أخرى من حملات شلمانصر أنه تسلم الجزية ذهبًا وفضة وإبلًا وكميات كبيرة من البخور واللبان من مساى - مسأى Mas'a وتيما وسبأ وخياب - خيابه Hayapa وبطن Batana خطي Hatta - وأدبئيل Iida'ibl. وقد ورد في هذه النقوش أنها كانت مواضع وقبائل في أماكن بعيدة. وبرأي علماء الآثار الذين قرأوا

---

(1) المفصل: 1/ 256.

(2) كان الرقم 11 مقدسًا في ديانات اليمنيين.

(3) المفصل، 1/ 195، 256.

النصوص أن الملك يقصد أنها كانت غرب آشور، والغالب أنه كان يريد من قوله: في مواضع بعيدة، اليمن وليس البادية كما ظن جواد علي حيث يصعب الوصول إليها[1]. فأين تقع هذه الأماكن وإلى أين اتجهت حملة شلمانصر؟ سوف نتتبع هذه المواضع دون أي تلاعب أو مطابقة تعسفية. إن بطن - بطنه التي أشرنا إليها سابقًا في معرض الكلام عن حملة سنحاريب، هي من منازل إكيل في صعدة (الإكيليون). أما خطي - خطي - وأدبئيل - وسبأ - شبأ وسواها، فهي المواضع ذاتها التي وصفها الهمداني بدقة ضمن جغرافية اليمن. لقد وردت هذه الأسماء حرفيًا في التوراة في وصف الحملات الآشورية. وهذا أمر مثير للاهتمام، لكن الأكثر إثارة أن فلسطين لا تعرف أي موضع من هذه المواضع، ومن غير المنطقي تخيّل أن سبأ القبيلة أو المملكة كانت في بلاد الشام. بينما وصفها الهمداني والشعر الجاهلي وصفًا دقيقًا باعتبارها مواضع في اليمن. وهذا هو المعنى الحقيقي لقول شلمانصر، إنه اتجه نحو أماكن بعيدة جدًا. إن نقد نصوص جواد علي، مع الاعتراف بالجهد العظيم الذي بذله، سيكون موجَّهًا من جانبنا وبالكامل، للرؤية الاستشراقية المتعيشة على نصوص التوراة، وهي رؤية كانت ولا تزال سائدة في ثقافتنا العربية المعاصرة، وليس إلى جهد هذا المؤرخ العراقي الذي يجب الاعتراف بأفضاله العلمية. ولعل أفضل طريقة لنقد هذه النصوص، تلك التي تؤسس لمقاربة جديدة بين النصوص الآشورية، لكن بالاستناد إلى مصدرين أساسيين، أولهما الشعر الجاهلي والآخر وصف الجغرافي اليمني الهمداني، فهما معًا يعرضان على المتلقي حلولًا حقيقية لكل ما يبدو شائكًا في فهم وتحديد الأسماء الواردة في سجلات الآشوريين.

خذوا هذا المثال: يلاحظ جواد علي مسندًا إلى قراءة استشراقية، إن

(1) المفصل، 1/ 157، 195، 199.

مسأى - مسا Mas'a هي قبيلة مسا Massa المذكورة في التوراة، وهي قبيلة إسماعيلية كانت منازلها في شرق مؤآب أو في جنوب شرقيها. ويظهر أنها لم تكن بعيدة جدًّا عن فلسطين[1]. وهذا استنتاج ينسف كل أساس قامت عليه تصورات علماء الآثار الذين قرأوا نصوص الحملة، ورأوا أنها اتجهت صوب البادية (الصحراء العربية). وفي إطار هذه القراءة سنلاحظ، أن جواد علي، وبدلًا من قبول بعض استنتاجات علماء الآثار، بشأن تحديد المواضع داخل الجزيرة العربية، وهم بكل تأكيد كانوا مضطرين إلى التسليم بأنها هناك، يقوم بنقد هذا الجانب العلمي وهو صحيح نسبيًّا، ويواصل تقاليد وضع الأماكن الواردة في نقوش الحملة في المسرح الفلسطيني؟ إن النقاش حول مكان وجود قبيلة مسا - مشه משה - Massa يصبح موضوعًا خلافيًّا بينه وبين علماء الآثار، لا لشيء إلّا لأن استنتاجاتهم التي انساق خلفها، ما عادت تتطابق مع ما سلَّم به. لقد رأى - مثلًا - في اعتبار عالم الآثار - دورمه Dhorme أن هذه القبيلة واحدة من قبائل الجنوب، رأيًا بعيد الاحتمال (فلا يعقل وصول نفوذ الآشوريين في ذلك الزمن إلى تلك المواضع. ثم إن مسا وهو أحد أبناء إسماعيل كما ورد في التوراة. والقبائل الإسماعيلية لم تكن تسكن العربية الجنوبية، بل المواضع التي ذكرتها في أثناء حديثي عنهم)[2]. وهكذا، وبينما يتخلى بعض علماء الآثار عن أفكارهم وتصوراتهم التوراتية، يواصل جواد علي التمسك بهذه الأفكار والتصورات، فيكتب في المفصل ما يلي:

أما تيما Tema فإنها تيماء المذكورة في التوراة،

---

(1) المفصل، 1/ 157، 195، 199، 256.

(2) المصدر السابق، 1/ 195، وحول اسم صنعاء التي سميت أوزال، وكذلك حول مدين وأدبئيل انظر الصفحات: 1/ 195، 199، 256.

> والمعروفة حتى في الإسلام. وتقع على الطريق التجاري الذي يربط العربية الجنوبية بالحجاز والشام والعراق ومصر، ثم بموانئ البحر المتوسط، وذكرت مع ددان وبوز كذلك. ومعنى هذا أن هذه المواضع كانت متقاربة لا يبعد بعضها عن بعض كثيرًا، وأشير إلى قوافل تيماء وسيارة سبأ، ويدل ذلك على اتصال تجاري كان بين الشماليين والسبئيين في ذلك العهد. ويدل ورود اسم سبأ بعد تيما في نص تغلث فلاسر، على أن السبئيين المقصودين كانوا يعيشون على مقربة من التيمائيين ومن بقية من دفع الجزية للآشوريين.

لكن سبأ في هذا الوقت، لم تكن مجرد قبيلة تسكن إلى جوار ددان. إن النص الآنف يتطلب تصحيحًا شاملًا لأنه مليء بالأخطاء. في الواقع كانت هناك ممالك قبلية صغيرة صاعدة في المسرح التاريخي، منها مملكة سبأ ومملكة ددن - ددان وقد اصطدم بهما الآشوريون، كما اصطدموا مع الملكتين شمسي وزبيبة. وهذا أمر يؤكد أن الحملة اتجهت في عمق العربية الجنوبية (اليمن) فتضرب في طريقها التيمانيين - من تيما - والقيداريين بشكل أخصّ. إن ددن من الممالك العربية القديمة التي قامت في ما يدعى اليوم منطقة العلاء شمال الجزيرة العربية، وكان لها دور كبير في تجارة العالم القديم نحو 800 ق.م. وهذا أمر مؤكد. وورد في شعر كثير عزّة وشعراء الجاهلية ما يؤكد أن تيم - تيمن (بزيادة النون الكلاعية مثل عدن - عدنن - عرب - عربن - صنعا - صنعن) هي موضع في الفضاء الجغرافي نفسه. قال شاعر ينتمي إلى تيم - تيما القبيلة والموضع - هو عمرو بن لجأ التيميّ:

ويوم تيمن نحن الناحرون بها   جبّار مذحج والجبار يُنحرُ

أنا من جُلهم يابن الأخبثين آبًا وابن جسّاس وتيم حين أفتخرُ

ومذحج هذه التي اصطدمت بها قبيلة تيم، هي من أكبر قبائل اليمن ولم تكن في وادي السرحان ولا في شرق تدمر بكل تأكيد.

أما لبيد بن ربيعة العامري فقال:

وبلغ إن عرضت بني نمير وأخوال القتيل بني هلال

بأن الوافد الرّحّال أمسى مقيمًا عند تيمن ذي الضلال

وبرأينا أن المقصود من اسم تيما في النقوش الآشورية، إنما هو على وجه الضبط تيم القبيلة العربية القديمة. وهو الاسم الذي تركته القبيلة في الموضع المعروف بـ(تيمن بإلحاق النون الكلاعية عند النطق). ولاحظ كيف دخلت هذه النون، فاسم قبيلة الشاعر تيم بينما المكان الذي يفتخر أن القبيلة حققت فيه انتصاراتها على قبيلة مذحج اليمنية يدعى تيمن(1). ولعل ما يؤكد ذلك، أن الشاعر صوَّر الصراع بين تيم ومذحج أقوى قبائل اليمن وأشقاء السبئيِّين داخل فضاء جغرافي يمني، أي في أقصى الجزيرة العربية، وكيف أن تيم قتلت أبطال مذحج هناك. لقد أدّى هذا المنهج التحليلي لأسماء الأماكن، سواء بالنسبة لجواد علي أم بالنسبة لعلماء الآثار الألمان بشكل خاص إلى ظهور مصاعب في تقديم تفسير لوجود أسماء أخرى، لا يمكن العثور عليها خارج نطاق جغرافية الجزيرة واليمن. وعلى سبيل المثال، فشل علماء الآثار في تحديد موضع بطنه - بطنا Batana. وبرأي هؤلاء - وجواد علي منهم - (لم يرد في التوراة ما يقابل الاسم أو ما يقاربه. وقد قرأ موسل الاسم بدنه Badana، وذهب إلى أنه اسم قبيلة أبدون - أو أمدون - بإبدال الياء ميمًا، وهذا أمر مألوف. وتقع منازلها في العلا، أي في ددان - ديدان

(1) حول النون الكلاعية: انظر ما كتبناه في فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور.

القديمة. ويعتقد أفرادها أنهم من سلالة قديمة جدًا، وليست لهم صلات قربى بالقبائل الأخرى).

لكن هذا النص غير دقيق، ويتضمن معلومات غير صحيحة، فالتوراة سجلت الاسم نفسه وبالصيغة ذاتها بطنه בטנה بالمفرد، وبطنات - بطونيم[1] בטנים بالجمع، وهما موضعان إلى جوار المواضع الأخرى المذكورة في النصوص الآشورية، وقد تحدثت عنها في (فلسطين المتخيلة) بالتفصيل. كما أن الهمداني حدد الموضع بدقة في الفضاء الجغرافي نفسه. يقول الهمداني إن بطنه وادٍ متفرع من أودية نجران. أما بطنات فوادٍ متفرع من سيول ووديان خولان أي إلى الغرب من صعدة[2]. وكما يلاحظ؛ فإن القراءة الخاطئة التي حولت بطنه إلى بدن، هي قراءة لا أساس لها. كما أن وضعها خارج نطاق جغرافية الحملة الآشورية على الجزيرة واليمن، أدى إلى إلحاق أضرار مدمرة في تصوراتنا عن السبي البابلي[3]، وبحيث رسخ في ذاكرتنا دون أي دليل، أن الحدث وقع في فلسطين. بيد أن ما يقطع الشك باليقين،

(1) انظر حول بطونيم ما كتبناه في فلسطين المتخيلة - مصدر سابق.

(2) يقول الهمداني ص 162 صفة جزيرة العرب ما يلي (والبطنات والفقارة من بلد خولان ولقي سيل غربي صعدة. . . . «والبطنة ويلقاهما سيل - وادي - عكوان من شرقي دماج وسيول شرقي كهلان).

(3) لاحظ كيف فهم علماء الآثار اسم بطنة في النص التالي من المفصل (وتسكن بطون منهم عند البتراء Petra أي الرقيم. وأشار موسل أيضًا إلى اسم موضع ذكر أنه ورد في كتاب بلينيوس، وهو Badanatha غير أنه لاحظ أن هذا الاسم مشكوك في صحة ضبطه، وبعضهم قرأه Baclanaza فإذا كانت القراءة Badanatha صحيحة، فمن الممكن إذن أن يكون لهذا الاسم علاقة بـ بدون، أو مدون وبطنه Batana الوارد في نص آشور، والموضع الذي ذكره بلينيوس، قريب من Domata، أي دومة الجندل، ومن ثمود، فهو في هذه المنطقة التي دفع أصحابها الجزية إلى الآشوريين). إن هذا النص يبين نوع وطبيعة الأخطاء الفادحة في القراءة الاستشراقية التعسفية، حيث تختلط الجغرافيات بعضها ببعض.

بالنسبة للباحث في هذا المجال، أن النقاش بين علماء الآثار حول بطن - بطنات، قاد إلى نقاش مماثل حول موضع هام للغاية بلغته الحملة في طريقها من بطنة وبطنات إلى غرب صعدة، هو موضع خطي. لقد اتجهت الحملة في سياق مطاردة وتأديب القبائل العربية العارية في المنطقة ذاتها إلى الغرب من صعدة، حيث توقفت في منطقة خصبة وشهيرة تدعى خاط. فكيف سار النقاش بين علماء الآثار حول هذا المكان؟ برأي هؤلاء تقع ديار خطي Hatti على مقربة من أدوم، وهذا بشكل خاص رأي موسل. وأما كلاسر، فيذهب إلى أنها كانت تسكن الخط، سيف البحرين، أي على ساحل الخليج. وهي منطقة قريبة من العراق، ويرى أن من السهل الاستيلاء عليها. وقد ذكر بلينيوس موضعًا دعاه خطيني Chateni يقع على ساحل الخليج، ولهذا رجح كلاسر أن Hatti هو خطيني. وقد ذكر ياقوت الحموي جبلًا بمكة دعاه الخط. وهذه الاستنتاجات الاستشراقية، تؤدي إلى اضطراب في فهم الاتجاه الذي سارت صوبه الحملات الحربية وإلى التلاعب بجغرافيتها، ذلك أن خطي[1] هي ذاتها وادي خاط Hatti وقد وصفه الهمداني[2] بدقة في منطقة يسميها بلاد الحجر في أرض السراة الصاعدة إلى اليمن عبر جرش (جرش اليمن وليس الأردن) حيث وادي أيد (يدي). وكنا رأينا في الصفحات السابقة عند الكلام عن حملة أسرحدون، كيف ثار النقاش حوله. يقول الهمداني:

«أرض السراة. . . الجهوة قرى لبني ربيعة بن الحجر

---

(1) قال عنها القزويني: قرية باليمن يقال لها خط هجر تنسب إليها الرماح الخطية وهي أحسن أنواع الرماح خفةً وصلابةً وتثقيفًا تحمل إليها من بلاد الهند والصناع بها يثقفونها أحسن التثقيف. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، مادة خط.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب ص 233 - 235.

وعاشرة، والعرق وإيد (وادي أيد) وحضر (وادي حضر) فأول بلاد الحجر»... «عقبة تصب مياهها في خاط وادٍ وساكنه بنو عامر..».

من الواضح استنادًا إلى هذا الوصف، وبمطابقته مع نقوش الحملة الحربية، يكون الآشوريون قد توغلوا في سراة اليمن، صعودًا من بلاد الحجر، حيث استولوا على وادي أيد Idai ووادي خاط، وهما عند الهمداني بالصيغة ذاتها وبالوصف الجغرافي ذاته. إن ما تسميه القراءة الاستشراقية لنصوص الحملات الآشورية قبيلة خطي، هو بالضبط قبائل وادي خاط وهم من بطون بني عامر. لكن هذه القراءة المتعجلة والمخيالية، ساهمت في ترسيخ انطباع خاطىء في ذاكرتنا الجمعية عن الحدث التاريخي. والمؤسف - مرة أخرى - أن هذه القراءة جرى تعميمها من خلال الشروح التي قدمها كتاب التاريخ العرب. وسأعرض للمثال التالي عند جواد علي مرة أخرى في سياق استلهامه لتأويلات الاستشراقيين:

ويظهر أن إدبئيل - إدبعيل Idiba'il، القبيلة المذكورة في نص تغلث فلاسر، هي قبيلة ادبئيل Adabeel [1] في التوراة. وهي إحدى القبائل الإسماعيلية على حسب رواية نسّابي العبرانيين. وكانت منازلها في جنوب غربي البحر الميت على مقربة من غزة وإلى جنوب غربها عند حدود مصر، وفي طور سيناء. وكان يسكن إلى الشرق منهم ومن قبيلة «خطي» وكذلك إلى الجنوب الشرقي وشرقي بئر السبع Beersheba مبسام Mibsam ومشماع، وهما ولدان من ولد إسماعيل ويمثلان قبيلتين من القبائل الإسماعيلية. ويظهر من أخبار الأيام الأول أن بني «مبسام» و«مشماع» كانوا من بني «شمعون»،

(1) انظر ما سنكتبه في الصفحات التالية عن إديل - الديل موطن هذه القبيلة العربية، وقارن بين النصوص العربية والنقوش الآشورية ولاحظ الدقة في التسجيل.

وكانوا من بطون «الشمعونيين» القوية ولهم أرضون واسعة. ويشير هذا إلى أن» المبساميين» و«المشماعيين» كانوا قد توسعوا وتصاهروا[1].

إن هذا النص نموذجي في التلفيق الجغرافي والتاريخي؛ إذ كيف تسنى للآشوريين وهم يتوغلون في الأحساء - كما راينا من نصوص جواد - أن يتجهوا إلى حدود مصر ثم غزة لمواجهة قبيلة إدبئيل؟

هذا ما سوف نناقشه في الجزء التالي من هذا الفصل.

3: حملات سرجون الثاني 724 – 705 ق.م

(حول أرض مصر في التوراة والنقوش الآشورية)

في سنة 734ق.م عيَّن تجلات بلاسر الثالث، شيخًاعربيًّا اسمه إدبئيل Idiba'il واليًا على مصري، ليدير شؤونها بالنيابة عنه. هذا هو الخبر التاريخي الذي استخلصه علماء الآثار من النقش الخاص بحملات تجلات بلاسر في هذا الوقت. ولأن مصري هذه فهمت على أنها تعني مصر الإقليم العربي، فقد سادت في أوساط علماء الآثار، نظرية زائفة تقول بفرض الآشوريين حكمًا غير مباشر على مصر. وهذا ما لا أساس له. لكنه، مع ذلك أشاع فوضى في التاريخ لا تزال متواصلة حتى اليوم. إن التاريخ المكتوب لا يؤيد بأية صورة من الصور واقعة تقول بنجاح الآشوريين في فرض حكم غير مباشر على مصر. بيد أن هذا التلفيق التاريخي، تسبب في فوضى جغرافية عارمة كذلك، عندما زعم موسل وهو يقرأ بعض الأسماء في النقوش، أن تجلات بلاسر الثالث، وسع صلاحيات هذا العربي وبحيث صار يحكم خمسًا وعشرين موضعًا من عسقلان Ashkelon. وهو يقصد ءشكلون حسب التهجئة الصحيحة للاسم. لقد أدت هذه القراءة الخاطئة

(1) المفصل - 1/ 195.

والمِخْيالية إلى فوضى في ترتيب العصور والجغرافيات القديمة، إذ بموجبها سيكون علينا قبول فكرة أن الآشوريين زحفوا على الجزيرة العربية، وبدلًا من الهيمنة عليها، فرضوا سلطانهم على مصر وفلسطين، واستولوا على ميناء غزة، وهذا غير منطقي. وبرأي موسل أيضًا، فقد كان سلطان هذا الشيخ القبلي يبلغ حدود مدينة غزة، وأن جيوش تغلات بلاسر الثالث، سيطرت عام 738 ق.م على هذا الميناء المهم الذي كان نهاية طرق القوافل التجارية، الآتية بصورة خاصة من الحجاز، وهو ميناء كان مقصد تجار يثرب ومكة حتى عند ظهور الإسلام. وهذا غير منطقي أيضًا ولا أساس له في التاريخ. وفي الواقع ليست عسقلان هذه الواردة في النص الذي يتحدث عن صدام مع القبائل البدوية، سوى قبيلة عثكلان، وبالبناء القديم للأسماء - كما في العبرية - ءشكلون - ءثكلون التي سجلتها المساند (النقوش الحميرية) بالاسم نفسه. والغريب أن جام الذي يؤثر نصوصه جواد علي، هو الذي اكتشف النقش (بحرف المسند) وقرأ فيه اسم هذه القبيلة في الصورة التالية[1]:

بني/ عثكلن/ هقنيو/ المقه/ تهون/ بعل/ أوم/ صلمن/ حجن/

(بني عثكلان وقد تقربوا للإله المقه ثهوان بعل أوام بالصنم المطابق لأمره).

وبنو عثكلان[2] هؤلاء من القبائل المعروفة التي ورد ذكرها كثيرًا في النقوش الحميرية، ويعتقد أنهم من بطون بكيل التي استقرَّت في مأرب، وكان يناط بها بعض الأعمال الخاصة بملوك سبأ[3]. أما أسماء وألقاب

(1) الإرياني: 232.

(2) ورد اسم ءشكلون في صيغته العبرية في سفر صموئيل 2 - 20: 1 אשקלון .

(3) الإرياني، 234.

بعض الملوك في النقوش الآشورية، فهي وردت في النقوش الحميرية بالصيغ ذاتها مثل يثع وأمر: يثع/ أمر/ بين/مكرب/سبأ[1] أو مثل يثع/أمر/ بين / سمه/علي[2]. فأين هي الحقيقة؟ لقد فهمت كلمة مصري ومصريم في التوراة، بالطريقة ذاتها التي فهم فيها الاسم نفسه في النقوش الآشورية، ولذا جرت مطابقة ماكرة وتعسفية، للبرهنة على أن الحملات الآشورية استهدفت فلسطين، لتبرير وقوع حادث لم يقع على أرضها. إذا ما قمنا بتحليل نقوش حملة سرجون الثاني 724 - 705 ق.م؛ فإن لغز مصري هذا سوف يكون قابلًا للحل بسهولة، ففي السنة السابعة من حكمه، أي عام 715ق.م شن سرجون الثاني حملة في قلب الجزيرة العربية من أجل تأديب قبيلة يسميها تمودي - ثمود Tamudi [3] وأخرى تدعى ابادیدي - عبادیدي، كما ضرب قبيلة مرسماني Marsimani وأخرى تدعى خيابه Hajapa، وهزمهما، ونقل من وقع في يديه منهم إلى منطقة تدعى السمرا. وهذه كما سنرى، فهمت على أنها السامرة في فلسطين Samaria كما تلقى الجزية من برعو Pir'u ملك مصري Musuri ومن يتع أمر السبئي، وكانت من الذهب وحاصلات الجبل، والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والنبات والخيل والإبل. ما يثير الانتباه في هذا النص، أنه يشير إلى سبأ القبيلة

(1) الإرياني، 449.

(2) الإرياني، 451.

(3) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، بلا سنة نشر. ص 86 - 87 - 88: والمشهور في كتب العرب إن ثمودًا كان مقامها الحجر المعروفة باسم مدائن صالح وفي وادي القرى بطريق الحاج الشامي إلى مكة (. .) وجاء ذكرها في كتب اليونان نحو تاريخ الميلاد وبعده وعينوا مكانها الحجر (. . .) وأما الثابت من قراءة الآثار أن مدائن صالح - الحجر دخلت تاريخ الميلاد في حوزة النبطيين (. . .) وقرأوا ما عليها من النقوش النبطية.

والمملكة اليمنية وإلى مصر كما يشير إلى ملك يمني يدعى بتع أمر. ومن غير المنطقي تخيّل أن الآشوريين فرضوا في آن واحد، وخلال حملة واحدة، سلطانهم في مكانين متباعدين لا تجمعهما جغرافيا واحدة. كما أن التاريخ المكتوب لا يعرف واقعة من هذا النوع، إذ لم يحدث في أي وقت من التاريخ أن تمكن الآشوريون من حكم سبأ ومصر في وقت واحد؟ الخطأ الجوهري في قراءة النص، أن علماء الآثار لم يميزوا بين مصري ومصر، وما المقصود منهما. وكنا لاحظنا من نصوص الطبري أن الآشوريين اصطدموا بقبائل عدنانية (مُضرية) بقيادة معدّ بن عدنان، وأنهما عقدا صلحًا وافقت عليه قبائل العرب.

تُرسم كلمة مصري في العبرية في الصورة التالية : מצרי وقد وردت في سفر صموئيل الأول(1):

و - ي - م - صئو - ء - يش - مصري - ب - شدة

וימצאו איש איש מצרי בשדה.

وقد فهمت الجملة على النحو التالي: وشاهدوا رجلًا مصريًا في الحقل. وهذه ترجمة اعتباطية وغير دقيقة، والصحيح: وشاهدوا رجلًا مُضَريًا في النجد. لماذا؟ ببساطة، لأن العبرية تفتقد حرف الضاد العربي المعجم بنقطة من فوق، ولا تعرفه وهي تستبدله بالصاد المهملة مثل ءرص - أرض. وسيكون أمرًا خياليًا تصور أنهم شاهدوا رجلًا من أهل مصر يمشي في الحقل، فهذا ما لا معنى له، بينما يصبح أمرًا مفهومًا القول، إنهم شاهدوا رجلًا من قبيلة مضر، يلوح في الأعالي (النجد - سده). إن وجود رجل من قبيلة مُضر العربية، أكبر القبائل العربية في النجد أمر يبدو مفهومًا،

(1) سفر صموئيل الأول، (النص العبري): 11 - 30 - 29.

ذلك أن مضارب القبيلة هي في الجوار تمامًا، وهذا مغزى قول النقش الآشوري إن الإمبراطور تجلات بلاسر الثالث، عيّن رجلًا من قبيلة أد - بئيل زعيمًا على مُضر (مصري) وليس على مصر الإقليم العربي، بينما نعلم أن اسم مصر يرسم في العبرية في صورة مصريم מצרים . وما يؤكد هذا الاستنتاج أن بعض أسفار التوراة تسمي مصريم (مشفحت ها - مصريم משפחות-המצרים - وهي تقصد عشائر المُضريين وليس مصر البلد، إذ من غير المقبول أن نتصور التوراة وهي تسمي مصر الحضارة الفرعونية العظيمة هكذا: عشائر المصريين؟ والصحيح أن مشفحت - ها - مصريم تعني عشائر المُضريين العدنانيين بقيادة معد بن عدنان (الذين اصطدموا بالآشوريين وعقدوا معهم صلحًا كما رأينا من نص الطبري). نخلص من ذلك، إلى تقرير الحقيقة التالية: إن النقش يتحدث عن قرار الإمبراطور الآشوري، بتعيين رجل من قبيلة أد - بئيل الموالية له، زعيمًا على مُضر. وبذلك، يكون مفهومًا كيف أن الآشوريين أخضعوا السبئيين والمُضريين (وليس المصريين). أما برعو - فرعو ملك المُضريين الذي قدم الجزية للآشوريين، فقد قرئ اسمه بطريقة مخيالية جعلت من مبناه أكثر شبهًا باسم الفرعون، وذلك بهدف دعم فكرة أن الحملة بلغت فلسطين بعد أن اصطدمت بالفرعون المصري. وبالطبع يصعب تخيل أن فرعون مصر، قام سوية مع شيوخ قبائل عربية مثل العبابيد والسبئيين، بتقديم فروض الطاعة والولاء لتجلات بلاسر الثالث في حملة لم تستهدف مصر أصلًا. ولذا فقد بات لزامًا علينا إعادة بناء هذه المروية التاريخية بشكل صحيح. إن اسم برعو من الأسماء الشائعة عند القبائل العربية، والواو كما قلنا لهجة قديمة تميز بها سكان السواحل: عبدو في عبد وأحمدو في أحمد، ولنتذكر أن مُضر أم القبائل وهي من أكبر الجماعات، عاشت تاريخيًا عند أطول سواحل المنطقة

في الساحل اليمني المعروف بساحل بني كنانة، وفي نطق بطونهم وعشائرهم وبقاياهم حتى اليوم، ما يدلّ على أنهم كانوا ينطقون بزيادة الواو على الاسم. وما يؤكد هذا الاستنتاج أن نصوص سرجون الثاني تتحدث بوضوح عن الأعراب، وتصفهم بأنهم سكان بوادٍ نائية، ولم يدفعوا الجزية لأحد من قبل، بينما يشير في النصوص ذاتها بعد جملة - ويثع أمر السبئي - أن الملوك الأربعة الذين فرض عليهم الجزية هم (ملوك على الساحل، ومنهم ملوك في البادية)[1]. والمثير للاهتمام أن برعو هذا هو اسم الجبل اليمني الشامخ في المكان نفسه لوادي العرب (عريبي) وهما عند الهمداني[2] بالاسم نفسه والتوصيف الجغرافي نفسه:

ومن الأودية وادي زبيد ووادي صيحان والعرب إلى صنعاء، ويفرق بين جبل بُرَع وبين جبل ضلع وادي سير ووادي العرب.

لقد ترك هذا الملك اسمه في هذا المكان (الجبل الشامخ) الذي يقع ويا للمصادفة في قلب وادي العرب، حيث دارت المعارك. وبالطبع، فمن يتمكن من إخضاع ملك - ملكة وادي العرب، سيكون بوسعه إخضاع جيرانه - جيرانها من الملوك. ومن هؤلاء برع - برعو. أما أبابيد - العبابيد فهم القبيلة التي يسميها الهمداني العبيديين أو العبابيد، فهم من بقايا جرهم اليمنية، وكانوا يقيمون في الساحل[3] فيما أقامت ثمود - تمودي Tamudi البائدة في حضرموت. في هذا السياق، سوف نشير عرضًا إلى بعض نصوص سنحريب 705 - 681 ق.م الذي نعلم منه أنه تسلم هدايا من كرب إيل -

(1) المفصل، 1/ 195.
(2) الهمداني، صفة: 51 - 52.
(3) الهمداني، المصدر السابق، ص 304.

كريبي - إيلو Karibi - ilu ملك سبأ Saba'i إذ بنى بيتًا أو معبدًا، هو بيت إكيتو Bit - Akitu [1]، للاحتفال فيه بعيد رأس السنة. وعيد الأكيتو هذا، ليس سوى عيد الأقط المعروف عند عرب الجاهلية واشتهرت به كنانة، أي عيد الجبن (العربي القديم الذي يرتبط بصناعة الجبن) وبكل تأكيد لا يوجد ملك يحمل لقب كرب إلّا في اليمن وهذا أمر لا جدال فيه. وعلماء الآثار يعرفون جيدًا الملك اليمني كرب إيل بين (العصر السبئي الثاني) كما يعرفون اسم ملك آخر باسم كرب - إيل ذي وتار يهنعم ملك سبأ وريدان. وهكذا يتضح أن المعارك التي خاضها الآشوريون كانت ضد قبائل عربية في الساحل والبادية تمامًا، وبالضبط كما في النقوش ولم تكن ضد المصريين. لا يعني هذا أن الآشوريين لم يصطدموا مع المصريين، فهذا الأمر حدث مرات كثيرة على سواحل البحر الأحمر، ودارت بينهم حروب ضارية سجلتها التوراة بدقة. كل ما في الأمر أن علماء الآثار من التيار التوراتي، وقعوا في أخطاء المطابقة التعسفية وتخيلوا مصري على أنها مصر البلد، وكان هذا الخطأ كافيًا ليقلب التاريخ رأسًا على عقب، ولتدبّ الفوضى في العصور والجغرافيات.

---

(1) هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور عامر سليمان، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر 1979 ص: 438: يرتبط اسم الأكيتو عند البابليين والآشوريين بعيد وطني - ديني. وقد لاحظ عالم الآشوريات ساكز ما يلي (وكما في كثير من المجتمعات الأخرى، كذلك في بلاد ما بين النهرين؛ فإن بعض الأعياد التي كانت أصلًا متميزة، أصبحت بالتالي متشابكة. لذا فإن احتفال رأس السنة الجديدة الذي يركز على الزواج المقدس، أدمج أخيرًا مع الطقوس وحتى مع اسم عيد الأكيتو Akitu وإن مصطلح أكيتو الذي يستعمل غالبًا للدلالة على احتفال رأس السنة بأجمعه، يعني في الواقع جزءًا من الاحتفال فقط، وكان في الألف الثالث مختلفًا تمامًا). لكن لا أحد يعرف أصل الكلمة السومرية الأكيتو A.K.ti وكان الاحتفال يجري في مدينة أور ومدينة نيبور مرتين في السنة، فيطلق عليهما أكيتو موسم البذار وأكيتو قطع الشعير.

4: حملة أشور بانيبال عام 648ق.م

ويبدو أن حملة آشور بانيبال قد تعرضت هي الأخرى للتلاعب الفظيع من جانب علماء الآثار، وحتى من جانب المؤلفين وكتاب التاريخ العرب. وسوف أقوم - هنا - بتقديم ملخص يوضح طبيعة وحدود هذا التلاعب. وسوف أعتمد في رواية هذا الجانب من التاريخ على ساكز (عظمة بابل) وسأستخدم (المفصل) لنقد القراءة الاستشراقية. رأى كلاسر وهو يقرأ نصوص هذه الحملة، حيث سجل العاهل الآشوري أسماء الأماكن والقبائل التي ضربها، احتمال وجود علاقة بين Bi - i - lu وهو اسم ملكة القبيلة، وبين اسم القبيلة العربية باهلة التي تقع منازلها في هذه المنطقة. وعنده أن حملة أسرحدون السابقة، كانت في اليمامة، حيث ينطبق وصف المنطقة على وصف الأماكن المذكورة في حملته. هذا هو ملخص ما توصل إليه كلاسر. لكن جواد علي وهو يعيد سرد أخبار الحملة، افترض على عكس ما هو متوقع من عالم جليل مثله، أن الحملة جرت في بلاد الشام بعد وفاة أسرحدون، وأن الزعيم القبلي المتمرد يثع Uaite وجد الفرصة سانحة، ليقوم بخطوة دبلوماسية جيدة، ويعرض على العاهل الآشوري الجديد طاعته وخدماته، وهكذا ذهب يثع إلى بابل للقاء آشور بانيبال - آشور بن بعل - الذي أصبح ملكًا وكان يتوقع منه أنه سوف يعيد إليه أصنامه، ومنها الصنم الشهير عثتر السماء - أتر سمائين - Atarsamain - A - tar - sa - ma - a - a - in. لكن نصوص الحملة ستؤكد أن يثع هذا Uaite سرعان ما حنث بيمينه، وعاد إلى التمرد من جديد، حين بدا له أن الإمبراطور الآشوري الجديد يواجه مصاعب سياسية وعسكرية داخلية، إذ أعلن شمش - شوم - أوكن Schamaschschumukin شقيق آشور بانيبال العصيان عليه. ولذا سارع يثع إلى الالتحاق بالتمرد الداخلي. لقد بدأت الحرب من جديد واتسع نطاقها. بيد

أن جواد علي وهو ينقل أنباء هذا الصراع، يفاجىء قارئه بوصف جغرافي غريب، إذ نشبت الحرب برأيه حين قام يثع:

على رأس أتباعه بغزو الحدود الغربية لأرض بلاد الشام التي سبق أن استولى عليها الآشوريون، وأصبحت من المقاطعات الخاصة لهم، من أدوم Adom في الجنوب إلى جنوب حماة في الشمال.

وهذا تصور لا أساس له في التاريخ، وهو ناجم عن قراءة استشراقية لبعض الأسماء الواردة في التوراة وطابقها علماء الآثار مع نصوص الحملة، إذ في هذه الحالة يصبح يثع اليمني قائدًا لتمرد، لا تستطيع القيام به حتى أكبر الإمبراطوريات، فهو يحارب في اليمامة وفي جبال اليمن، ثم يظهر جنوب حماة ببلاد الشام؟ والغريب أن جواد علي نفسه الذي وافق على قراءة علماء الآثار من التيار التوراتي، أن أدوم هي دومة الجندل في قلب الجزيرة العربية، يعود فيضع المكان نفسه في الامتداد الجغرافي لبلاد الشام. إن قبول خط سير المعارك طبقًا لنقوش آشور بانيبال، سوف يفند كل هذه التصورات، ذلك أن أول تدبير قام به الإمبراطور الآشوري هو قطع طريق الإمدادات عبر الصحراء، لعزل تمرد شقيقه ومنعه من الحصول على أية مساعدة خارجية، أو فرصة لمواصلة التمرد الداخلي. وهكذا، فقد تم إفشال التمرد وفرّ أحد قادته من زعماء القبائل ويدعى أب - يثع Abjate (با - يثع) مؤثرًا أن ينجو بنفسه. لقد وقعت المعارك حسب النصوص بالقرب من ازرع - ءيلو Azarilu وخرت Khir وكاسه atakasi وأدومه Udume في يبردو Jabrudu وفي بيت عماني Bit Ammani وفي منطقة خوينه Khaurina ومؤاب Mu'aba وساري Sa'ari وخرجه Kharge وصوبيت Subiti. وبالطبع، واجه علماء الآثار مصاعب حقيقية، وهم يحاولون التحقق من هذه الأسماء، ورأى بعضهم، أن

المواضع والقبائل التي وردت في أخبار حملات الآشوريين على العرب، هي من النوع الذي يصعب التعرف عليه، أو تحديده. وهذا رأي جواد علي أيضًا[1]. ومع ذلك، وجد هؤلاء في قصص التوراة ما يساعدهم على إنجاز مطابقة خيالية بين النقوش من جهة، وقصص التوراة وفلسطين من جهة أخرى. وكانت هذه من بين أكثر الوسائل والأدوات فعالية في تكريس خرافة وقوع السبي البابلي في فلسطين. رأى بعض العلماء أن موضع أزرع - ايلو Azarliu المذكور في أخبار آشور بانيبال وانتصاراته على العرب، هو موضع يقع في بادية الشام، أي أنهم توهموا أن هذا المكان هو موضع أزرع جنوب الشام ضمن الحدود الإدراية لمحافظة درعا السورية اليوم، وهذا غير صحيح ويتناقض مع خط الحملة، بينما نرى أنه موضع أذرع - ءل الذي وصفه الهمداني والشعر الجاهلي وعرف باسم أذرعات، كما أن موضع (Khiratakasi (akas) هما موضعان أحدهما هرت - خرت والآخر هو القصة. أما أدومة Udume التي ارتأى موسل أنها ذاتها أدوم Edom وهم من من ذرية عيصو بن إسحاق، وقد استوطنوا في جبل سعير، ثم في منطقة شملت كل تخوم كنعان الجنوبية من البحر الميت إلى الخليج الشرقي للبحر الأحمر، فمن الواضح أنها موضع آخر، وإلّا لما رسم الاسم في صورتين مختلفتين في النقوش. وبرأينا أن الموضع الوحيد في جغرافيا المنطقة في هذا العصر والذي يحمل الاسم أدومة - دومت، ويقع قرب سائر الأماكن والمواضع التي بلغتها الحملة حسب النقوش، هو الجبل المشهور دمت. إنَّ السجلات الآشورية تتضمن قائمة طويلة من الأسماء، منها Mu'aba التي

(1) المفصل: 1: 607 يرثي جواد علي ما يلي: وقد تحدث الإخباريون عن غزو بخت نصر (بختنصر) للعرب أيام معد بن عدنان ووصوله إلى موضع ذات عرق. وقد قلت إن رواته أخذوا مادته من أهل الكتاب (. .) وهو حديث لا قيمة تاريخية له.

ارتأى موسل أنها قبيلة مؤاب المذكورة في التوراة. كما وردت فيها أسماء لأشخاص هي من أقدم الأسماء التي وصلتنا، مثل زيبية وشمس وجندب - جنديبو Gindibu ونهار، وليل Laili -Laiale وموضع انز - ءل - كرمة Enzailkarme - Al - en - zi - kar - me، وهو كما نقل جواد علي عن ديلج Delitzsch موضع يقع جنوب حوران السورية. وبالطبع، إذا ما سلمنا بالقراءة التوراتية التي قام بها علماء الآثار وبعض كتاب التاريخ من العرب، ووافقنا على تتبع الحملة وفقًا للخريطة الافتراضية التي وضعوها، ففي هذا الحال، يكون الآشوريون قد توغلوا في سواحل البحر الأحمر وفي الآن ذاته كانوا يستولون على سواحل المتوسط. إن هذا الخلط المريع للجغرافيا (حيث تصبح أزرع - ءيل قرب درعا السورية) وحضور اليمن في فضاء جغرافي وعسكري واحد.

ولذلك، سوف تتطلب أية محاولة لإعادة بناء الرواية التاريخية عن السبي البابلي، القيام بتصحيح موازٍ للجغرافيا وتخليصها من الفوضى. لقد قمت لأغراض تتصل بتسهيل الأمر على القراء وبعد عمل شاق وطويل، بالتحقق من صحة هذه الأسماء، وأستطيع اليوم أن أعرض خريطة دقيقة، تبين خط سير الحملة طبقًا للنقوش التي وردت فيها هذه الأسماء وهي على النحو التالي - القائمة مختصرة -:

الاسم في النقش	الاسم عند الهمداني
1: أزرع - ءيل[1]	أذرع - ءيل
2: خيرت - أكاسه	هيرت - القصة
3: أدومة	دمت
4: يبردو	برد
5: أماني[2]	أمان
6: مواب[3]	مآب
7: ساري	سراء
8: خرجه	خرجه
9: صوبيت[4]	صبيا

لا شك، أن اسم يثع وهو الزعيم القبلي المتمرد، يشكل مفتاحًا هامًّا لفهم خط سير الحملة، فقد ورد ذكره في المساند الحميرية كملك يمني. ويبدو أن يثع كان لقب الملك وليس اسمه، إذ حمله عدد كبير من ملوك اليمن منهم يثع أمر بين[5] ويثع أمر بين بن ذمار علي[6] ويثع كرب[7]. وكنا رأينا من نقوش سنحاريب أنه تلقى الجزية من كرب - ءيل. كما أن قائمة آلهة القبائل اليمنية، تتضمن عددا كبيرًا مما ورد في السجلات

(1) فلسطين المتخيلة: 2/ 330، صفة: 290، 294.
(2) صفة: 210/ 322.
(3) فلسطين 1: 302.
(4) صفة: 98/ 136.
(5) الإرياني: مساند: النقش 24 - Y.85AQ
(6) المصدر السابق، مساند، النقش 15 - Y.85AQ.
(7) المصدر السابق: مساند، النقش 3.

الآشورية عن الأصنام التي تم الاستيلاء عليها، ومنها ليل - وشمس - وذو السماء - وعثتر[1].

وسوف يتم التحقق من كل ذلك في الفصول التالية.

(1) المصدر نفسه.

الفصل الثالث

تفكيك النص التوراتي

1: إشعيا النبي يصف حملة أسرحدون:

الآشوريون يهاجمون الساحل اليمني

سوف نقوم بالتحقق من الأسماء الواردة في **النقوش الآشورية**، لنبيّن حقيقة أنَّ الحملات الحربية، كانت تستهدف القبائل العربية البائدة **في ساحل البحر الأحمر وفي عمق اليمن**، وأنها لم تكن موجهة ضد اليهود بما هم يهود. تقدم لنا واحدة من أهم قصائد **إشعيا النبي**[1] **وصفًا نادرًا للحملة الحربية التي قادها أسرحدون 680 - 669** ق.م، لتأديب القبائل العربية - العرب العاربة - التي اندثرت وتلاشت من المسرح التاريخي ومنها قبيلة بني إسرائيل، وذلك في حملة كبرى استهدفتها على امتداد نجد (مرتفعات) **وساحل اليمن**. لقد صُوِّرَت هذه الحملة في المخيال الأوروبي على أنها اتجهت صوب **فلسطين**، حيث جرى إخضاع **مملكة اليهودية** ومحاصرة **أورشليم** في عصر ملكها منسه מנשה . بيد أن الحملة كما سوف نبيِّن، لم

---

(1) ישעיה إشعيا، النص العبري، 10: 17 : 33 - **والنص العربي، 10: 27: 11.**

تتجه قط نحو فلسطين؛ وإنما نحو سلسلة جبال حِمْيَر (سرو حِمْير). وهي حملة تقليدية تجسد السياسة التي اتبعتها الإمبراطورية الآشورية، إزاء القبائل المتمردة على امتداد سواحل البحر الأحمر.

إن قراءة مُتمَعِّنة في الإشارات الشعرية والتاريخية، والتوصيف الدَّقيق للمواضع، سوف تكشف، لا الاخْتلاق والتزوير وحسب؛ وإنما كذلك التلاعب غير الأخلاقي في ترتيب الوقائع التاريخية. اليوم سنعلم كيف أدخل علماء التوراة أحداثًا في التاريخ لا وجود لها، ولفَّقوا مسرحًا لحروبٍ لا أصل لها، وخلقوا أبطالًا لا وجود لهم. وبذلك تكون القراءة الأوروبية للتوراة قد ساهمت في صناعة تاريخ لا مكان له في السجلات أو النقوش. فمَنْ ذا يستطيع البرهنة على أن أسماء المواضع التي اجتاحها أسرحدون هي بالفعل في فلسطين، وأنها أماكن حقيقية هناك؟ ومَنْ ذا يستطيع تصّور مثل هذا التسلسل التاريخي غير المعقول، أي أن تقع الحملات الآشورية الحربية والسياسية لإخضاع القبائل البدوية في فلسطين، وساحل البحر الأحمر قرب نجران في آنٍ واحد؟ مثل هذا التسلسل يمكن رؤيته وبكل تناقضه، فقط عند مقارنة السجلات الآشورية بالرواية التوراتية. ولكن هل من المنطقي الاعتقاد أن الآشوريين شنُّوا في وقتٍ واحد، حملة حربية في فلسطين ونجران؟ لسوف تساهم أية محاولة لإعادة بناء الرواية التاريخية عن الحملات الحربية الآشورية، وتحديد مسرحها الحقيقي، لا في البرهنة على الطابع الاستشراقي الفاضح للقراءة الأوروبية للتوراة، وإنما كذلك في كشف الحقيقة التاريخية الضائعة عن هذه الحملات. سنرسم - هنا - إطارًا تاريخيًّا لقراءة قصيدة إشعيا في العام 681ق.م. لقي سنحاريب حتفه، بعد مؤامرة ناجحة لاغتياله في بابل. والتوراة تشير إلى هذه الواقعة وتسجلها في سفر الملوك الثاني

بدقة[1]. (ونص الطبري كما رأينا تحدث عن هزيمته وانسحاب جيوشه). كان سنحاريب عائدًا من حملة حربية لتأديب القبائل البدوية في البادية العربية، وهذا أمر مؤكد في السجلات الآشورية. وفي طريق عودته، تعرض موكبه لمحاولة الاغتيال هذه، حيث قتل على الفور. كان أسرحدون - ابنه - هو الوريث الشرعي الذي حظي بقبول وتأييد النبلاء والوجهاء في بابل، وقد بدا أن خبرة هذا الأمير، تؤهله لقيادة البلاد بالفعل؛ إذ سبق له وأن أدار السلطة على نحو ما بعد فتح بابل نحو العام 689 ق.م في عهد والده. ولهذا نُظر إلى أسرحدون كملك قوي يستطيع مواصلة قيادة الإمبراطورية، وتعزيز نفوذها وصمودها في مواجهة مصر. كانت الحملة التقليدية التي قادها اسرحدون، استطرادًا عسكريًّا وسياسيًّا مألوفًا في الحملات الحربية ضد البدو، وهي لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى فلسطين، وليس هناك أية إشارة إلى أن الحملة اتجهت إلى شاطىء المتوسط؛ بل على العكس من ذلك، هناك كل الدلائل التي تؤكد على أن الصراع مع المصريين، كان يتمركز - في هذه الحقبة من التاريخ القديم - على سواحل البحر الأحمر وقرب نجران.

ولذا، سنبدأ من القصيدة قبل الشروع في إعادة بناء المسرح التاريخي الحقيقي للحملة. هنا مقطع من النص العبري لقصيدة إشعيا، مع اختصار بسيط فهي تبدأ بدعاء ديني يشير إلى معارك أشور مع مصر:

לכן כה אמר אדוני

(1) سفر الملوك الثاني، 37: 36 فَانصَرَفَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ وَذَهَبَ رَاجِعًا وَأَقَامَ فِي نِينَوَى. وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلهِهِ، ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ. وَمَلَكَ آسَرْحَدُّونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ.

יהוה צבאות אל תירא

עמי ישב ציון מ אש

מעל צורך וחבל על מ פני שמן וחבל

בא על עית

עבר במגרון למכמש

الخ......

المقتطف من النص مختصرًا وبالحرف العربي:

لكن - كه - ءمر - ءدوني - يهوه - صبئوت - ءل -

تيرء - عمي - يشب - صيون - م - ء شور

م - عل - صئرك -

وحبل - عل - م - فني - سمن وحبل

بء - عل - عيت

عبر - ب - مجرون - ل - مكمس

يفقيد - كليو - عبرو

م - عبره - جبع - ملون - لنو - حرده - وها - رمه

جبع شاول - نصه - صهلي - قولك - بت - جليم

ها - تقشيبتي - ليش - عنيه - عنتوت

نده - مدمينه - يشبي - ها - جبيم

هعيزو - عود - ها - يوم - ب - نوب - ل - عمد - ينفف - يده -

هر - صيون - جبعت - يروشليم - هنه - ها - ءدوني - يهوه - صبئوت -

م - شعف - فءره - ب - معرصه - و - رمي - ها - قومه - جدعيم -

وها - جبهيم - يشفلو - ونفف - صبكي - ها - عير - ب - برزل - وها - لبنون - ب - ءدير - يفلو.

ما تقوله القصيدة حسب ترجمتنا للنص هو التالي:

هكذا، وكما قال السيدُ رَبُّ النجوم:

لا تخفْ من آشور

يا شعبي الساكن في صهيون

سيخرجون إليك من أكتافك

من أعالي ظهرك

من حبل يصعدون

و من الأعالي أمام سمن

ومن عيت يجيئون

سيعبرون مجرون

وإلى أشراف مكمس كلها سيعبرون

من عبره وجبع

ومن حرده والرما

ومن جبع شاول وملون

يا نضة

يا ابنة الجليم

فلترفعي عقيرتك

ولتسمعكِ الليث

ولتُجِبْ عتوت

ولتتحرك مدمينه

لأن ساكنة الجبيم والعود كانوا يختبئون

اليوم هو في نوب وفي عمد

ويدهُ تلوحُ في جبل بنت صهيون[1]

وجبعة وأورشليم

وها هنا قال القيّوم رَبُّ النجوم:

بالقضبان المُزخرفة في أعراضهِ

سيضرب القامات

ويفلق الهامات

ويدمر المنازل والغابات

وبالحديد لُبنان وأذير يفلون.

تصوّر هذه القصيدة الحزينة، معاناة القبائل البدوية المُضْطهَدَة، أثناء مواجهة الجيش الآشوري. وبالرغم من تحذيرات إشعيا المتكررة من مغبة القيام بمغامرات تمرُّد، أو صدام مع الإمبراطورية الآشورية - والتي ذهبت في النهاية هباء - فإن المعارك التي وقعت هناك، زادت من احتمالات تعرضها للأسر. لكن القصيدة تصور كذلك وعلى نحوٍ دقيق للغاية، معاناة

(1) في الموروث اليهودي - المسيحي للأحباش (أثيوبيا) تعتبر صهيون سيدة السماء، وهي الإلهة الأم المقدَّسة، ولذا تصبح أورشليم ابنتها. والأساطير والمرويات الدينية الأثيوبية، تؤكد أن داود بن سليمان من زوجته بلقيس (ماكدة) هو الذي سرق تابوت صهيون السيدة السماوية من اليمن. والنص التالي يوضح مضمون القصيدة (ومثلما تنبأ داود وقال: مبارك الآتي باسم الرّب، باركتكم باسم الرّب، ومثلما تنبأ حبقوق وقال: الرّب يأتي من اليمن، والقدوس من جبال فاران ومن مدينة يهودا) جلال الملوك: 212، وانظر حول صهيون، ياقوت: 3/ 495 قصيدة الأعشى عن صهيون، وكذلك فلسطين المتخيّلة: 1/ 326.

النبي الشاعر نفسه، وهو يشاهد تخاذل الجماعات البدوية، ثم فرارها أمام بطش الآشوريين المخيف. إن هذا الجانب الإنساني لا يحجب عنا، إمكانية استخدام وصف القصيدة وضبطها لأسماء المواضع والأماكن التي زحف نحوها أسرحدون. وكنا لاحظنا، فقد زحف، طبقًا للنقوش التي تركها، وطبقًا كذلك للنصوص الإخبارية العربية الكلاسيكية التي تتطابق مع هذا التوصيف بشكل مدهش، صوب أهل حضور في اليمن. ولذلك؛ فإن هذه الأماكن لا وجود لها في فلسطين مهما فتشنا هناك. كما أن الزعم بوجودها، سوف يصطدم بمعضلة غير قابلة للحل، إذ لا يمكن الوصول إلى لُبنان من جبل أذير - ءدير، كما لا يمكن الوصول إليه من جبعة، أو من وادي حبل؟ لأن هذه الوديان والجبال الوعرة وببساطة، غير موجودة لا في فلسطين ولا في لبنان. إنَّ السجلات التي تركها أسرحدون، واللوحات الصخرية العظيمة التي تخلد معاركه، لا تتركان مجالًا للشك في أن هذه المعارك، إنما جرت في الصحراء والمرتفعات الشاهقة على ساحل البحر الأحمر، وليس على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. والنص التوراتي يتحدث عن أعداد من الجمال والإبل، كانت مع قوافل الأسرى. وإلى هذا كله، فإن اللوحات الآشورية تظهر الأسرى، وهم يلبسون ملابس بدوية مع مئزر قصير شبيه بمآزر اليمنيين المعاصرين. فأين حدث الخطأ؟ هل وقع الأسر البابلي في فلسطين أم في مكان آخر؟

سوف نفتش عن مسرح الحدث من داخل النص نفسه الذي اعتمده علماء التاريخ، ولكن بالاستعانة بالشعر الجاهلي، ووصف الهمداني (اليمني) وبالتاريخ المكتوب أيضًا.

2: مقاربة بين مرثية إشعيا وبين النقوش الآشورية

ووصف الهمداني لليمن

إذا كانت الأماكن والمواضع الواردة في مرثية إشعيا، لا وجود لها في فلسطين، وعلماء الآثار، بعد أكثر من سبعين عامًا من التنقيب، فشلوا في الحصول على دليل واحد، يؤيد المزاعم عن وقوع الحدث التاريخي هناك؛ فأين يمكن لنا أن نجدها؟ هل لفق إشعيا أسماء هذه الأماكن؟ وهل أخطأ المحرر في تسجيل الأسماء، كما سجلتها المرثية؟ إليكم وصف الهمداني وضبطه للمواضع الواردة في هذه القصيدة، وفيه على سبيل المثال لا الحصر، تحديد دقيق لوادي (حَبل) الذي لا وجود له قط في أي مكان آخر سوى اليمن[1]، ففي وصفه للأودية الشهيرة، يسجل الهمداني اسم الوادي ضمن جغرافيا بعينها، تضم منطقة نجران، فهناك (حَبْل وعضلة، والصمع. - وهي - أودية تسيل إلى الغائط - ثم - الغائط والحَضَن بنجران). وبالطبع، فوجود وادي حبل - حبل في هذا الفضاء الجغرافي، يتوافق تمامًا مع تحديدات الأعشى لجبل صهيون على مقربة من نجران[2]. كما يتناسب مع تحديدات إشعيا للجبل نفسه. هذا يعني أن الحدث وقع قرب نْجران وليس في فلسطين التي لا تعرف اسم الوادي، لا قديمًا ولا حديثًا، كما يعني أن الجيش الآشوري، هاجم المواضع ذاتها التي سوف يهاجمها نبوخذ نصر تاليًا في حملة متأخرة، وهي أيضًا المواضع نفسها التي استهدفتها من قبل سائر حملات الملوك البابليين، وصولًا إلى ملوك الحيرة المتأخرين[3] حتى

---

(1) صفة: 28 - 283.

(2) فلسطين المتخيلة: 1/ 326. وكنا حددنا جبل صهيون الوارد في قصيدة الأعشى عن نجران.

(3) انظر حول حملات ملوك الحيرة (مثلًا حملة المنذر الأكبر) في كتابنا (أبطال بلا تاريخ) دار الفرقد، دمشق 2005 - مصدر مذكور.

عشية الإسلام. وهؤلاء، كرَّروا الهجمات الحربية المنظمة ضد القبائل نفسها وفي المكان نفسه. وهذا هو المسرح التقليدي للتنافس مع المصريين على الساحل اليمني من أجل السيطرة عليه، مثلما يتضح ذلك من تاريخ ملوك الحيرة، عندما سيّروا حملات حربية لإخضاع قبائل نجران. وهذه هي المنطقة المثالية بجغرافيتها الوعرة وشراسة قبائلها، لوقوع حدث ضخم من هذا الطراز. لقد كانت باستمرار المصدر الحقيقي للتهديد الذي ظلت ممالك العراق القديم تواجهه؛ بينما على العكس من ذلك، كانت بلاد الشام هادئة ومستقرَّة نسبيًّا في علاقاتها مع الآشوريين. لقد صعد الجيش الآشوري أثناء مهاجمة ساحل عدن من نقطة ما على الساحل، متفاديًا الطريق الوعر لسلسلة الوديان والجبال في هذه المنطقة. وهذا مغزى قول إشعيا: إن آشور خرج لمحاربة القبائل من موضع يدعى عيت - غيت. وبكل تأكيد ليس ثمة من وادٍ يدعى وادي حبل، أو جبل يدعى سمن في ساحل فلسطين. وفي الواقع؛ فإن جبل سمن هذا يقع على مقربة من وادي حبل تمامًا، كما في القصيدة. هاكم وصف الهمداني للمنطقة المحيطة بنجران[1] حيث بلد يام - يام، علمًا أن اسم بلد يام هذا، ورد في مرثية إشعيا حرفيًّا: بلد يام:

> ليام وطن بنجران، نصف ما مع همدان منها، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زبيد، وما يليها حارة وملاح - ثم - سمنان وقابل نجران.

ها هو جبل سمنان (تثنية سمن) أو جبل سمن، كما عرفه الشعر الجاهلي في المكان نفسه، قرب وادي حاره (حاره في قصة هروب داود)[2]

---

(1) صفة: 226.

(2) انظر حول حارة وسواها مزيدًا من التفاصيل في كتابنا فلسطين المتخيلة - الفصل الخاص بصراع داود مع شاول، مصدر مذكور.

وعلى مقربة من وادي ملاح - ملاح في التوراة. قال عبد بن حبيب، راسمًا الاسم في صيغته القديمة[1]:

تـركـنـا ضُبْـعَ سُـمـنٍ إذا استبـاءت كـأنَّ عـجـيـجَـهُـنَّ عـجـيـجُ نـيـبِ

لقد احتار القدماء من الجغرافيين المسلمين في تحديد جبل سُمن تحديدًا دقيقًا[2]، وإذا ما تتبعنا توصيف إشعيا؛ فإن الآشوريين بقيادة أسرحدون ساروا على الطريق من موضع عيت - غيت، بمحاذاة الساحل تفاديًا لوعورة الجبال والوديان. وليس ثمة من مكان يُدعى عيت في فلسطين بكل تأكيد، ولكن توجد في المقابل بلاد ساحلية قديمة، عرفت باسم بلاد غيث - بالثاء المُعجمة التي لا تعرفها العبرية، وتستعيض عنها بالتاء عادة - وهي بلاد ساحلية على مقربة من ساحل عدن[3]هاكم ما يقوله الهمداني عن هذه البلاد:

غب الغيث بطن من مهرة، فمن أراد عدن فطريقه عليها (..) إلى بلاد الغيث من مهرة.

إذًا، عبرت القوات الآشورية من هذه النقطة الساحلية الاستراتيجية، لتضرب القبائل المتمردة هناك، قبل أن تزحف عبر طريق السرو، متجهة إلى موضع تقيم فيه قبائل تعرف باسم المكان مجرون - الجرون، وهم من البطون الحِمْيَرِيَّة. وهاكم ما يقوله الهمداني عن عبره ومجرون - الجرون[4]:

---

(1) البكري، معجم ما استعجم - ط: بيروت، 3: 41.

(2) أخطأ البكري مثلًا، في تحديده حين قال عنه: إنه موضع في نيسابور، بينما يمكن الاستنتاج من الأشعار العربية الجاهلية، أن المكان كما حدده الهمداني يقع عند قابل نجران (قابل العربية هي ذاتها كبول العبرية כבול. والكلمة لا مكافىء لها في العبرية المعاصرة وفي العربية تعني مقابل).

(3) صفة: 91.

(4) صفة: 186 - 187.

> نوعه لجُران وهم من حِمْيَر، وهم في ناجية[1] - قبيلة ناجية. والمُسمق الأسفل لبني مليك، وحرية للرمسيين ثم مرخة وأولها العُبْرَة.

وها هنا قبيلة الجُران الحِمْيَرية التي هاجمها أسرحدون، وقد رسمها الهمداني بألف ولام عربية (بديلًا من الميم أداة التعريف المنقرضة مجرون - الجرون). ثم واصل زحفه في مناطقها حتى بلغ مشارف مكمس. وها هنا عُبْرَة التي عبر منها (عبرو - م - عبره) مارًّا في طريق زحفه المتواصل على جبع - جبأ. وكنا رأينا من النقوش الآشورية أنه أسر أحد ملوك جبأ، قبل أن يواصل زحفه نحو ملون ووادي حرده وجبل الرما. ولابد هنا من بعض الملاحظات الضرورية والهامة للغاية: إن موضع رمس الذي يُنسب الرمسيون إليه، وهم من القبائل والبطون اليمنية القديمة، كما في نص الهمداني الآنف، هو ذاته الموضع الذي اشتبه على محققي التوراة، فظنوا واهمين أن اسم المكان رمس - في العبرية رمس - يقصد به اسم المدينة المصرية رمسيس. لذا زعموا دون أدنى دليل من النص نفسه، أن بني إسرائيل أقاموا في هذه المدينة الفرعونية، فيما يتضح أن المقصود به رمس وهي موضع قبلي في اليمن، ويرسم في العبرية في صورة رمس רמש تمامًا. ولا علاقة له بالفراعنة. وأهمية الموضع تكمن في وجود موضع في نطاقه الجغرافي يدعى عمد עמד (الوارد في النص العبري أعلاه). وهذا أمر يستحيل توقعه على أساس المصادفة. وهاكم وصف الهمداني ومحققه لهذه المنازل القبائلية: حَرْيَة قرية دارسة تنتابها البدو الرُّحل للإقامة في أطلالها لرعي الأغنام والإبل. وتقع في عُمد من سارع (والرمَسيين هم بنو رمس)[2]. ها هنا عُمد

(1) عند نسابة العرب يظهر لؤي - لوي في التوراة كبطن من بطون ناجية، وهو لؤي بن غالب (بن كالب في التوراة). ولؤي هذا الذي احتار نسّابة العرب في نسبه هو السبط لاوي.

(2) الإكليل: 2/ 25.

- عمد من عُزلة سارع وهي بالرسم ذاته في العبرية عمد עמד . بيد أن المترجمين توهموا أن الكلمة تعني (وقفَ) بتحويل المضارع (يعمد) إلى فعلٍ ماضٍ؛ ولذلك ترجموا بيت الشعر: (ب - نوب - ل - عمد - ينفف - يده) على النحو التالي: (اليوم لازال يقف في نوب يحرك يده). وهذه ترجمة غير مقبولة، لأن حذف حرف الجر لا مبرر له، كما أن عمد لا تعني وقَفَ؛ بل هي اسم مكان كما هو واضح من سياق النصّ. ولذا فالبيت يقول، واصفًا زحف الجيش الآشوري: (اليوم في نوب وفي عمد يدهُ تلوح). وليس ثمة بالطبع، كلمة تؤدي معنى - لا زال - التي أضافها المترجمون لفك لغز البيت الشعري. وهكذا، وبتتبع الأسماء الواردة في القصيدة سنرى أن الآشوريين عبروا من موضع يدعى عُبْرَة إلى الجنوب من ردمان، تمامًا كما في النص الشعري واتجهوا في طريق السرو صاعدين نحو جبع - جبأ. وكنا لاحظنا من النقوش الآشورية أن الجيش احتلَّ جبع هذه، وهي ترسم في صورة جبأ - ملك جاباني - جبعاني Ga'pani (راجع النقوش). إن فلسطين لا تعرف مثل هذه الجغرافيا ولا مثل هذه الأسماء، وليس بوسع الباحث أو السائح، السير من عُبْرَة في فلسطين مرورًا بجبع، لأنه لن يجدها هناك، بينما يستطيع إن يشاهدها بسهولة إذا ما سار في طريق السرو اليمني. إن جبع التوراتية هذه، هي ذاتها سلسلة جبال جبأ - جبع كما ينطقها اليمنيون اليوم، بتخفيف العين وتحويلها إلى همزة على جري العادات الصوتية للقبائل[1] وهي ذاتها التي تحدث عنها أسرحدون، وسمى ملكها ملك جاباني - جبعاني Ga'pani. وهذا التحول في نطق حرف العين، أمر مشهود ومألوف في كلام القبائل (مثلًا اسم العالم والفقيه اليمني الجباعي - الجبائي الذي

(1) مثل قول ذي الرمة (أعن ترسمت) وهو يريد: (أإن ترسمت) فتحولت العين إلى همزة. وانظر ما كتبناه في فلسطين المتخيلة حول أشير التوراة وهم الأشعريون عند الهمداني.

ينطق ويرسم في الصورتين الفقيه الجبائي والفقيه الجباعي. وحتى اليوم لا يزال هذا اللقب القبلي حيًا في السويداء السورية مع القبائل المنحدرة من أصول يمنية - تنوخية). ليست هذه مجرد مصادفة لغوية، نعثر عليها وتؤكد لنا أن خط الحملات كان يتجه نحو عمق الجزيرة العربية؛ بل هو التطابق المدهش الذي لم يهتم به علماء الآثار من التيار التوراتي، وأهملوه أو عجزوا عن رؤيته. هذه الجبال هي جبال جبأ - جبع المعافر أشهر المخاليف اليمنية، وأكثرها ازدهارًا، وكنا تحدثنا[1] عن (جبعة) التي اكتشفها علماء الآثار في المعافر، وعثروا فيها على القصر الأثري المعروف بالاسم نفسه. لقد عثر المنقبون في جبعة اليمنية أو جبع على بعض اللقي الثمينة ولكنها اختفت. وبكل يقين لا تعرف فلسطين موضعًا يُدعى جبعة أثرية، أو جبع جبلية، يستطيع فيها علماء الآثار الحصول على دليل حقيقي عن وقوع الحدث؛ بينما تعرف السراة اليمنية هذا الموضع باسمه التوراتي (جبعة)[2].

---

(1) فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور.

(2) ورد اسم جبع في النقوش الآشورية في صورة جبأ - ملك جاباني - جبعاني Ga'pani. ولأن قائمة ملوك وزعماء القبائل ممن أسرهم أسرحدون طويلة، فسوف نختصر الأسماء على النحو التالي: كيوّ Kiau وهذا هو موضع قو في السمرا على تخوم منطقة اليمامة، وسوف نتحدث عنه في حملة تجلات بلاسر الثالث، عندما تمكن من أسر أحد ملوك قو - كو. كما ذكرت النقوش اسم قيسو Kisu وهؤلاء هم القبائل القيسية. وقيس في التوراة والد شاول ملك إسرائيل. وكذلك ملك خلديلي - خلد - ءيل Haldill وأكبرو - Agbaru - Ak - baru، وهو ملك النبيت - النبيط Na-pi-a-te، ومنسكو - منسك - Mansaku - Ma - an - sa - ku ملك مجلاني - مجلاني Ma - ga - a - ni، والملكة يافأ - يفع) وهي برأينا ملكة يافع في جنوب اليمن) وملكة دخراني، وهي برأينا ملكة ذخر الجبل الشهير في اليمن - Dihrani - Didhrani وحابصو Habisu - Kha - bi - su ملك قداب - Qadab والملكة با ايلو - باءلو Ba'ilu - Ba - i - lu وملكة إخيلو وهي برأينا ملكة قيلة إكيل Ihilu من قبائل حاشد اليمنية الكبيرة. وابن عمرو - خبن عمرو Habanamru - وملك بتع Buda. وكنا تحدثنا عن بتع

وإلى هذا كله توجد قرية دارسة تدعى منوب - نوب بالقرب منه (لاحظ الميم اليمنية وهي أداة التعريف المنقرضة: نوب - منوب) فضلًا عن موضع دمينة - مديمنة (ولاحظ الميم هنا). إليكم ما يقوله الهمداني[1] ولاحظ اسم جبل ذخر (فالنقوش الآشورية تتحدث عن أسر ملك ذخر - ذخراني):

> رجعنا إلى غربي محجة عدن: السحل أرض بني مجيد (..) وأما جبأ وأعمالها وهي كورة المعافر فهي في فجوة بين جبل صبر وجبل ذخر وطريقها في وادي الضباب ويسكنها السكاسك، ومنازلهم من قاع جبأ (...) وصحارة، والدمينة - ثم - مخلاف السحول: غلاس وعُنة وجبأ الذي يُنسب إليه جبأ المعافر (....) وذو مناخ بن عبد شمس وريمان وعروان (..) ومن هذا المخلاف: جبل أدِم ودمت ومنوب.

إذا سلمنا بتوصيف قصيدة إشعيا، للطريق التي سلكها أسرحدون في حملته على نجران والقبائل المتمردة، فهذا يعني أنه سلك طريق السرو من غربي عدن، وليس أي طريق آخر. وكنّا رأينا، أن هذا الهجوم بدأ من مكان يدعى غيث - بلاد الغيث، وهي نقطة ارتكاز ساحلية في منتصف الطريق المؤدي إلى عدن، ليتجه من هناك صوب سرو حمير، مكتسحًا القرى والمنازل القبلية، ومُسيطرًا على الممرات الاستراتيجية في الجبال والوديان، وباسطًا نفوذه في أهم المخاليف - الممالك اليمنية. وهكذا؛ فإنه يكون قد مرَّ بجبال جبأ - جبع، واجتاز وادي عُنَة والدمينة - مدمينة. وهذا الطريق

= هذا. كما أسر عددًا من أتباعهم، بينما تمكن أحد الملوك، وهو الملك ليل Laili من النجاة، ومعلوم أن اسم ياليل من أشهر الأسماء في اليمن القديم مثل عبد ياليل.

(1) صفة: 193 - 198.

سوف يُفضي بالجيش إلى المواضع التالية، تمامًا كما في القصيدة وبالتسلسل نفسه: مخلاف (مملكة) عود - وهي مملكة عود في التوراة، ووادي حرد - حرده، وملون - ملو، وجبل الرما - الرما. ولنلاحظ هنا ما يلي: إن أسفار التوراة وخصوصًا «صموئيل الأول والثاني، تشير إلى أن النبي صموئيل - السموأل، كان يُقيم قرب جبل الرما في واد يدعى نوب. وجبل الرما هذا يقع قرب دُمت، وهما موضعان في جبال جبأ - جبع المعافر. وهذا يعني أن الهجوم طاول سكان جبل الرما كما يقول إشعيا. ومن هذا الجبل اتجه أسرحدون إلى مخلاف عود مباشرة. لقد عبثت الترجمة العربية للتوراة، بالمعاني الحقيقية للقصيدة، وذلك من خلال تقديم وتأخير تسلسل الأبيات الشعرية، وهذا ناجم عن صعوبة فظيعة واجهت المترجمين الذين لم يفهموا المقصود من كلمة عود الواردة في سياقٍ، يجعل من معناها غريبًا ومثيرًا. فإذا ما ترجموا البيت التالي: (هعيزو - عود - ها - يوم - ب - نوب - ل - عمد) حرفيًا وحسب السياق؛ فهذا يعني أنهم يجب أن يقولوا على لسان إشعيا ما يلي: (اليوم تجرأ ثانية ووقف في نوب). لكنهم بدلًا من هذا الاحتمال المقبول نسبيًا، قدموا جملة مفككة تقول ما يلي: (قد اتخذوا ملجأ، اليوم لازال يقف في نوب). في الواقع لا تعني كلمة ها - عيزو: اتخذ ملجأ، لأن الكلمة الدالة على الملجأ هي هعيزر - بالراء - بينما تعني ها - عزه - تصريف عزو - تجرأ - تجرأ، تجاسر، وقاحة. أما كلمة عود هنا، فلا تعني ثانية أو أيضًا؛ بل هي اسم المخلاف اليمني العامر الذي اجتاحه أسرحدون مباشرة بعد السيطرة على جبال جبع ووادي حرده. إليكم وصف الهمداني للمواضع الواردة في القصيدة[1]: ومليان هو مخلاف يسكنه العوديون وغيرهم من أقباض - أي أخلاط حِمْيَر - والعود للعدويين، منه

(1) صفة: 200 - 201.

مصانع رُعين. ومن الأودية وادي حرد (. .) ومليان. ها هو مخلاف عود الذي تقطنه قبائل من أخلاط حِمْيَر، وهو للعدويين (عليتثيم في التوراة). ومن هذا المخلاف، سوف يتجه أسرحدون للسيطرة على وادي حرده - حرد ووادي ملون - مليان مجتازًا الدمينة - مدمينة. المُثير للاهتمام في هذا النطاق، أن المترجمين ترجموا جملة (وجبع - شاول - نصه) إلى (وفرَت جبع شاول). وهذه ترجمة غير مقبولة وغير مفهومة، لأن المقصود من كلمة نصه العبرية وحسب سياق النص الشعري، الإشارة إلى موضع بعينه يدعى نضه، وقد خاطبه الشاعر متوسلًا بقبائله أن تتحرك لنجدة المُحاصرين. وبالطبع ليس ثمة ما يشير إلى (فرار جبع كما في الترجمة العربية السائدة). ومهما كانت مُخيلة الشاعر القديم جامحة؛ فإنه لا يمكن أن يقول (فرَّ الجبل أو هرب الوادي). والصحيح أن البيت يقول ما يلي:

يا نضه

يا ابنة الجلم فلترفعي عقيرتكِ

والجلم - أو الجلام في صيغة الجمع، هو أطراف الجبال في كلام أهل اليمن[1] وحيث انجلمَ الطول وانقطع. وها هنا نضه (العبرية تستبدل الضاد المُعجمَة بالصاد المهملة مثل: ءرص، أرض) في أطراف السرو في منطقة الحجر كما يقول الهمداني[2]: وبحذاء بلد الحجر قرية يُقال لها نضه (. .) ومن أوديتها الغورية فرشاط، وأسفله من كنانة. وسوف يكون مفهومًا تمامًا المغزى الحقيقي لقول إشعيا، مباشرة بعد مخاطبة نضه - نصه ابنة الجلام: ولتسمعكِ الليث (ها - قشبيتي - ليش) لأن الليث من ساحل كنانة. وهذه الأودية هي أسفل فرشاط ووادي نضه وبيشه - بيش - في التوراة. إليكم

(1) الهمداني، المصدر السابق: 271 - 272.

(2) المصدر السابق: 235.

وصف الليث في صفة جزيرة العرب[1]: ووادي بيش - بيشه - ثم بلد حرام من كنانة والسرين وساحل كنانة هو الليث. وبذلك يتضح مغزى المساندة التي توخاها إشعيا في قصيدته: أن تهبَّ القبائل العربية العاربة في الساحل، وفي أطراف السرو لمقاومة أسرحدون، بعدما تخاذلت القبائل في مخلاف العود وفي أطراف الجبال أو الجبيم، واختبأت أو فرَّت أمام الجيوش الزاحفة. أما الجبيم - الجمع العبري من جب - والتي تخاذلت قبائلها، فليست سوى موضع الجبات (الجمع العربي من جب والجمع العبري جبيم) والتي وصفها امرؤ القيس في قصيدة شهيرة:

غشيتُ ديار الحي بالبكراتِ فعرمة فبرقة العبراتِ
فغول فحليت فنفء فمنعجٍ إلى عاقلٍ فالجب ذي الأمراتِ

هذه الحملات الحربية التقليدية التي تزخر بأخبارها السجلات واللوحات الفنية الآشورية العملاقة، حيث مشاهد الأسرى المصفدين بالسلاسل من رجال القبائل، بأزيائهم البدوية وهم يُجَرجَرون في الساحات العامة؛ تبدو أمرًا مألوفًا في التاريخ الآشوري. وفي إطارها وقع بكل تأكيد حادث هام للغاية، فقد تمكن الآشوريون في حملة خاطفة بقيادة أسرحدون من أسر ملك من ملوك بني إسرائيل يُدعى منسه. وحسب رواية النص التوراتي؛ فإن الملك الإسرائيلي اقتيد مكبَّلًا بالحديد إلى بابل هو ورجاله. وإذا ما وضعت أخبار هذه الحملة المُبكرة من حملات أسرحدون في سياق التاريخ الشخصي لهذا الملك الآشوري القوي، فيجب - في هذه الحالة - أن نفترض أنها وقعت نحو العام 642 ق.م وليس أبعد من هذا التاريخ، لاعتبارات عدة من أهمها، أن وجود الملك الإسرائيلي منسه في أسر

(1) صفة: 232.

الآشوريين لم يدم طويلًا ؛ إذ سرعان ما شعر الآشوريون بالحاجة إلى إعادة تنصيبه ملكًا في مملكة - مخلاف اليهودية[1]. وهذا أمر تكرر حدوثه في أخبار الحملات التي سجلتها النقوش. وعلى هذا الأساس جرت عملية تحريره ورجاله، وتمّت إعادة تنصيبهم في أورشليم والسماح لهم بإعادة بناء ما تهدم منها، وذلك في إطار اتفاق سياسي جديد بين الإمبراطورية والقبائل المتمردة، يقوم على أساس مواصلة الولاة والحكام في الأقاليم، الواقعة تحت سيطرة الآشوريين، لأدوارهم التقليدية في ضمان خضوع قبائلهم وممالكهم الصغيرة. وبذلك تكون هذه الحروب والأدوار السياسية للملوك المُعاد تنصيبهم، قد تجاوزت مسائل دفع الضرائب، أو منع القبائل من التمرد على الإمبراطورية إلى الاستمرار في مقاومة المطامع المصرية، ومنع وحرمان المصريين من مدّ نفوذهم في الساحل الطويل للبحر الأحمر. ومن وجهة نظر العهد القديم وكاتب السفر التوراتي؛ فإن الملك الإسرائيلي منسه ارتكب خطايا، جلبت عليه غضب الرَّبّ، حتى أرسل له آشور ليؤدبه ويعاقبه ويأخذه أسيرًا. وهذا هو برأينا المصدر الحقيقي لقول الإخباريين العرب إن الله تعالى سلط نبوخذ نصر على أهل حضور، وأنه أمر أحد الأنبياء أن يأتي البخت نصر، ويطلب منه أن يغزو العرب. ومن بين هذه الأفعال الشريرة، ممارسة الملك لفنون السحر والتنجيم والكهانة، كما أنه أمر أولاده بطاعة النيران في جبل هنوم، حيثُ عبدت النجوم آنئذٍ على جري عادات دينية قديمة. يقول النص العبري:

ويبن - مزبحوت - ل - كل - صبء - ها - شميم -
وهوء - ها - عبير - ءت - بنيو - ءشر - بني - بن -
هنوم

(1) انظر الكتاب الرابع من فلسطين المتخيلة المكرس لبحث مسألة مخلاف - مملكة يهوذا.

(وبنى مذبحًا لكل نجوم السماء وأجاز الخطيئة لأبنائه الذين في وادي هنوم)

بصدد الواقعة التي تتحدث عن وجود عبادة وثنية في جبل هنوم، لا بد من الإشارة هنا إلى أن الملك الإسرائيلي منسه، وخلال عودته إلى أورشليم (أورسالم)[1] باشر هو ورجاله في إعادة بناء ما تهدم منها، انطلاقًا من مكان يقع قرب جبل هنوم. والنص العبري[2] يحدد على أكمل وجه المناطق التي شملها البناء. وسوف يكون من قبيل التعسف أن يُرى إلى هذه المواضع على أنها في فلسطين.

ءحيري - كن - بنه - حومه - حيصونه - ل - عبر - دود - م - عربه - ل - جيحون - ب - نحل - لبوء - ب - شعر - ها - دجيم - وصبب - ل - عفل ويجبهه

(وأسّس كذلك، وبنى سورًا حصينًا إلى عبرى داود، ومن عربه إلى جيحون، وفي وادي لبو، وفي - جبل - شعر، والدجيم فترتفع إلى - وادي - الضباب وجبيهة).

يتضح من هذه النصوص، أن الآشوريين دمروا منطقة واسعة، قبل أسرهم الملك الإسرائيلي الذي كان يُقيم في جبل هنوم، وأن هذا الملك، وفور عودته من الأسر، أعاد بناء أسوار أورشليم المُهدمة، وأصلح مكانًا بعينه يدعى منازل داود (دود דוד)[3]. كما قام بإصلاحات في وادي ها -

(1) لا يزال سكان اليمن حتى اليوم يعرفون مدينة بائدة شرق صنعاء كانت تحمل اسم أورسالم - أورشلم، وتقع قرب بيت بوس، أي بالضبط كما في وصف التوراة.

(2) سفر الأخبار الثاني 33: 8: 22: والنص العربي: 33: 10: 25.

(3) الاسم نفسه لا يزال موجودًا في صورة جبل دود. وفي هذا الجبل دارت معارك الحوثيين في صعدة. والعامة من الناس تعتقد أن الاسم الغريب ينصرف إلى الدود - الحشرات - بينما هو يشير إلى الملك داود - دود.

عربه - وادي العرب، وجيحون ولبوء - لبو، وجبل الشعر والدجيم ووادي صبب - ضباب ويجبهه (جبيهة). لكن، إذا كانت أورشليم هذه وطِبقًا لوصف محرر سِفر الأخبار الثاني، تقع قرب هنوم وسائر المواضع أعلاه؛ فإنها بكل تأكيد ليست القدس العربية في فلسطين. إن فلسطين لا تعرف مكانًا لعبادة النار في جبل يدعى هنوم، ولا مواضع بمثل هذه الأسماء. ولذا يتعين إعادة وضع هذه الحملة المبكرة على القبائل العربية العاربة، ضمن التاريخ الآشوري في السراة اليمنية. (انظر ما كتبناه عن هنوم والشعر وجبيهه الحجر والضباب وعبره وسواها في كتابنا فلسطين المتخيلة). ولأجل التحقق من وجود هذه المواضع، والأماكن كما وردت في النص العبري، فسوف نعيد رواية الحادث بصوت الهمداني. لقد اشتهرت اليمن القديمة بما يُعرف بنار اليمن وهي، كما يبدو من الإخباريات والمرويات الكلاسيكية، نيران بركان جبلي في سلسلة جبال هنوم المؤلفة من جبلين كبيرين وجبل صغير ثالث، وتعرف بسراة عذر وهنوم. تتصل هذه السراة بسراة جُبلان عبر سراة المصانع من صنعاء؛ وبذلك فهي تتصل بالفعل بوادي العرب - ها - عربه، وببيت بوس التي تصفها التوراة بأنها أورشليم. إن ما تسميه النقوش الآشورية بـ(عريبي) وملك (عربي) ليس سوى وادي عربه - وادي العرب هذا، حيث توجد سائر المواضع التي ذكرتها السجلات الآشورية. وهذا ما سنراه في الفصل التالي.

حملة تجلات بلاسر الثالث على السراة اليمنية وسقوط قدَس

لا أحد يعرف، بصورة دقيقة وصحيحة، مَنْ هو الملك رصين - رضين ملك إرم רצין מלך ארם الذي تتحدث عنه التوراة، بوصفه ملك ء رم، والمقصود به في التأويل الاستشراقي إرم دمشق، وأنه قُتل على أيدي الآشوريين في معركة غامضة لا يذكرها التاريخ المكتوب. ولا أحد يعرف كذلك، طبيعة علاقته، بما يُزعم أنه ملك مصري خائن أو متخاذل يُدعى سوء - سوءه، سوف يأسره الآشوريون في حملة أخرى، جرت فيها أول عملية أسر حقيقي لبني إسرائيل قبل عصر نبوخذ نصر. ومع ذلك فقد تم وضع هذا الملك، وتحت تأثير قراءة استشراقية، شارك في صياغة رؤاها علماء آثار من التيار التوراتي، وباحثون في التاريخ من العرب والأجانب على حدّ سواء، ضمن التاريخ السوري. وجرى في نطاق هذا التلفيق تدوين وتسجيل وقائع معركة، يُزعم أنها حدثت بين الآراميين والآشوريين على حدود سورية الجنوبية عام 738ق.م. والمثير للاهتمام أن كتاب التاريخ القديم في أوروبا - والعالم العربي استطرادًا، وخصوصًا أساتذة الجامعات، تمسكوا برواية التوراة هذه، مع أن لا مصدر آشوريًا يؤيدها. وهكذا صار

طلاب الجامعات في أقسام التاريخ القديم، وحتى الباحثين المجرّبين، يستخدمون خبر التوراة هذا، بوصفه خبرًا تاريخيًّا يخصّ التاريخ الآشوري. كل ما نعرفه عن الملك رصين - رضين، مستمد بالكامل من المروية الاستشراقية عن هذا الحادث، وليس من أي مصدر تاريخي موثوق فيه، كالنقوش والسجلات الرسمية الآشورية. ولكن، يقال في بعض المؤلفات التاريخية، إن رصين - رضين كان معاصرًا للملك سوء - سوءه، وأنه شارك في المعارك ضد الآشوريين وأمكن أسره وحبسه. إن الرواية السائدة تتحدث عن صراع آشوري - مصري على سورية وفلسطين في إطار ما يُزعم، أنها حملة عسكرية آشورية قادها تجلات بلاسر الثالث 745 - 727 ق.م لاحتلال فلسطين، وهي انتهت بسقوط أورشليم والسامرة. بيد أن هذه الرواية، تبدو تلفيقًا نموذجيًّا من ألفها إلى يائها، ولا أساس لها في التاريخ المكتوب، لأن مثل هذا الصراع لم يحدث في سورية، كما أن دمشق لا تعرف ملكًا يُدعى رصين - رضين، ومصر لا تعرف ملكًا أو قائدًا عسكريًّا باسم سوء - سوءه. وبالطبع، فلم تكن فلسطين قط، مسرحًا لأول أسر بابلي قبل عصر نبوخذ نصر. بكلام ثانٍ، وقع الحدث التاريخي في السراة اليمنية وضد قبائل عربية بائدة، تحالفت مع بني إسرائيل هناك لصد الغزو الآشوري. وما يزعم أنه حلف سوري - مصري، ليس في حقيقته سوى حلف جماعات من القبائل واجهت أطماع الآشوريين، تصدًّى لسياستهم الاضطهادية في السراة اليمنية وعلى الساحل وفي نجد اليمن. هاكم خلاصة عن الحدث التاريخي كما روته التوراة[1]:

في العام 747 ق.م صعد إلى عرش مخلاف - مملكة إسرائيل، ما

(1) سفر الملوك الثاني، النص العبري، 15: 11: 27.

يسمى في التراث الكتابي مملكة الجنوب، الملك فقحيه بن مناحم[1]، بينما أصبح الملك عزريَه بن أمصيه - أمصيا עזריה בן אמציה ملكًا على يهوذه، أو ما يدعى مملكة اليهودية، أو ما يعرف في التراث الكتابي بمملكة الشمال. والمملكتان - المخلافان اليهوديان، كانا في حالة شقاق وصراع ضارٍ له طابع ديني وسياسي وقبائلي، بلغ ذروته مع حدوث صدامات دامية بين الطرفين. وبحلول العام 737 ق.م زحف بن مناحيم[2] ملك إسرائيل، نحو أراضي السمرا التي تتبع مملكة - مخلاف اليهودية، وأعلن عن نفسه ملكًا فيها.

لكن أحد قوّاده هناك ويُدعى بن رمليَه، تآمر عليه وضربه في أرمون - أرمان وفي بيت ملك - وادي ملك، وفيَ ءرْيه - الراية، وفي رجوب - رجوب، وكان معه خمسون من فرسان بني جلعد، فقتله وأعلن عن نفسه ملكًا مكانه. في هذا الوقت ومع تصاعد الحروب بين المخلافين - المملكتين، سارع تجلات بلاسر الثالث إلى التحرك لوضع حد لهذه التنافسات. وبعد وقت قصير من هذه الصراعات، صعد ملك جديد إلى المسرح، هو الملك ءحاز אחז الذي ذكرته النقوش الآشورية[3] كما رأينا. وهذا الطامح الجديد بالعرش، أصبح ملكًا على مخلاف يهوذه نحو العام 735 - 716 ق.م، منتهجًا خطًا دينيًا وسياسيًا، مغايرًا ومتناقضًا مع

---

(1) وكنا رأينا في الأقسام الأولى من هذا الكتاب أن نقش بيت شعريم يتحدث عن قبر مناحيم قيل - ملك حمير. كما عرفنا من النقوش الآشورية أن أحد الملوك الأسرى كان اسمه ء حاز.

(2) يؤكد نقش بيت شعريم في فلسطين المحتلة (ونصه: هذا قبر مناحم - قولن - حمير) حقيقة أن اسم مناحم كملك إسرائيلي، له صلة عضوية، تاريخية ولغوية بيهود اليمن المهاجرين إلى بلاد الشام.

(3) انظر النقوش في الفصل السابق ولاحظ ما يلي: إن النقوش الآشورية ترسم الاسم في صورة حزا - ءيل كما في جملة (غضبت خونو على خزا إيلي ملك إربيي).

مخلاف - مملكة إسرائيل، ورافضًا الالتزام بالشرائع والسُّنن اليهودية الأولى (الداودية نسبة إلى الملك داود) والتي ظل سكان مخلاف - مملكة إسرائيل يتمسكون بها. ويبدو أن الشقاق المتفاقم وأساسه ديني بالطبع، نظرًا لوجود مخالفات دينية يُزعم أن سكان يهوذه قاموا بها، منتهكين قواعد الديانة الإسرائيلية، قد شجع بن رمليَه ملك بني إسرائيل الجديد على التحالف مع ملك قبلي، يدعى رصين - رضين، كان ملك مخلاف - مملكة ء رم - آرام، لمقاتلة الملك اليهودي الشمالي، المتمرد والمخالف للشرائع (ءحاز). وهكذا، حاصر الملكان المتحالفان، رصين - رضين الآرامي، وملك إسرائيل بن رمليَه، عدوهما المشترك الملك ءحاز، ملك مخلاف - مملكة يهوذا (انظر ما كتبناه عن رصين هذا في مطلع الفصل). ولكنهما لم يتمكنا من قهره. ولذا اغتنم ءحاز - الحاز ملك يهوذه الفرصة، وسارع إلى طلب النجدة من الآشوريين من أجل تحطيم هذا التحالف. ثم بادر إلى إرسال رسائل، تحث العاهل الآشوري على التدخل قائلًا له (إنه عبد مطيع وابن مخلص للإمبراطورية وإن من واجب العاهل الآشوري أن يهبَّ لتخليصه من عدوَّيه ملك آرام وملك بني إسرائيل). ولأجل هذا الغرض حمل موفدوه إلى بابل، آنية الذهب والفضة والهدايا الثمينة. لقد بدت الاستعانة بآشور، العدو القديم والتقليدي لليهود اليمنيين، حلًّا وحيدًا أمام ءحاز للتخلص من خصومه، أبناء جلدته وإخوته في الدين، بينما كان الآشوريون - في الواقع - يتحرقون شوقًا لرؤية هذه اللحظة من الشقاق والتنازع الدموي بين القبائل، وها قد جاء مَنْ يستجدي منهم تدخلًا عسكريًا كانوا هم أنفسهم، بأمسّ الحاجة إليه. نظم الآشوريون حملة حربية كبرى، قادها تجلات بلاسَر بنفسه زاحفًا على مملكة يهوذه، واجتاح خلالها دمشق النجد[1] وهي من مدن نجد

---

(1) انظر ما كتبناه حول دمشق النجدية في فلسطين المتخيلة.

اليمن القديم، وعرفها العرب بالاسم نفسه، ولا علاقة لها بدمشق العاصمة السورية على الإطلاق، ثم قام الملك الآشوري بعمليات تهجير لسكانها شملت منطقة قير - حرست[1]. وبعد ذلك توالى سقوط المنازل القبلية الأخرى. بالطبع ليس من المنطقي الافتراض، أنه أسقط دمشق العاصمة السورية، وهجَّرَ سكانها إلى قر - حرست، لأن بلاد الشام كلها لا تعرف هذه الواقعة في تاريخها القديم المكتوب والموثق، كما أن مكانًا يدعى قر - حرست، لا وجود له في بلاد الشام. ومع سقوط المواضع أمام الزحف الآشوري بسرعة وواحدة تلو الأخرى، فقد تتالى سقوط مجموعة جديدة من مواطن القبائل، منها عيون - عيون، وإبل إبل، وبيت معكه - العكا، وينوح - نوح، وجبل قدس قَدَس، ووادي حصور - حضور والجليل الجليل،وكل أرض نفتل - الفتول. وإثر ذلك تم إجلاء السكان من هذه المناطق إلى مناطق أخرى داخل السراة. كما قام العاهل الآشوري بأخذ بعض الأسرى إلى بابل. وهذا هو فعليًا أول أسر يحدث في تاريخ الصراع الآشوري ضد بني إسرائيل. لكن، وبعد مضي اثني عشر عامًا من حكم ءحاز[2] صعد إلى العرش الآشوري شلمانصَّر الخامس 726 - 722 ق.م خلفًا لتجلات بلاسر الثالث. في هذا الوقت سارع هوشع بن إيله[3] من مقاطعة السمرا، ليعلن عن نفسه ملكًا على مخلاف - مملكة إسرائيل. وفي مسعى إلى انتهاج سياسة جديدة، تقوم على الطاعة الكاملة، أبدى الملك الجديد استعداده للتعاون مع الآشوريين. بيد أن الشكوك كانت تساور الآشوريين بحقيقة نوايا الملك

(1) حرست - حرستا اسم آرامي وعربي قديم لا يزال موجودًا في ضواحي دمشق الشرقية القريبة من مناطق لا تزال تتكلم الآرامية مثل معلولا وصيدنايا. ومن المؤكد أن القبائل الآرامية التي وصلت الشام نقلت معها بعض أسماء مواضعها.

(2) وفي النقوش الآشورية قرأنا اسم حزا - ءيل.

(3) انظر حول أيله كتابنا فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور.

الإسرائيلي الجديد، إذ تناهت إلى أسماعهم أنباء تقول، إن هوشع بن إيلة هذا، كان يُحرِّض ملك قبائل المُضَريين في ساحل كنانة على التمرد وعدم دفع الجزية للإمبراطورية. والتوراة تسمي ملك المُضريين هذا (ملك - ها - مصريم מלכהמצרים)[1] وتطلق عليه اسم ابن سوء - سوءة. ويبدو أن محققي التوراة ظنوا أن المقصود به ملك مصر البلد العربي. ولمّا كان التاريخ المصري لا يعرف ملكًا يدعى سوء - سوءة، كما لا يعرف واقعة من هذا النوع، يكون فيها لملك إسرائيلي صغير مثل هذا النفوذ عليه، وبحيث يصغي إلى نصيحته بعدم دفع الجزية للآشوريين، وإلى هذا كله فالتاريخ لا يعرف أي شيء عن واقعة دفع الجزية هذه لأن المصريين لم يدفعوا أية جزية للآشوريين بهذه الصورة المخزية، فقد بات علينا إعادة النظر في التأويل الاستشراقي الخيالي للنص، وأن نعيد النظر بالاسم. وفي الواقع كان هوشع بن إيله يحرض القبائل المُضَرية على الامتناع عن تقديم الجزية. وبكل تأكيد، فهو لم يكن مؤهلًا ولا قادرًا على تحريض المصريين، ملوك مصر البلد العربي. على هذا النحو بدأت حملة شلمانصّر الجديدة على السراة اليمنية، وانتهت بأسر سوء - بن - سوءة ملك المُضَريين وأخذه مُصفدًا بالسلاسل إلى بابل، كما حاصر الآشوريون أورشليم، وقاموا بنقل سكانها في حملة تهجير داخلية منظمة إلى وادي كبار חבר ونهر جوزان גוזן وإلى مدي מדי . وهذه المواضع كما سنبين من أودية اليمن وليست في العراق القديم[2] كما زعمت القراءة الاستشراقية.

هذه هي - باقتضاب شديد - الرواية التوراتية عن أول عمليات أسر

---

(1) راجع ما كتبناه حول المضريين في فلسطين المتخيلة - مصدر مذكور.

(2) هذه هي الحملة الأولى التي يجري فيها تهجير منظم للقبائل من أوطانها الأصلية وإبعادها إلى مواطن جديدة داخل السراة اليمنية بغرض الحدّ من غاراتها على ثغور الإمبراطورية.

وتهجير، تعرض لها بنو إسرائيل وقبائل العرب العاربة على يد الآشوريين. وإذا ما قمنا بمقاربتها مع ما ورد في السجلات الرسمية للآشوريين والنصوص الإخبارية العربية الكلاسيكية؛ فإن الحدث الأصلي سيبدو متطابقًا، بينما يصبح الاختلاف مع الفهم الاستشراقي فظيعًا وغير قابل للمعالجة، فليس ثمة ملك مصري أسير. وليس ثمة ملك سوري - آرامي، قتل في هذه المعركة التي لا يعرف عنها التاريخ أي شيء. فهل اختلق سارد النص هذه الرواية؟ **إن ملك المُضَريين - من بني سواء - هذا، لا صلة له بما** يُزعم أنه مصري، وإنما **هو ملك قبيلة مضر** (المُضَريين). أما الملك السوري المزعوم رصين[1] - رضين، فليس سوى ملك قبائل آرام اليمنية في دمسق القديمة - بالسين المهملة وتمامًا كما في العبرية -. ورضين أسرة ملوك من طيّئ في الحقبة اليمنية، يوم كانت تقيم هناك. وهذا بالطبع لا علاقة له بآرامي سورية المتأخرين. كما أن فلسطين القديمة لا تعرف وادي العيون ولا وادي الملك ولا حضور قرب جبل قدس كما لا تعرف مدي (وهذه جرى تخيلها على أنها ميديا في بلاد فارس). فكيف جرى تخيل الأحداث هناك وعلى أي أساس تاريخي؟

سنقوم بإعادة توصيف المدن التي سقطت في يد الآشوريين، حيث تم أول سبي بابلي (داخلي) وأول عمليات تهجير كبرى للسكان الذين نُقل بعضهم إلى مواضع أخرى داخل السراة اليمنية. وهذا التوصيف سيكون أساس مقاربة جديدة لنصوص الحملة الآشورية. ولكن قبل ذلك سنتوقف

(1) في قائمة القبائل التي أسرها نبوخذ نصّر سنرى أن أحد البطون القبيلية يدعى رصين - رضين. ومن غير المنطقي أن يشترك هذا البطن الذي ينتسب إليه الملك في حروب ضد الآشوريين، ثم يؤخذ أسيرًا أو يقتل، وفي الآن ذاته نراه ملكًا سوريًا. انظر (قائمة الأسر: في فلسطين المتخيلة: 2: 4).

عند مكانٍ تفجر فيه أكبر صراع بين المخلافين - المملكتين؛ وهو صراع تسبَّب عمليًّا في توفير كل أسباب التدخل الآشوري. لقد قُتل ملك إسرائيل على يد أحد قواده في السمرا، بعد مؤامرة ومعارك جرت في ها - ريه - الرّية، ورجوب - رجوب، وأرمون - أرمان التي يترجمها مترجمو النص العبري إلى (برج الملك). فهل تعرف فلسطين مثل هذه المواضع؟ هاكم أولًا، وصف الهمداني للمواضع ومنها موضع ها - ريّه - الريّة[1] والذي يقول فيه إن: (شتات وثلات ورِيّة مواضع في بلد وادعة من همدان). هذه هي ريّة تمامًا كما في السفر التوراتي، وقد حددها الهمداني قرب نجران. أما وادي ملك وأرمون، فهما موضعان ميّز النص العبري بينهما في صورة أرمون وملك. وسنرى دلالة وقوع الأعمال الحربية في هذا المكان، حين ندقق في خط الحملة العسكرية الآشورية التي اتجهت صوب وادي العيون. كانت معركة وادي العيون - عيون واحدة من أهم معارك تجلات بلاسر الثالث، لأنها مكنته من الزحف نحو وادي حضُور. يقول النص العبري:

ب - يومي - فقح - ملك - يسرئيل - بء - تجلت -
فلسر - ملك - ءشور - ويقح - ءت - عيون - وءت -
ءبل - بيت - معكه - وءت - ينوح - وءت - قدش -
وءت - حصور - وءت - ها - جلعد - وءت - ها -
جليله - كل - ءرص - نفتلي ويجلم - ء شوره

والترجمة الدقيقة تقول:

وفي أيام فقح - ففحيه ملك إسرائيل عاد تجلات بلاسر ملك آشور، وأخذ - وادي - عيون، وابل، وبيت

معكه، وينوح، وقدس وحضُور[1]، وجلعد، والجليل،
وكل أرض نفتلي ونفاهم إلى الشور

إن المواضع التي سقطت في يد تجلات بلاسر - فلاسر الثالث، لا وجود لها في فلسطين، بل في أراضٍ تمتد من السمرا وعلى أطرافها حتى اليمامة، حيث وادي ملك وابل والشور، وهو وادٍ من الوديان الكبيرة. ولنلاحظ أن النص العبري يرسم الاسم في صورة ء شوره - الشور، وهذا رسم مختلف عن الرسم العبري لاسم آشور؛ بما يعني أن التوراة لا تقول مطلقًا إن العاهل الآشوري قام بنفي كل السكان إلى آشور، بل هي تقول إنه نفاهم إلى الشور. والشور هذه صحراء يمر فيها وادٍ بالاسم نفسه. كما أن التوراة تشير إلى مكانين مختلفين. هاكم وصف الهمداني لمنطقة اليمامة حيث وقع الحدث[2]: ويُقابل العَرْمَة غار المغرة، ورحا إبل. ثم تصعد منها إلى اليمامة (. .) ثم تقطع بطن قو ثم السمراء، وهو أرض سهب - ووادي العيون (. .) ومن أودية اليمامة - وادي - ملك. وسوف نشير هنا عرضًا إلى أن تجلات بلاسر الثالث في نصوصه، يؤكد أنه أسر ملك من ملوك كو - قو (كوّ Kiau) في اليمامة. وليس ثمة مكان بهذا الاسم سوى موضع قو في أرض السمرا الصحراوية. من المتعذر بالفعل العثور - داخل جغرافية فلسطين - على ما يناظر أو يماثل أسماء المواضع أعلاه، وبالصيغ ذاتها كما في النص العبري؛ بل وبالتجاور والتقارب ذاته. ها هنا الأماكن ذاتها والفضاء الجغرافي ذاته. وهذا أمر مثير للغاية وأبعد ما يكون عن مجرد مصادفة. ها هنا البلاد القديمة السمرا - السامرة في الرسم العربي، والتي

(1) لنلاحظ التطابق التام في وصف الحملة عند الطبري وابن حبيب والتوراة، فهي تؤكد أن الآشوريين قاموا بغزو أهل حضور اليمن.

(2) صفة: 252 - 254.

تفجّر حولها صراع مسلح أدّى إلى تدخل الآشوريين. وها هنا وادي ملك ووادي عيون بالضبط. وهاكم وصف الهمداني لموضع حاز - ءحاز الذي جاء منه اسم الملك الإسرائيلي[1] (لقبه) على مقربة من بيت بوس (**نقيل السود، فبيت بوس وما بينهما من حقل صنعاء، ويلقى هذه الأودية سيل مخلاف حضُور وحاز وبيت قرن وبيت رفح**). وحاز هذه في عصر الهمداني كانت قرية عظيمة وبها آثار جاهلية. أما بيت رفح وبيت كرب فهما على حدود حضور[2]. ها هنا، إذًا وادي حضُور الذي سقط في يد تجلات بلاسر، وها هنا أورشليم القديمة وهي بيت بوس، وإلى جوارهما المحفد اليمني الذي لايزال يحمل اسم ملك مخلاف يهوذه: حاز. وللتدليل على أن اسم هذا الملك أصبح اسمًا لمكان بعينه، يُدعى حاز - ءحاز، أو أنه كان - في الأصل - اسم موضع، تسمَّى به أو انتسب إليه الملك، فسوف نضيف - هنا - تفصيلًا هامًّا للغاية من سفر الملوك الثاني[3] يتحدث عن الإصلاح الديني الذي قام به الملك يوشيه: 640 - 609 ق.م في مخلاف - مملكة يهوذه؛ إذ أزال هذا الملك بعض مظاهر العبادة الوثنية المتناقضة مع التوحيد، ومنها قيامه بتحطيم الأوثان في موضع يدعى ماوة (ماوة بعل). كما قام بتدمير بعضها في موضع يدعى ء حاز. الأمر الذي يؤكد أن الملك تلقبَ بلقب ءحاز نسبة إلى المكان.

يقول النصّ ما يلي:

(وها - مزبحوت - ء شر - عل - هنن - عليوت ء حز)

والجملة تعني (والمذابح التي فوق - هنن - وفي معلاة أحاز). ولأن

---

(1) صفة: 156 - 157.

(2) المصدر السابق: 213.

(3) سفر الملوك 2، النص العبري: 23: 3: 13.

الكلمة العبرية هنن - هنان بدت غريبة وغير قابلة للترجمة، فقد قام المترجمون بإعطاء مكافىء عجائبي من نسج خيالهم: (سطح). وبحسب هذه الترجمة، يكون الملك (بنى في أعلى سطح ءحز مذبحًا). بيد أن النص لا يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى سطح مكان، بل إلى مكانين أحدهما يسمى هنن - هنان والآخر أحاز - حاز. وبذلك تكون الجملة العبرية قد أشارت إلى امتداد الإصلاح الديني إلى أكثر من مكان من أجل إزالة فوضى المظاهر الوثنية في مخلاف - مملكة يهوذه. وفي هذه الحالة يصبح ءحاز - حاز اسمًا لمكان بعينه في العام 609 ق.م، أي عام الإصلاح الديني الذي قاده يوشيه. وبالطبع في السرو الحِمْيري نفسه حيث وجدناه. أما هنن - هينان التي حيَّرت قراء التوراة من الاستشراقيين، فليست سوى هينان التي وصفها الهمداني وحددها قرب حاز، تمامًا كما في النص التوراتي. هاكم ما يقوله[1]: (وحاز قرية عظيمة وبها آثار جاهلية -.. - ثم الجوف الأعلى وبهذا الجوف من الأنهار تصب كلها بالخارد وفرع الجوف الأعلى العقل وهينان). هذه هي هنن - هينان على مقربة من حاز، حيث جرى تحطيم أصنام الآلهة. وفي نص سفر الملوك الثاني[2] أعطى المترجمون المكافىء التالي لجملة (كهني - ب - موت): كهنة المشارف. في الواقع لا تبدو هذه الجملة مفهومة؛ إذ ماذا يقصد سارد النص من - كهنة المشارف - هنا؟ ما يتحدث عنه النص بالضبط، هو المكان الذي جرى نقل السكان إليه من بابل خلال حملة تجلات بلاسر الثالث، حيث أسكنهم في السمرا - سامره محل السكان الأصليين، وذلك في سياق سياسة هادفة إلى الحد من حرية القبائل في التحرك على امتداد ثغور الإمبراطورية المترامية الأطراف. والنص في

(1) صفة: 213 - 218.

(2) سفر الملوك الثاني، 32: 18: 7.

هذه الحالة يخبرنا عن بعض الجماعات من السكان التي راحت تتقرب في عباداتها من الكهنة في ماوة، وهؤلاء من وثنيي السراة في ذمار، وبالتالي؛ فإنهم لم يعودوا يتقون الرب. ونحن نعلم من قصص التوراة، أن بني إسرائيل دخلوا في معارك للاستيلاء على ماوة هذه من أجل تحطيم أصنامها (انظر ما كتبناه عن ماوة في فلسطين المتخيلة). لقد كان هناك خليط من السكان الوثنيين الأصليين، والمُهجرين الذين جرى إسكانهم في السمرا، وهي بلاد اتسمت بكونها بلاد اضطرابات مستمرة. لقد تمّت عمليات التهجير المحلي الداخلي في عصر تجلات بلاسر الثالث، بينما حدث التهجير إلى خارج اليمن والجزيرة، أي الجلاء في عصر نبوخذ نصّر. كما أن السبي الأكبر الذي جرى فيه نقل أعداد كبيرة من رجال القبائل إلى بابل، لم يحدث إلّا في عصره. ما يتوجب قوله هنا، إن السراة اليمنية بنجدها وساحلها، هي التي شهدت ما نسميه بنفي القبائل عن ديارها في صورتين: نقل أعداد منها إلى بابل، وكذلك في صورة إحلال سكان وثنيين من مناطق موالية للآشوريين، وفي مواضع جرت السيطرة عليها، وذلك من أجل إضعاف النفوذ الديني للجماعات. ولذلك اتسم أسلوب تجلات بلاسر بكونه مزيجًا من استراتيجيتين: التهجير - النفي إلى بابل لأعداد محدودة من السكان أخذوا أسرى، والدفع بجماعات وثنية من القبائل المنافسة للإقامة في مواطن هؤلاء، وفي الآن ذاته إرسال مجموعات من سكان الحجاز (كوثى) للإقامة في السمرا. يقول النص العبري[1] واصفًا الجماعات الجديدة التي أقامت في السمرا وهي تتقرب من كهنة ماوة وتمارس طقوسها الوثنية: (وءنشي - كوت - عشو - ء ت - نرجال). وهذه الجملة تعني أن (الناس في كوثى، صنعوا

(1) النص العبري، 17: 16: 31.

نرجال) وهو إله وثني بابلي. لقد صنع القادمون من كوث كوثى[1]، أصنامًا تمثل الإله القومي البابلي الأكثر شهرة (نرجال)[2] مثلما صنعت القبائل الوثنية التي جيء بها من السراة، لتقيم مكان المنفيين، أصنامًا لآلهتها المحلية تماشيًا مع التطور الجديد في الأوضاع. إن فلسطين لا تعرف في تاريخها الديني القديم، مثل هذه العبادة الخاصة بسكان بابل. هاكم هذه المقاربة بين نص سِفر الملوك الثاني ونص الهمداني الذي يدور حول مكان يُدعى توفيت - وفيت، جرى فيه إبطال حُرمة مكان وثني:

مقاربة

سِفر الملوك الثاني:	الهمداني
وأبطل حُرمة توفيت[3]	واسم هذا الجبل وفيت وهو منسوب
الذي في وادي بن هنوم	إلى تخلى الحميري (. .) ومنها جبل هنوم

بهذا المعنى يصبح إبْطال حرمة الأماكن التي تمَّ تقديسها (تحريمها) في السراة، مرتبطًا بقوة وأكثر فأكثر، بانتشار عبادة وثنية متناقضة مع التوحيد القديم. إن السرديات الخاصة بتخريب أورشليم والتي تتحدث عنها التوراة في نصوص مختلفة، تكاد تقتصر على تصوير مشاهد تحطيم وتدمير بيت عبادة الرب ونهب آنيته المقدسة. وهذا ما يعطي تفسيرًا مقبولًا للاستراتيجية

(1) في الإخباريات العربية كوثى هي منازل عبد الدار في مكة. وفي حديث علي بن أبي طالب ﷺ حين سُئل عن أصل قريش، قال: نحن من أهل كوثى بابل.

(2) من أكثر آلهة البابليين شهرة وله تماثيل كانت معروضة في المتحف العراقي.

(3) انظر ما كتبناه حول التاء اللاصقة في آخر وأول الاسم توفت - وفيت (الجزء الثاني من فلسطين المتخيلة) وهي لهجة يمنية (قرشت، فلست) مثلها مثل لهجة السين اللاصقة (سب: ثب، سطع: أطاع، سفى، وفى).

التي اتبعها البابليون والآشوريون والمصريون على حد سواء، والقائمة على قاعدة تحطيم الأساس الديني والأخلاقي للتمرد القبائلي في السراة اليمنية. لقد تعرضت قصة حملة نبوخذ نصر وما يُدعى السبي البابلي إلى تشويه فظيع، لا في الجانب الجغرافي منها وحسب، وإنما في الجوانب المتعلقة بفهم الأسباب الحقيقية للحملة كذلك.

حروب نبوخذ نصّر في سراة اليهودية

1: حول معركة ربله

وأور الكسديم أو الكلدانيين

حسب نصوص التوراة التي نعالجها، فقد وقعت خلال حملة نبو
نصر على بلاد اليهودية، معركة كبرى ضد القبائل المتمردة، جرى خلا
إلقاء القبض على الملك اليهودي صدقيا، ومن ثم تسليمه للآشوريين، ب
ملاحقة فلوله في وادي العرب وتدمير أورشليم. لكن قصة هذه المعر
تعرضت لتشويه فظيع، عندما ارتكب المترجمون سلسلة من الأخطاء الفاد
التي شوهت الرواية التوراتية، ومن ثم شوهت تاريخ فلسطين. يقول النص
العبري[1] ما يلي:

וכל אנשי המלחמה הלילה דרך שער בין החמתים אשר על-גן המלך וכשדים על העיר סביב וילך

דרך הערבה וירדפו חיל כשדים אחר המלך

---

(1) النص العبري، 25: 1: 14 سفر الملوك الثاني.

النص بالحرف العربي

(وكل - ءنشي - ها - ملحمه - ها - ليله - درك - شعر - بين - ها - حمتيم - ءشر - عل - جن - ها - ملك - وكسديم - عل - ها - عير - صبيب - ويلك - درك - ها - عربه - ويردفو - حيل - كسديم - ءحو - ها - ملك)

لقد تُرجم هذا النص بشكل اعتباطي في الطبعة العربية من التوراة، ونحن نسوق هذا المثال للدلالة على طبيعة التزييف والتزوير في الترجمة[1] فهو يقول:

وكان جميع رجال الحرب، ليلًا في طريق الباب الذي بين السورين، بالقرب من بستان الملك، بينما كان الكلدانيون يحيطون بالمدينة. وفي أثناء ذلك ذهب الملك في طريق العربة فجرى جيش الكلدانيين في أثره.

وهذه الترجمة غير مقبولة ومرفوضة كليًا، لأنها تصور أحداثًا لم تقع وأماكن لا وجود لها، مثلًا: إن مسرح الأحداث لا يعرف مكانًا يدعى (بين السورين) ولا طريقًا يدعى (طريق الباب)[2]. ولا وجود لهما في العالم القديم كله. كما أن الكلدانيين بقيادة نبوخذ نصر لم يشتبكوا قط، مع

(1) النص العربي، 24: 19: 25: 15 سفر الملوك الثاني.

(2) هذه المرة ترجمت (شعر، شعرئيم) إلى طريق الباب وبين السورين. والصحيح أنهما موضع شعر وموضع شعرئيم أي الشعراء، بما أن الياء والميم في العبرية أداة جمع. والمكان شعرئيم الذي أطلق حديثًا في فلسطين المحتلة وهو المكان نفسه الذي عثر فيه علماء الآثار على نقش مناحيم ملك حمير. والسؤال المثير للاهتمام هو ما الذي جاء بملك حمير اليهودي إلى فلسطين مع كبار الأحبار والأمراء ممن وجد علماء الآثار بعض آثارهم في قبور مماثلة، لو لم يكن هؤلاء من المهاجرين إلى بلاد الشام؟.

خصومهم في هذه المواضع. بل لم يكن هناك كلدانيون أصلًا في هذه المعركة. ما يقوله النص العبري برأينا ووفقًا لفهمنا الدقيق له هو التالي:

كل رجال الحرب، ساروا ليلًا في طريق - جبل - شعر، وفي طريق حمتيم الذي في أعلى - وادي - جن. وبينما كان الملكُ والكسليين في أعلى منازل وادي الضباب، سلكوا طريق العرب، ليلحق بهم جيش الكدانيين آخر وادي المالك.

ولأن محققي التوراة كانوا يعتمدون القياس كما يبدو، لمعرفة معاني بعض الكلمات العبرية الغامضة، أو تلك التي تبدو في نظرهم دون معنى، أو تلك التي لا مكافىء لغويًا مقبولًا لها، فقد اجتهدوا في تقديم ترجمة غريبة لاسم (كسديم כשדים) التي تخيلوها على أنها تعني كلدانيين. ولما كان نبوخذ نصر كلداني الأصل، فقد ترجموا كلمة كسديم إلى كلدانيين، بمعاملة الياء والميم في كلمة كسد العبرية كأداة جمع، ظنًّا منهم أن هذا هو المقصود منها، علمًا أن الرواية تصبح في هذه الحالة متناقضة؛ إذ كيف يكون هناك كلدانيون مع صدقيا الذي هزم أمامهم وراحوا يطاردون فلوله؟ كما أن محققي التوراة لم يجدوا في العبرية، مكافئًا مقبولًا لكلمتي (شعر) و (بين) ولذلك قاموا بترجمتهما كجملة واحدة في صورة (بين السورين). وبذلك تكون الطبعة العربية من التوراة قد لفقت مكانين لا وجود لهما على وجه الأرض. ولكن، حين وقعت معركة ربله - ربل التي خسرها الملك صدقيا، وجرى إلقاء القبض عليه بسهولة، تم اقتياده إلى معسكرات الجيش الآشوري، حيث أمر العاهل الآشوري نبوخذ نصَّر آنئذٍ، بأن يُذبح ابنا صدقيا أمام ناظريه، قبل أن يامر بأن تفقأ عيناه ويؤخذ أسيرًا إلى بابل، بينما كان صدقيا نفسه يأمل بمساندة أقوى من قبائل الكسديم (الكسديين). بيد أن هذا الأمل سرعان ما

خاب وتلاشى حسب منطوق هذه الرواية. ويبدو من الواضح أن قوات مملكة - مخلاف يهوذه وأحلافها من قبائل كسديم - الكساد، ضاعت وتفرقت في واديي الضباب والعرب وفي غابات جبل شعر. وهذه كلها مواضع لا وجود لها في فلسطين على وجه الإطلاق. إن تلفيق اسم الكلدانيين في هذا النص (كسديم) هو دليل كبير على طبيعة التلاعب في النص، لأن من المستحيل لغويًا تحويل السين في (كسد) إلى لام (كلد). ليصبح الجمع العربي كلدانيين، بينما الجمع العبري الصحيح هو كسدانيين أو كساديين. والكسدانيون من القبائل المعروفة، ومن أشهر أعلامهم ابن وحشية[1] أحمد بن علي بن قيس الكسداني، مترجم كتاب الفلاحة النبطية. وهم ينتمون إلى قبائل الكساد اليمنية في الموضع المعروف باسمهم كما سنرى. وكانت طائفة منهم تقوم بترجمة الكتب البابلية كما هو الحال مع ابن وحشية الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وكان يصف نفسه كأحد أبناء طائفة دينية ذات أصول بابلية. إن افتراض حدوث تحول فونيطيقي، يسمح بقراءة الاسم في صورة كلدانيين، هو من نسج خيال المحققين الذين لم يجدوا في العبرية مكافئًا للكلمة. ولذلك، سنبدأ بتحديد أول سراة اليمن من محيط عدن الساحلي.

عندما تفرق جيش صدقيا في الوديان والجبال، إثر الهزيمة التي لحقت به على يد الآشوريين، وتبعثرت قواه وتمزقت تمامًا، فقد توزّع فرسانه في طريقين متباعدين، أحدهما طريق جبل شعر، والآخر طريق (بين)[2] ثم طريق حمثيم. وبكل تأكيد لا وجود لجيش من الكلدانيين أبناء الإمبراطورية يعملون

(1) صاحب كتاب الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد 3 أجزاء، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية 1993.

(2) انظر ما كتبناه في فلسطين المتخيلة حول موضع (يبين) ولاحظ كيف أسقط النص العبري الياء الزائدة (مثل يعرم - عرم).

في خدمة هذا الملك المتمرد، وبحيث يقاتلون ضد أبناء جلدتهم دون سبب منطقي؛ بل هناك طائفة دينية وقبلية، تصفهم التوراة بأنهم (إخوة الملك صدقيا) أي أنهم يرتبطون معه بعقيدة روحية، ولذا قاتلوا معه ضد الآشوريين. وهذا منطقي تمامًا، والقول بأنهم من الكلدانيين سوف ينسف الرواية من أساسها. يصف الهمداني الطريق من وادي الضباب وحميم[1]، باتجاه جبل شعر، وصولًا إلى مفترقات وادي الجنة - الجنات (جن في النص العبري) على النحو التالي النص مكثفًا)[2]:

جميع ما بين عدن ووادي نخلة من الأودية الكبار أولها، أتحم والثاني وادي أديم من شرقيه جبال ذات السريح (ذي السريح من المعافر ثم في - جبل - قَدَس: المحقق) ووادي الضباب (.........) وجبل دمت وحميم[3]. ثم وادي زبيد فجبل صرر والشعر. (...) فإلى الفرحية فشرقي جبل سامع (..) ومما يُصالي وادي الجنات (وادي الجنات هذا في عزلة الأشعوب ولا يزال كما وصفه المؤلف: المحقق).

هذا الإيجاز الشديد للوصف الخاص بأهم الأودية والمواضع، بين زبيد وعدن غَرَضهُ إعطاء صورة بانورامية واضحة عن المسالك الوعرة، والطرق التي شهدت الحدث. لدينا - هنا - طريق من وادي الضباب (صبب) يؤدي إلى جبل الشعر (شعر) وليس إلى (الباب أو السورين) كما في الترجمة العربية. وهذا الطريق يفضي بالسائر إلى وادي العرب - ها - عربه، وهو الوادي الذي

(1) حمتيم - حميم بإسقاط التاء اللاصقة. اسم إلهة وموضع ورد ذكره في النقوش اليمنية.
(2) صفة، 136، 143.
(3) التاء الزائدة في هذا الاسم وسواه، لاصقة من بقايا تقاليد اللهجات العربية القديمة.

ذكرته النقوش الآشورية في صورة عريبي. ولدينا - في هذا النص - فضلًا عن ذلك، صورة دقيقة عن الطريق السالكة إلى وادي جن - جنات. وهو أمر يتوافق كليًا مع الرواية التوراتية ولا يتعلق بتطابقات لغوية. ولمزيد من الإضافة هاكم وصف الهمداني لوادي الضباب ومنازل قبائل الأشعر[1]:

> فحيق بني مجيد، فعرّ عدن وهو جبل يحيط البحر به والضباب (والضباب أيضًا وادٍ في قدس من المعافر جنوبي هذا: المحقق) ووادي الملح ويسكنه الأشعر وفيما بينه وبين تبشاعة، قبيلة من الأشعر ثم يتصل في هذه السراة بلد الشراعب من حمير وريمه وقُرعد وموضان والخنن (وهذه أماكن كان يُطلق عليها في القديم: العدين[2] - المحقق) ثم يتصل بها سراة بني سيف. وجبل بُرع ووادي - العرب وأرض لعسان.

لنلاحظ هنا، أن إحدى المعارك التي خاضها الآشوريون، انتهت بأسر ملك برعو - برع في وادي العرب (عريبي) وقد سجلت النقوش اسمه في هذه الصورة، بينما تخبرنا النصوص الإخبارية العربية الكلاسيكية (الطبري وابن حبيب وسواهما) أن المعارك دارت في وادي العرب وفي مخلاف حضور. وها نحن الآن في قلب مسرح المعارك. وهذا هو الطريق الذي سلكته فلول الملك صدقيا بين جبل الشعر ووادي الضباب، ثم وادي العرب، فوادي خنن - خن - حيث جبل قدس إلى الجنوب. ها هنا أرض لعسان التي سوف نعثر فيها على اسم مياه تدعى مربل - الربل؛ حيث ألقى الآشوريون القبض على صدقيا ملك مملكة - مخلاف يهوذه (اليهودية)

(1) الهمداني، صفة، 117، 122.

(2) ورد اسم عدين في التوراة بالصيغة نفسها وفي الفضاء الجغرافي ذاته.

المهزوم. ومن الهام للغاية ملاحظة أن وصف الهمداني الآنف يتضمن وصفًا لمياه لعسان. وفي هذه الأرض هناك مسيل مياه يدعى ربل، حيث دارت المعركة[1]: ومناهل - مياه - لعسان، السنانية والعقل وذو الخناصر. فأما أرض لعسان في بطن تهامة فالجعدية ومربل[2]. وهذه هي مياه ربله - ربل - التي شهدت واقعة أسر الملك صدقيا. وهاكم وصف منازل الكسديين - كسديم الذين هبوا لنجدة الملك اليهودي المطارد وتخليصه من أيدي الآشوريين، وجرى تخيلهم في صورة (كلدانيين) عملوا ضمن جيش صدقيا. ومع أن مثل هذا الأمر خيالي إلى النهاية؛ إذ يستحيل تصور وجود كلدانيين في ميدان الحرب، يهبون فجأة ومن دون مبرر مقنع للدفاع عن ملك يطارده جنود الإمبراطورية ويمزقون فلوله في الوديان؛ فإن الاسم في العبرية لا يشير إليهم، لا من قريب ولا من بعيد، وإنما يشير إلى جماعة من الكسديين (كسديم - كسدانيين). وإلى هذا كله، لا يتضمن الاسم حرف اللام اللازم لنطق اسمهم في صورة كلدانيين. هذا فضلًا عن أن السين العبرية في كسديم لا تنقلب لامًا بافتراض صحة هذه المقاربة اللغوية بين الاسمين.

يقول الهمداني[3] واصفًا المسالك والطرق في هذه الوديان والجبال، ما يلي: - ثم ذي بين ويلقاها سيل الكساد (والكساد وطن من مرهبة الدعام عامرة بالسكن: المحقق). فهل هي مصادفة لغوية فقط، أن معركة ربله - ربل جرت في مكان يقيم فيه الكساد - كسديم وهم من قبائل مرهبة، وحيث توجد مياه (بين) تمامًا كما في النص العبري؟ وها هنا وادي (ذي بين - بين)

(1) صفة: 210.

(2) ربله: الهاء زائدة والأصل هو ربل (مثل بيش: بيشه) ولاحظ كيف دخلت الميم الحميرية على الاسم (مربل: الربل).

(3) صفة: 159.

الذي تخيله المحققون ظرف مكان (بين) فقاموا بدمجه مع كلمة شعر، لتصبح الجملة هكذا: (بين البابين) فيما هو اسم مكان بعينه، سلكته قوات الملك المهزوم. وها هنا منازل قبائل الكساد من مرهبة التي هبت لمساندة الملك صدقيا. لا وجود إذن، لكلدانيين في هذه الوديان، ولا وجود لمكان يدعى بين السورين. وكل هذا سوف يُحيلنا إلى مسألة أور الكسليم في مروية سفر التكوين التي تتحدث عن مجيء إبراهيم النبي منها، حيث جرى تخيلها على أنها (أور الكلدانيين) في العراق القديم. وفي الواقع، تثير مسألة تحقيق التوراة التي أشرف عليها علماء ومتخصصون مشهود لهم بالكفاءة، مشكلات عويصة أمام اليهود المتدينين؛ فإذا كانت كسديم تعني كلدانيين - مع أن هذا مستحيل من الناحية اللغوية الصرف - وهي في الآن ذاته اسم موطن النبي إبراهيم، فما الذي جاء بهم إلى هذا المكان؟ وما علاقة هؤلاء الكلدانيين، وهم من سكان أقصى الجنوب العراقي المُفترض، بالآشوريين الشماليين المحاربين؟ ما تقوله الرواية التوراتية عن الهجوم الآشوري على أورشليم في عصر نبوخذ نصر، هو التالي: إن ملك مخلاف - مملكة يهوذه صدقيا، خاض معركة يائسة بقواته وقوات حلفائه من قبائل الكساد، وإنه هزم على ضفاف وادي العرب، قبل أن يلقى القبض عليه في معركة مياه ربل. يعني هذا أن الرواية التوراتية كانت تتحدث عن فرار جيش الملك صدقيا، وتفرّقه في أماكن داخل السراة وليس في فلسطين، وأن القبائل القاطنة في الكساد كسديم، كانت في عداد هذا الجيش وقد لحقت به، ولكن أمكن للآشوريين في النهاية، إيقاع الهزيمة بهم، بحيث تسنى لهم إلقاء القبض على الملك والمجيء به إلى ربل، ففقئت عيناه ونقل منها أسيرًا إلى بابل. وكل هذه الوقائع تبدو متطابقة إلى حدٍّ بعيد، سواء تلك التي وردت في السجلات الآشورية أم تلك التي وردت في التوراة، أم في النصوص الكلاسيكية

للإخباريين العرب، وهي بوجه الإجمال تؤكد لنا بالدليل القاطع أن الحملات الحربية وقعت في اليمن. أما جملة (ها - حمتيم - ءشر - عل - جن - ها - ملك - وكسليم) التي ترجمت ويا للغرابة إلى (السورين بالقرب من بستان الملك، بينما كان الكلدانيون. . .) فإنها مؤلفة من مقطعين قصيرين، لهما طابع خبري صرف، الأول، ويقول حرفيًا (ها - حمتيم - ءشر - عل - جن) أي (وحمّيم التي في أعلى جن) بينما يقول المقطع الثاني، إن الملك ولى هاربًا صوب طريق وادي العرب، فلحق به جيش الكسديين من آخر - وادي - المالك).

ولذلك، يمكن الاستنتاج أن المترجمين لم يفلحوا في استيعاب دلالات النص بدقة، فليس ثمة بستان للملك المهزوم في هذا المكان، بل هناك وادي جنة - جنات في أعلى حميم - والهمداني يقول إن حمتيم[1] - حميم تقع قرب وادي الضباب؛ وهي عُزلة دب اليها الخراب اليوم فلا تكاد تعرف، وقد نسبها القدماء من اليمنيين إلى حميم بن سدد بن زرعة بن حمير، وورد اسمها في النقوش والمساند الحِمْيَرية في صورة ذات حميم وهي إلهة يمنية قديمة[2]، إلهة المياه الحارة إذ يعني اسمها الساخن، الحار (ها - حمتيم). ولأجل إعطاء تفصيلات أخرى عن هذا الحادث التاريخي ومكان وقوعه

---

(1) أحمد حسين شرف الدين، اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام - 1985 بلا اسم دار النشر. ص 70، ورد اسم ذات حميم في نقش 13 - SH وكانت من معبودات عرب الشمال، كما وردت في نقوش مسندية كثيرة منها ذات حميم - نقش 38 - جام 563 - نقوش مسندية، ص233.

(2) يقول الهمداني في وصف حميم قرب وادي الضباب وفي أعلى وادي جنة، كما في النص العبري (صفة: 194 - 197) ما يلي: وأما جبأ وأعمالها وهي كورة المعافر وطريقها في وادي الضباب، فهي في فجوة بين جبل صبر وجبل ذخر(. .) ومخلاف السحول (. .) بعدان وريمان وحميم.

فعليًّا، فسوف نقدم بعض التفصيلات الضرورية والهامة. لقد سردت الرواية التوراتية الأحداث التي أعقبت أسر الملك صدقيا، وذلك عندما تمكن الآشوريون من قتل أعداد كبيرة من الفرسان (المقاتلين) في ربله من أرض حمت (- ويمتم - ب - ربله - م - ءرص - حمت - ويجل - يهوده - م - عل - ءدمتو) أي (وقتلوهم في ربله من أرض حمتم، وأجلوا يهوذه من عُلى[1] وءدمت). كما قام الآشوريون بتعيين حاكم على مخلاف - مملكة يهوذه، يأتمر بأمرهم هو الملك جدليا. وفي نطاق تسجيل هذا الحدث ارتكب المترجمون أخطاء أخرى، كان من شأنها أن ضاعت تفاصيل هامة. ولذا سنقوم بإعادة تركيب الرواية استنادًا إلى قراءة مغايرة، ولكن أمينة ومُطابقة في الآن ذاته للنص العبري. يقول النص[2] في معرض تصويره لعملية اقتحام أورشليم من قبل الجيش الآشوري بعد أسر صدقيا،أن نبوخذ نصر أرسل أحد قواده إلى المدينة لتفقدها، لكن هذا قام بإحراق الهيكل (بيت العبادة) وهدم أسوار أورشليم ونهبَ ممتلكاتها:

(وءت - حومت - يروشليم - صبيب - نتصو - كل -
حيل - كسديم - ء شر - رب - طفحيم - وءت - يتر -
ها - عم - ها - نشئريم - ب - عير - وءت - ها -
نفليم - ءشر - نفله - عل - ها - ملك - ببل - وءت -
يتر - ههمون - ها - جله - نبوزر - ءدن - رب - طفحيم
- ومدلت - ها - ءرص - ها - شئير - رب - طبحيم -
لكرميم - ولنبيم وءت - عمدي - ها - نحشت - ءشر -
بيت - يهوه - وءت - ها - مكنوت - وءت - يم - ها -

---

(1) عُلَى قبيلة من العوالق من أوديتهم وادي الضباب. كما يعرف موضعهم باسم عُلى.
(2) النص العبري، 25: 1: 14.

نحشت - ءشر - ب - بيت - يهوه - شبرو - كسديم - و- يشئو - ءت - نحشت - ب - بله)

(وعند أسوار أورشليم والضباب، كُسرت كل قوة الكساديين، والذين هم رؤساء الطفحيين، ومعهم تساقط كثيرون ممَّن فروا من الديار مهزومين. فقام ملك بابل بنفي جمع غفير منهم، من بينهم نبو - ذر - أذان سيد الطفحيين، وبعض فقراء الأرض من موالي أكابر الطفحيين والكرميين والنبيّين. كما نُهبت أعمدة النحاس التي في بيت يهوه وآلات البَحر النحاسية التي في بيت يهوه. لقد كسروا الكساديين وحملوهم من - وادي - نحاس ومن باله).

المشكلة العويصة التي واجهت المحققين في فهم مضمون هذا النص المثير تكمن هنا: لما كانوا قد افترضوا، أن كسديم تعني كلدانيين، مع أن هذا مستحيل من الناحية اللُّغوية، ففي هذه الحالة، يتعيَّن عليهم أن لا يتراجعوا عمَّا كرسوه من فهم للكلمة في أذهان قرّاء النص التوراتي، وأن يبرروا، مرة أخرى، سبب فهمهم للنص الآنف بهذه الطريقة، وأن يترجموا الكلمة نفسها، إلى كلدانيين حيث وردت. فهل بوسعهم القول - هنا - إن المقصود من الكسديم، جماعة أخرى لا علاقة لها بالكلدانيين؟ هو ذا المأزق. فها هم الكسديون يُمزقون ويؤخذون أسرى، وينقلون إلى موطن آخر. ولذلك اضطر المترجمون إلى القول إن المقصود من جملة رب - طفحيم، إنما هو رئيس الحرس الكلدانيين؛ بينما نجد في سفر التكوين - قصة يوسف - أن التوراة تسمي رئيس الحرس المصري - طبحيم - بالباء - وليس طفحيم - بالفاء -. فهل المقصود من الاسم في الحالتين رئيس حرس الكلدانيين. إذا سلمنا بهذا الاستنتاج ووافقنا على الترجمة، فعلينا أن نلاحظ

أنه يتضمن تناقضًا صارخًا داخل التاريخ والثقافة. فهل من المنطقي أن تكون الكلمة، هي ذاتها في مصر وفلسطين والعراق القديم وبالمعنى نفسه، فيما نعلم عمق الفروق والاختلافات، بين اللُغة الآرامية - الكنعانية الفلسطينية وما يعرف بالفرعونية المصرية والأكدية العراقية؟ هذا مستحيل وغير قابل للتصديق، فما علاقة الفرعون المصري، ورئيس حرسه في قصة يوسف، بالكلدانيين في العراق القديم؟ يعني هذا أن رب - طفحيم في النص أعلاه تشير إلى أمر آخر. وعلى هذا النحو اختلطت الأمور وضاعت المقاصد الفعلية من النص.

وهناك مثال آخر عن فوضى الترجمة: فالنص ينسب كل هذه الأحداث إلى شخص يدعى (نبو - زر - دان) الذي يسميه المترجمون رئيس الحرس. في الواقع لم يكن هناك رئيس للحرس في قصة نهب وتدمير أورشليم، ولا وجود لهذا الشخص في الأحداث الحربية الدامية؛ بل كان هناك سيد قبلي اسمه نبو - ذر - أذان[1]، وهو سيد الطفحيين - طفحيم. وليس رئيس الحرس الكلداني. ولو كان صحيحًا أن طفحيم تعني رئيس الحرس الكلداني، فما معنى نفيه من أورشليم؟ كما أن النص المترجم ينسب بعض الأحداث إلى جيش الكلدانيين (حيل - كسديم). وهذا غير منطقي أيضًا؛ لأن هذا الجيش هو جيش الآشوريين. ولذا، فالمقصود يجب أن يكون في هذه الحالة، جيش الكسديين الذين جاءوا من موضع يدعى الكساد (جمع كسد). يشيرالاسم برأينا وفي سياق النص إلى سيد قبلي كبير من سادة الطفحيين، ممن دفعوا ثمن الهزيمة، بعد دخول الآشوريين أورشليم اليمنية

(1) لاحظنا من نصوص الإخباريين العرب، أنهم ينسبون نبو زر دان إلى سلالة نبوخذ نصر. قارن مع اسم ذر في (أبو ذر) علمًا أن نبو تعني (أبو) لأن النون بديل الألف، ودان هي أذان (قبيلة أذان) وقارن النسب مع نص الطبري (الفصل الأول) حول نسب نبوخذ نصر.

حيث جرى نفيه. ولو كان اسمه يعني رئيس الحرس أو رئيس السيّافين الكلدانيين، فلماذا ينفى من أورشليم؟ هذا الخلط في الأسماء والدلالات والمواضع، ناجم عن خلط أعمّ. وهذا ما سنبرهن عليه حين نعيد بناء مضمون الجملة الطويلة.

إن ما تشير إليه جملة (سيد الطفحيين) قصد به الإشارة إلى جماعة قبائلية، كانت تعيش في أوطان المراشي - مرشه، الوارد ذكرها في التوراة، ووصفها الهمداني على أنها في الجوف اليمني على مقربة من الكساد، حيث يلتقي مسيلا وادي الكساد وسروم العقل. كما أنها تشير إلى النحاس المنهوب من بيت الربّ - هيكل يهوه - ، مثلما تشير في الوقت ذاته إلى موضع بعينه يُدعى **نحاس - نحشت**. وهذا هو مغزى تكرار كلمة **نحش ونحشت** في جملة واحدة، فهي ترد مرة في صورة **نحشت**، دون أداة التعريف العبرية، ومرة أخرى بأداة التعريف **ها - نحشت**. هاكم أولًا وصف الهمداني لمنازل الكساديين وطفحيم - طفحان يقول الهمداني: ونحاس في أوطان المراشي: (ويلقاها سيل العقل والكساد)[1] ثم (والعقل وأوطان المراشي وطفحان). ها هنا الكساد - كسديم، وها هنا طفحان اسم التثنية، أي أن عمليات النفي من الأرض، بعد سقوط أورشليم في الحملة الجديدة، شملت جمهورًا غفيرًا من القبائل المهزومة. ومن بين هؤلاء المنفيين، رجال من بني طفحان - طفحيم على رأسهم سيدهم (كبيرهم) وبعض الأسياد والفقراء على حد سواء. أما جملة (**يشئو - ءت - نحشت - ب - ربله**) فلا تشير إلى نقل النحاس كما توهم المترجمون؛ إذ لو قصد سارد النص ذلك، لرسم الكلمة في صورة (**ها - نحشت**) بأداة التعريف (أي نقلوا النحاس وليس نقلوا نحاس). بل هي تشير إلى نقل الأسرى من موضع يدعى **نحاس**،

(1) صفة: 281.

ومن مكان آخر يسمى ربل - ربله بعد تنفيذ عمليات تدمير أورشليم. بهذا المعنى فقط؛ فإن الجملة تقول وبوضوح: (وحملهم من نحاس ومن ربله). وفضلًا عن ذلك، قام المترجمون بمكافأة جملة (نحشت - ب - بله) بجملة تتحدث عن نقل النحاس إلى بابل؟ فيما نعلم أن النص ميز بين اسمين محددين ورسمهما بطريقتين مختلفتين (ببل بمعنى بابل) و(ب - بله، بمعنى باله). كما أن نحشت - نحاس ترد أكثر من مرة وفي صيغ متماثلة من دون مبرر، فهل قصد سارد النص من كلمة (نحشت) مكانًا بعينه قرب ربله، وفي الآن ذاته قصد بها النحاس الذي نهب؟ ونحاس هذه هي إلى الجوار تمامًا من منازل بني طفحان - طفحيم، وقرب الكساد في أوطان المراشي - مرشه التي اجتاحها الآشوريون. وهذا ما يُفسر لنا سبب وجود اسم مرشه في المراثي التوراتية، كمكان تم تدميره. والمثير للاهتمام أنها قرب صحراء الشور التي توهم المترجمون أنها آشور؟ إليكم المواضع نفسها وبالتسلسل ذاته كما وردت في النص. يقول الهمداني[1]:

> أوطان نهم من الجوف: نحاس، ووادي الشوار. ومما هو بين نهم وبين بني عبد بالمراشي والعقل وأوطان المراشي، أتان وطفحان.

وكنا رأينا من نصوص تجلات بلاسر الثالث، أثناء حملته الحربية على أورشليم، أنه قام بنقل المسبيين اليهود إلى الشور. وفي حملة نبوخذ نصَّر التي ندرسها هنا، رأينا كيف أنه قام بنقل الأسرى من وادي نحاس الخصب، إلى مكان يدعى الربل - ربله (وهو مسيل مياه) حيث وقع هناك العقاب الفظيع بحق ملك يهوذه نفسه. وسوف نرى دلالة وجود وادي الشوار -

(1) الهمداني، صفة، ص 280، 281.

الشور هنا، فقد خلط المترجمون بينه وبين آشور الإمبراطورية على النحو ذاته الذي خلطوا فيه، بين ببل - بمعنى بابل، وب - بله، بمعنى في بله -. وستكون الصورة واضحة كل الوضوح، بالنسبة لمتلقي النص، وهو يتابع تفاصيل عمليات النفي التي قام بها الآشوريون في هذه الحملة، وذلك حين يتوقف أمام جملة (ويمتم - ب - ربله - ب - ءرص - حمت - ويجل - يهوده - م - عل - ء دمتو) فهي تشير إلى ما يلي: (وقتلهم في ربل وأجلى اليهود من عُلّى وأدمة). وهذه المواضع قرب وادي الضباب. هذا يعني أن نبوخذ نصر قام بإجلاء القبائل العربية اليهودية من وادي أديم والعُلى، بعد تدمير أورشليم إلى مواضع مجدبة. كما أجلاهم من وادي نحاس ومن بله - باله. وكنا رأينا أنه قام بقتل بعضهم في ربل - مربل. والآن، يتكشف لنا بوضوح أن المقصود من كسديم ليس الكلدانيين، بل قبائل الكساد وأحلافها في طفحان - طفحيم. وفي هذا السياق تمت ترجمة المقطع التالي، وهو يتحدث عن مصاعب واجهت الملك الجديد جدليا الذي نصبه الغزاة:

(ويشبع - لهم - جدليه - ول - ءنشيهم - ويئمر - لهم - ءل - تيرءو - م - عبدي - ها - كسديم - شبو - ب - ءرص - وعبدو - ءت - ملك - ببل - ويطب - لكم)

(فحلفَ جدليا لهم ولرجالهم وقال لهم: لا تخافوا من عبودية الكلدانيين واسكنوا هذه الأرض واخدموا ملك بابل فيكون لكم خير)

وهذه الترجمة صحيحة ومقبولة، لولا أن جملة (ءل - تير - ءو - م - عبدي - كسديم) لا تعني ما ذهب إليه المترجمون، بل إن الجملة تقول: (وأقسم جدليا لهم ولرجالهم وكلمهم فقال: ارتادوا الأرض من - وادي عبد

والكساد، وابقوا، ولكن أطيعوا ملك بابل فذلك أفضل لكم). إن عبد - عبدي هنا لا تعني (عبودية) وليس ثمة في العبرية كلمة (عبدي) يمكن أن تؤدي معنى الخوف من العبودية. والصحيح أن سارد النص قصد الإشارة إلى محاولات الملك الجديد ثني بعض البطون القبلية والعشائر الصغيرة الخائفة، عن الجلاء طوعًا من الأماكن التي أضحت تحت نفوذ الآشوريين المطلق. وكذلك الإشارة التشجيعية، بأن يرتادوا المناطق التي كانوا يرتادونها في السابق مثل وادي عبد والكساد. ولكن شرط الولاء المطلق للإمبراطورية.

هاكم هذا الدليل[1]:

وهذه أودية تصب من قابل نهم الشمالي ومما هو بين نهم وبين بني عبد وأوطان المراشي حلتان وسروم العقل (وفي نص سابق سروم العقل والكساد - انظر أعلاه) وطفحان (بنو عبد لا يُعرفون اليوم: المحقق).

وكنا رأينا من نصوص **الحملات الآشورية**، أنهم أسروا جماعة من العبابيد (أبابيد). **وها هنا جماعة من بقاياها تدعى بني عبد**، لم يتبقَّ لها من أثرِ اليوم، وهي تقيم في الأماكن ذاتها التي وردت في النصوص والسجلات الآشورية. لقد كان جدليا - جدليه الملك الجديد الذي نصبه **الآشوريون على مخلاف يهوذه** بعد هذه الأحداث، يكابد من أجل إقناع بعض القبائل المذعورة بالبقاء في أرضها وقبول الأمر الواقع، وهو لا يريد أن يفتتح عهده بهجرة قبلية كبرى بدافع الخوف. ولذلك راح ينصح القبائل، بأن لا تهاجر وتسيح في الأرض، وأن تستقرّ وتتعلم طاعة الإمبراطورية. في هذا الإطار وحده، سوف تتضح مقاصد النص العبري من ها - كسديم مرة أخرى؛ فهم

(1) صفة: 281.

ليسوا كلدانيين، وإنما جماعة من القبائل التي شاركت في المعارك ضد الآشوريين. إن كلمة (عبدو) في الجملة التالية من مقطع آخر داخل النص تقول شيئًا مختلفًا جديرًا بالتوضيح: (**شبو - ب - ءرص - و - عبدو - ءت - ملك بيل و - يطب - لكم**) فهي - إذا ما صدقنا الترجمة السائدة، وسلمنا بصحة ما ذهب إليه النص المترجم، لا تعني عبودية (لاحظ الفارق بين عبدي - عبدو) بل تعني: أطيعوا، بينما تعني (عبدي) في الجملة السابقة (عبد) وهذا اسم الوادي والقبيلة.

في ختام هذا الفصل سأتوقف عند الفكرة التالية: يقدم النص العبري صورة دقيقة عن الكسديم كجماعة قبائلية، تحالفت ضد الغزو الآشوري وواجهته ودفعت الثمن؛ إذ يقول في فقرة تسرد الأحداث التي أعقبت اغتيال جدليا نفسه، بُعيد تنصيبه مباشرة من قبل الآشوريين ما يلي[1]:

ويهيه - بحدش - ها - شبيعي - ءت - يشمعله - بن - نتنيه - بن - ءليشمع - مزرع - ها - ملوكه - وعشره - ءنشي - ءتو - ويكو - ءت - جدليهو - يمت - وءت - ها - يهوده - وءت - ها - كسديم ءشر - هيو - ءتو - ب - مصفه.

وهذا النص يقول حرفيًا ما يلي: وفي الشهر السابع جاء إسماعيل بن نتنيه[2] بن السمع من عائلة الملك، وعشرة من رجاله، فضربوا جدليا واليهود والكساديين الذين كانوا معه في الصفاة فمات. يشير هذا النص إلى مصرع رجال من ها - كسديم، سوية مع بعض اليهود الذين ظلوا على ولائهم للملك، المعين من قبل الآشوريين، ولم يغادروا الأرض امتثالًا للنصيحة

(1) النص العبري: 25: 15: 27.
(2) من الكلمة العبرية نتن، بمعنى أعطى.

التي روج لها الملك القتيل بنفسه. وبذلك، تُطوى صفحة أخرى من الصراع على أورشليم، ومعها تُطوى مسألة ها - كسديم (الكساديين) الذين لن يظهروا، بعد الآن في نصوص التوراة كقوة موالية لليهود. لقد كان هؤلاء من القبائل الحليفة ولم يكونوا كلدانيين كما توهم محققو النصوص.

رسائل الحرب

1: سنحاريب وحزقيا

ورد في نقوش حملة سنحاريب 704 - 681 ق.م، أنه اصطدم بملك يدعى חזאל حزا - ءيل. وقد ورد الاسم بالصيغة ذاتها في سفر الملوك 2 في صورة חזאל מלך ארם حزا - ءيل ملك إرم[1].. وتشير الرسائل التي تبادلها سنحاريب مع ملوك اليهودية، خلال الحملة على مخلاف حضور إلى أنه خاطب، وبصورة مباشرة وقبيل الهجوم، الملك اليهودي حزقيا - بن - ءحزا (ءحاز) חזקיה בן אחז ليحذره من عواقب تمرده. وهذه المراسلات التي جرت قبل وأثناء الاجتياح، تكشفُ عن الأهداف الحقيقية للحملات الآشورية. كما تكشف كذلك، وهذا هو الأمر الهام للغاية، عن الأماكن الحقيقية التي جرت فيها سائر الاجتياحات الحربية الآشورية والبابلية، بما لا يترك أدنى مجال للشك، بأنها لم تجرِ قط في فلسطين. كان حزقيا إصلاحيًّا، واصل سياسة سلفه يوشيا - يوشيه[2] التي مهدت السبيل أمام تثبيت أسس

(1) سفر الملوك 2 - 21/ 14.

(2) انظر القسم القادم من هذا الفصل حول دور الملك يوشيا - يوشيه.

اليهودية في اليمن، والقضاء على الوثنية في الكثير من المناطق، بينما كان هوشع بن إيلة في هذا الوقت، يحكم مخلاف بني إسرائيل إلى الجنوب، مكرسًا الانشقاق الديني والسياسي بين المملكتين - المخلافين. ولذلك يقول عنه سِفر الملوك الثاني، إن أول شيء قام به خلال فترة حكمه، كان تدمير الأوثان والأصنام، كما قام بتحطيم تمثال الأفعى النحاسية التي صنعها موسى النبي لبني إسرائيل.

خاض حزقيا سلسلة من المعارك، ضد قبائل ها - فلشتيم الوثنية في عزه - عزان، وفي مجدل، وبصر - بصره. ويبدو أن انتصاراته على القبائل الوثنية في عهد شلمانصر، شجعته على تحدي الإمبراطورية الآشورية؛ إذ قام بالزحف نحو السمرا للاستيلاء عليها.

لكن الإمبراطور الآشوري سارع إلى منعه وسدد إليه ضربة قاسية، عندما نظم حملة خاطفة انتهت بنفي القبائل العربية - اليمنية اليهودية من السمرا المحتلة. كما قام بنقل أعداد من الأسرى إلى مناطق داخل السراة من جديد، ولكن من دون أن يتطور الغزو - هذه المرة - إلى اجتياح شامل لأورشليم التي ظلت بمنأى عن الدمار خلال هذه الحملة الخاطفة. وبذلك اكتفى الآشوريون بإضعاف الملك حزقيا لا التخلص منه. ومع صعود سنحاريب إلى عرش الإمبراطورية، جهز هذا حملة حربية نحو العام 701 ق.م استهدفت محاصرة مخلاف - مملكة يهوذه، بعد تمرد قبلي محدود. إن الحوليات الآشورية تؤكد وقوع هذه الأحداث، بيد أن المعضلة التي واجهت القراءة الاستشراقية المِخيالية، تكمن في أن ما وردَ فيها كان يتوافق ويختلف في الآن ذاته، مع ما سجلته التوراة، وخصوصًا في سفر الملوك الثاني. فمن جهة هناك تفاصيل دقيقة عن الحملة والرسائل المتبادلة، ومن جهة أخرى، هناك أسماء أماكن لا تشير البتة إلى فلسطين. وهنا سطعت حيرة القرّاء

الاستشراقيين؛ إذ كيف يمكن التوفيق بين ما ذكرته الحوليات الآشورية، وبين مزاعمهم عن وقوع هذه الأحداث في فلسطين؟ هو ذا السؤال المسكوت عنه. في إطار هذه الحملة كتب حزقيا إلى سنحاريب الذي كان يعسكر في لكيز - لكيس على البحر، رسالة يدعوه فيها إلى تجنيب أورشليم مخاطر الاجتياح العسكري.

وعن هذا الأمر كتب سارد نص سِفر الملوك الثاني[1] قائلًا:

(وب - اربع - عشره - ل - ملك - حزقيا - عله - سنحريب - ملك - ءشور - عل - كل - عير - هوده - ها - بصروت - ويتفشم - ويشلح - حزقيا - ملك - يهوده - ءل - ملك - ءشور - لكيسه - ل - ءمر: حطءتي - شوب - معلي - ءت - ءشر - تتن - عله - ءشء - ويشم - ملك - ءشور - عل - حزقيال - ملك - يهوده - شلشمئوت - ككر - كصف - وشلشيم - ككر - زهب)

(وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا، صعدَ سنحاريب ملك آشور على كل منازل يهوذه، فأرسل حزقيا ملك يهوذه إلى ملك آشور في لكيز قائلًا: لقد أخطأتُ فانصرف عني، وأي شيء طلبتَ سأعطيك، ففرض ملك آشور على حزقيا ملك يهوذه ثلاثمائة قنطار من الفضة وثلاثين قنطارًا من الذهب).

كانت الجزية باهظة، بحيث اضطر معها حزقيا إلى أن ينزع الذهب عن أبواب الهيكل ليسدّد الثمن المطلوب لبقائه في العرش. ومع ذلك أرسل

(1) سِفر الملوك الثاني، النص العبري: 18: 8: 21.

سنحاريب قادته من معسكرهم في لكيز - لكيس على الساحل إلى أورشليم، لاستلام الجزية، دون أن يقدم أية ضمانات بأنه لن يدمر المدينة. وقبيل بلوغهم المكان صاعدين في السراة، توقف قادة الجيش عند مياه تُدعى كويس - كبس (وفي النص العبري: ءشر - بمعلات - شدة - كوبس: التي في معلاة النجد كبُس). والمثير للاهتمام أن الترجمة العربية، تعطي مكافئًا غريبًا لهذه الجملة البسيطة، فهي تقول: (التي في طريق حقل القصار). وفي الحقيقة لا يوجد حقل قصار في فلسطين أو الجزيرة العربية، علمًا أننا لا نعرف فحوى جملة مثل هذه. وعلى العكس هناك موضع حقيقي لا يزال يحمل الاسم نفسه كويس - كبس وفي مكان تسميه التوراة שדה شده - نجد. والنجد هو المرتفع من الأرض وليس حقلًا. وفي هذا المكان هناك مياه شهيرة تدعى مياه كبس، أشار إليها الهمداني في صفة جزيرة العرب. ويبدو أن سنحاريب لم يكتفِ بفرض الجزية الثقيلة على حزقيا، بل رغب في إهانته أيضًا، ولذلك كلف رُسل حزقيا أن ينقلوا إلى ملكهم الرسالة الجوابية التالية:

> قولوا لحزقيا لا نريد مجرد كلام. علامَ راهنت؟ أعلى مصر؟ أليست من القصب المرضوض، متى اتكأ عليها المراهن تُقبتْ كفه، كذلك هو فرعون مصر، وذلك حال مَنْ راهنوا عليه. ولئن قلتم: كلا، على الرب إلهنا نتوكل، أليس هو الذي دمر حزقيا مذابحه في موة؟

كانت الرسالة تتضمن تلميحًا لا تعوزه الصراحة ولا التهديد المُبطن، بأن الآشوريين يشعرون بالضيق والغضب من الإصلاحات الدينية الواسعة التي قام بها حزقيا، لإعاقة انتشار الوثنية في السراة اليمنية. وهي تشكل دليلًا إضافيًا على الطبيعة الدينية والسياسية للحروب الآشورية، وعلى مقدار البرم والضيق اللذين كانت أشور تشعر بهما، مع تواتر الأنباء عن المُضايقات التي كان

الوثنيون يتعرضون لها هناك. وهم كما رأينا، كانوا يعبدون آلهة بابلية مثل نرجال ومردوك - مردوخ. كما تعكس رسالة العاهل الآشوري بدقة، غضب الإمبراطورية من الهجمات المدبرة التي نظمت ضد المعابد الوثنية في ماوة، فكان الرد بإحلال سكان من كوثى، ممن يعبدون الإله القومي البابلي نرجال، ليقيموا في هذا المكان. كما عكست بوضوح انزعاج الآشوريين من الطريقة التي كان حزقيا يدير فيها العلاقة بمصر، إذ بدلًا من توجيه العداء لها، راح يمد الجسور معها، مراهنًا على إمكانية خلق توازن بين القوتين العظميين في العالم القديم. ثم ختم العاهل الآشوري رسالته الغاضبة، بالقول:

> لا تسمعوا كلام حزقيّا واعقدوا صلحًا معنا. لا تسمعوا له وهو يقول إن الربّ سوف يُنقذه من يدي، فالأمم التي دمرها آبائي لم تنقذها آلهتها. أين آلهة حمة وءرفد وصفرئيم والبناع وعوا؟ هل أنقذت السمرا من يدي؟

وعندما استمع حزقيا إلى الرسالة الغاضبة، استشاط غيظًا هو الآخر ومزق ثيابه. ثم أرسل حزقيا في سورة غضبه يطلب النبي أشعيا ليهدئ من روعه. وفي هذه الأثناء كان سنحاريب يجتاح لبنه - لبنى، مُنطلقًا من لكيز - الساحلية (لكيس). ولم يلبث إلّا قليلًا حتى عاد وأرسل خطابًا جديدًا، يتضمن التهديدات والتحذيرات ذاتها الموجهة إلى اليهود، بأكثر مما هي موجهة إلى حزقيا نفسه:

> قولوا لحزقيا ملك يهوذه: لا يخدعنك إلهك، فالأممُ التي دمرَ آبائي آلهتها، لم تنقذهم في جوزان وحيران ورصاف[1] وبني عدين[2] والذين في ثلا، وفي - جبال

(1) انظر رصاف تاليًا وقارن مع رصافة.

(2) بنو عدين كانوا ضمن الأسرى في بابل، انظر الصفحات السابقة حيث ورد اسم العدين.

- السر؟ أين ملك حمة، وملك عرفد، وملك صفرئيم، واليناع وعوا؟

لدينا - في الرسائل المتبادلة - التي تؤيدها السجلات الآشورية، طائفة من المواضع والأماكن، وليس بينها اسم واحد يمكن الافتراض أنه موجود في فلسطين.

هنا قائمة بالأسماء.

الاسم في النص العبري	الضبط العربي
1: كبس	كُبس
2: أرفد	رفيد
3: رصاف	رصاف
4: هيناع	اليناع
5: جوزن	جوز
6: ثلا - عسر	ثلا، السر
7: صفرئيم	الأصفر

هذه هي المواضع التي ورد ذكرها في الرسائل المتبادلة، بين الملوك الآشوريين وملوك مخلاف يهوذه. ولنبدأ تحقيقاتنا من اسم الموضع الأول كُبس.

إذا كانت أورشليم التوراة هي القدس العربية على ما يُزعم، وبالتالي فإن الحملة الحربية الآشورية دارت في مسرح فلسطيني؛ فإن القدس العربية يجب أن تكون على طريق موضع يدعى كبس، أو رصاف؟ ولكن هذا مستحيل لأن فلسطين لم تعرف في أي عصر، مكانًا أو موضع مياه يُدعى كبُس؛ بينما تعرف السراة اليمنية مثل هذا الموضع وبالصيغة ذاتها، بوصفه من منازل

القبائل اليهودية العربية القديمة. وقديمًا بكى أبو النيال وهو شاعر يهودي عرف باسم (أبي الذيال اليهودي) ديار قبيلته في كبس فقال[1]:

لـمْ تـرَ عَـيْـنـي مـثـل يـومٍ رأيـتُـه　　　بـرَغْـبـلَ مـا اخْـضَـرَّ الأراك وأثْـمـرا

وأيـامُـنـا بـالـكـبـسِ قـد كـانَ طـولـهـا　　　قـصـيـرًا وأيـام بـرعـبـلَ أقـصـرا

إن المكان الذي يبكيه الشاعر، موضع عند أطراف اليمن، وهو ما يدعم حقيقة أن الأسماء الواردة في التوراة والسجلات الآشورية والإخباريات العربية الكلاسيكية، ليست من نسج الخيال. أما المكان الثاني الذي جرت فيه الأحداث، فهو «رفد - الرفد. وهذا موضع شهير عرف بكونه من الحصون المنيعة، قال عنه الهمداني[2]، إنه يتصل بحمّة الوارد ذكرها في النقوش الآشورية في صورة: حمَّة[3]، ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب بعطان فجرش، رأس بيشة (. .) ومن النجد أوطانها الرفيد بلد حصون. وهذه هي «رفد بلد الحصون في (شده - النجد) تمامًا كما في النص العبري، وهي بلد قلاع جبلية على مقربة من حمة التي يرسمها النص العربي في صورة حماه، وذلك لإيهام القارىء أن الأحداث شملت سورية الشمالية. ومع أن من المستحيل تخيل مثل هذه المساحة الهائلة، كمسرح للسبي البابلي؛ إذ بين حماه السورية وفلسطين مسافة شاسعة، ليس من اليسير على أي جيش، مهما تخيلنا قوته، أن يقوم فيها بعمليات حربية متصلة، وقد يتطلب الأمر كما هو واضح نشر الآلاف من الجنود، وتشتيتهم والمغامرة بمصائرهم في بيئة قبائلية معادية؛ فقد يصبح على العكس من ذلك، أمرًا منطقيًّا ومعقولًا، تخيّل المسرح اليمني قرب حمه نجليَّة يمنيَّة، أو قرب «رفد

---

(1) البكري، معجم: الجزء الرابع: 7.

(2) الهمداني، صفة: 230.

(3) وتسمى الأكمة السوداء حمة وحمومة.

نجديّة أيضًا، حيث وضع الآشوريون هناك حدًّا لحكم ملكين صغيرين من ملوك القبائل. وبالطبع قبل أن يواصلوا زحفهم من جُرش إلى صنعاء.

بهذا المعنى يصبح تذكير سنحاريب لحزقيا، بمصير ملكي ء رفد وحمه في حال عدم استجابته لشروط الإمبراطورية، استطرادًا في حقيقة جغرافية أيضًا، وهي أن الموضعين هما إلى جوار بعضهما، وغير بعيد عنهما هناك رصف الوارد ذكرها، وهي مكان آخر له صلة بما دعاه العرب تاليًا رصافة من مواطن قبيلة تميم. كما أن جوزان - جوز، ورصف - رصف، وقرنتئيم - القرنتان، والقابل - القابل، هي مواطن قبائل قرب بعضها وعلى الطريق من ساحل لكيز، ثم نجران وجُرش إلى صنعاء. هاكم ما يقوله الهمداني[1]:

> والقرنتان لبني تميم والرُّصافة. انقضت أرض البحرين. وسنذكر المواضع المشهورة بين اليمن ونجد والعروض (. .) فأسرار نجران شوكان والجوز (. .) وقابل يام، ولبينان. انقضى شق همدان.

هذا هو وادي[2]جوزان - الجوز، وهناك غير بعيد عنه حمة - حمة، وءرفد - الرفيد. وإلى جوارهما القابل، وهو قابل بلد يام ثم قرنتئيم - القرنتان. وها هنا رصف - رصف[3]. فهل ينطوي الأمر على محض مصادفة؟ يتبقى أن نتوقف عند نموذج آخر من التحريف في الترجمة السائدة، ففي رسالة سنحاريب إلى حزقيا، يُسجل اسم موضع تلا - ءسر في صورة تلاسار. وهذا رسم أكثر غرائبية مما يحتمل نص قديم، يسجل مصائر

---

(1) الهمداني، صفة، ص 283.

(2) الأصل في التنوين أنه كان يقوم مقام أداة التعريف. جوزن - الجوز.

(3) المدهش أن البكري في معجمه أوردها في صورة: رصف بالضبط، معجم: ط، بيروت: 2: 249.

جماعات وملوك وأماكن معلومة. ولأن الاسم تركيب غريب في الأصل، فقد جاء الرسم أكثر غرائبية. بيد أن الاسم كما في النص العبري هو (تلا) و(ء سر) من دون فاصلة بينهما، وهما موضعان. الأول، ويدعى ثلا - بالثاء المثلثة - وهو حصن شهير من حصون المرانيين من همدان إلى الغرب من صنعاء. والثاني، وادي السر في سلسلة جبال السر إلى الشرق من صنعاء. هاكم وصف الهمداني للمكانين[1]:

> فأما أرض لعسان في بطن تهامة؛ فالجعدية ومربل وثلا حصن وقرية للمرانيين من همدان (المحقق: ثلا، قرية كبيرة مسورة على ربوة مربعة الشكل يسكنها أوزاع من حميريين وهمدانيين وحصنها المطل من الغرب يحتفظ بمناعته وشممه وفيه آثار حميرية) انقضى مغرب صنعاء، الأودية من شمالها: وادي السر، سر ابن الروية وفيه العيون والآبار وهو من عيون أودية اليمن وبه قرى كثيرة ومنازل.

ها هنا تلا - ثلا وها هنا ءسر - السر (وليس ثمة موضع يدعى تلا سر) وهما على مقربة من مكان هام للغاية من الناحية التاريخية، يسمى مربل - الربل، إذ جرت على أرضه معركة ضارية في عصر الملك صدقيا انتهت بنهب أورشليم وتدميرها. أما صفرئيم - الصفرا التي قام تجلات بلاسر بإجلاء القبائل اليمنية - اليهودية إليها، فيصفها الهمداني كوادٍ على مقربة من وادي الجنات في الفضاء الجغرافي ذاته لسائر الأماكن التي جرت فيها الأحداث[2]: وادي أبْيَن وهو مما يلي لحج ومآتيه من بنا (هامش المحقق:

(1) صفة: 210 - 214.
(2) المصدر السابق: 144 - 145.

ووادي الصفرا ثم من الظاهرتين ويمده جميع جبال مدينة جبن ويظهر في أسافل يافع فيسقي ما حف به إلى البحر). وكنا رأينا من سجلات الحملة، أن الآشوريين أسروا ملكة من ملكات يافع. وها هنا وادي الصفرا - صفرئيم في المكان نفسه غير بعيد عن وادي جن - جنات. واستطرادًا في التعرُّف إلى مغزى العمليات الحربية في جنوب غرب الجزيرة العربية، لا بد من التأمل في الحقيقة التالية: إن عمليات النفي والطرد من الأرض والتي قام بها الآشوريون في عصر تجلات بلاسر الثالث؛ هدفت في المقام الأول إلى الحدّ من نفوذ القبائل، وفي الآن ذاته تدمير قواعدها الدينية، والأهم من ذلك، تكريس الطابع الوثني التام. وهذه الأماكن كانت ذات طابع وثني، مثلما رأينا من سخط الإصلاحيين اليهود على سكان ماوة وتكسيرهم لأصنامها. والمشهد التالي من حملة تجلات بلاسر، يوضح لنا وعلى أكمل وجه جانبًا حيويًا من أهدافها. يقول النص العبري[1]:

ويعله - ملك - ءشور - ب - كل - ها - ءرص -
ويعله - سمرون - ويصر - عليه - شلش - شنيم -
بشنت - ها - تشيعيت - ل - هوشع - لكد - ملك -
ءشور - ءت - سمرون - ويجلو - ءت - يسرئيل -
ءشوره - ويشب - ءوتم - ب - حلح - وب - حبور -
نهر - جوزان - وعري - مدي.

ما يقوله هذا النص الذي حرفته وشوهته الترجمة السائدة بشكل فظيع، هو التالي:

وصعد ملك آشور في كل أرض بني إسرائيل، صعد إلى

(1) سفر الملوك الثاني، 16: 20: 17: 15.

السمرا ضاربًا عليها الحصار لثلاث سنوات. وفي السنة التاسعة لهوشع، استولى ملك آشور على سمرون ونفى إسرائيل إلى الشوره. ولذلك فقد أقاموا فيها وفي حلح، وفي حبور وفي وادي جوزانٍ ومنازل مدي.

في هذا النص لدينا منازل قبائل، تدعى بالعبرية منازل عري - مدي[1]، وهو مكان تمت إضافته إلى قائمة المدن والقرى ومضارب القبائل التي جرى اجتياحها؛ إذ لم تذكرها نصوص هذه الحملة فيما ذكرتها نصوص أخرى. والمترجمون يرسمونها في صورة ميديا، للإيحاء بأن المكان المقصود هو ميديا الفارسية. وبالطبع فقد تخيَّل محققو التوراة، أن عمليات نقل الأسرى شملت توطينهم في ميديا الفارسية. وهذا غير منطقي ومخالف للتاريخ وحقائقه، لأن ميديا لم تكن تحت سلطة الآشوريين، بحيث إنهم يرحِّلون إليها أسرى الغزو.

كما أن كلمة (نهر) حلت محل كلمة (نحل - وادي) في تعريف جوزان. أما حلح فقد وردت من دون حرف الجر لحلح (حلح) بما يؤكد أن الرسم السابق كان خاطئًا ولا أساس له. ومع ذلك، قام المترجمون بتحويل حبور - بالحاء المهملة - إلى خابور، وذلك بهدف أن ينسجم السياق السردي؛ فإذا ما وضعوا خابور بالخاء المعجمة بنقطة من فوق، بدلًا من حبور بالحاء

---

(1) تفنن الكتاب الاستشراقيون في تخيُّل ميديا المزعومة هذه، وتبنى عدد كبير من كتاب التاريخ العرب، واستنادًا إلى قصص التوراة وتأويلاتها، مزاعم عن قيام الآشوريين بنفي المسبيين إلى بابل وميديا في بلاد فارس. وبالطبع فقد كانت هذه المزاعم مجرد خيالات وتصورات لا أهمية لها من الناحية التاريخية، لأن ميديا (بلاد الميديين) لم تكن في أي وقت تحت سلطة الآشوريين. إن نموذج ميديا التحريفي هذا يبيِّن على أكمل وجه نوع ومقدار التزييف في الترجمة السائدة. كل ما في الأمر أن اسم (ميدي) اليمني ظهر في نص التوراة ضمن أخبار الحملة الآشورية.

المهملة؛ فإن اسم ميديا الفارسية سيكون، آنئذٍ، مقبولًا بما أنهما على مقربة من حدود فارس. وفي نصوص تالية؛ نرى كيف أن ساردي النصوص، كانوا حائرين في رسم الاسم حلح هذا، فهم يرسمونه تارة في صورة صلح - بالصاد المهملة - وتارة في صورة حلح بالحاء المهملة. وكل هذا يُحيلنا إلى اسم الموضع اليمني صلحلح، فالنص العبري يقول، إن الآشوريين قاموا بنفي بني إسرائيل إلى شوره. فلماذا رسم سارد النص اسم آشور في صورة شوره، إذا ما كان يقصد آشور الإمبراطورية؟ علمًا أن الاسم يُرسم تقليديًا في صورة آشور وليس شوره؟ فهل تقصَّد سارد النص رسم الاسم على هذا النحو، أم أن المترجمين كانوا ضحية الوهم والخلط؟ سنعيد الأمور إلى نصابها من أجل تقديم رواية تاريخية حقيقية عن السبي البابلي الذي قام به **تجلات بلاسر الثالث**، حيث نفى القبائل عن أرضها وأسكنها في أماكن جديدة، ذات طابع وثني داخل السراة اليمنية حصرًا؛ وبالطبع من أجل إضعاف النفوذ الديني التوحيدي للقبائل، وعزل الجماعات الأكثر تأثيرًا في أوساطها. هاكم وصف شوره التي زُعم أنها آشور. يقول **الهمداني** في وصف وادي شوره ما يلي[1]: **من أوطان الجوف: سروم والعقل ونحاس ووادي الشوار. وهذه أودية تصب من قابل نهم الشمالي، ومما بين نهم وبني عبد بالمراشي، حلتان وأوطان المراشي، أتان، وطفحان.**

ها هنا وادي شوره[2] - الشور الصحراوي الذي جرى دفع القبائل المتمردة نحوه، بعدما كانت تقيم في السواحل والمرتفعات. إن إبعاد القبائل عن الساحل، كان باستمرار هدفًا استراتيجيًا من أهداف الآشوريين وسائر

---

(1) صفة: 280 - 281.

(2) انظر حول الهاء في آخر الكلمة ما كتبناه في الجزء الثاني من **فلسطين المتخيلة** عن العادات الصوتية عند القبائل العربية البائدة التي تزيد الهاء على آخر الكلمة (مثل: بيشه في بيش، وفي العبرية:. ביצה بيصه - بيض).

الإمبراطوريات. وهذا ما يجب أن يعيدنا إلى إثارة مسألة الظروف التي أدت بعض قبائل العرب في طفولتهم البعيدة، إلى التحول المفاجئ من طور القبائل البحرية التي تعيش عند أطول سواحل العالم، إلى طور القبائل المتبديَة، وأن تتقبل العيش في الصحراء. على الأرجح، أن عامل الغزو الخارجي، هو الذي كان يقصيها عن السواحل، ويدفع بها نحو الصحراء باستمرار. وهذا يؤكد - برأينا - أن العرب في الأصل كانوا أمة بحرية، قبل أن يصبحوا أمة بدوية، بفعل جملة عوامل وظروف، قد يكون من بينها موجات الغزو المتتابعة. ومع ذلك، لا بد من ملاحظة، أن كثرة من القبائل المتمردة، ظلت في مواضعها أو انتقلت إلى مواضع مماثلة، أو أن الآشوريين قاموا بنقلها إلى مناطق ساحلية جديدة، وبعيدة عن خطوط التجارة العالمية. ها هنا المنازل التي تم تدميرها مثل نحاس - نحشت، وطفحان - طبحيم، وحلتان - مفردها حلت. بكلام آخر، قام الآشوريون بإبعاد بعض القبائل عن أوطانها الأصلية في السمرا - السمره، بعد محاصرتها لثلاث سنوات إلى مناطق جديدة في الجوف اليمني، بينما أبعد قبائل أخرى إلى مناطق ساحلية جديدة. إن مدي التي تصورها المترجمون مدينة ميديا الفارسية، ليست سوى إحدى هذه المواضع الساحلية. ومعلوم أن مدي هذه أصبحت ميناء بالاسم نفسه (ميناء مدي). وهو من موانىء اليمن المعروفة قديمًا. هاكم هذا الاكتشاف المثير[1]:

> وادي مَوْر ثم يتلوه واديا عبس ووادي حيران (وادي حيران مشهور، أعلاه حجور وأدانيه في بطن تهامة ويفيض إلى ميناء مدي: المحقق) وما اكتنف المسيل من بلد عُذر إلى معين.

---

(1) الهمداني، صفة، ص 135.

ها هنا ميناء مدي القديمة (وليس ميديا الفارسية) تمامًا وبالرسم العبري ذاته مدي، وفي الفضاء الجغرافي ذاته. يعني هذا، أن عمليات الإجلاء والنفي من الأرض في عصر تجلات بلاسر الثالث، جرت داخل السراة اليمنية، وفي مواضع بعينها لا تزال السراة تدلّ على صيغها القديمة. إن هذا النموذج من الترجمة العربية السائدة، يؤكد - من جديد - حقيقة أن القراءة المِخْيالية للتوراة، هي التي كرست الصور النمطية عن فلسطين مزعومة جرى فيها السبي البابلي. إن الرواية التي نعيد بناء أحداثها، قد تكون وحدها الرواية التاريخية التي تخبرنا بالحقيقة.

2: خرافة معركة هر - مجدو

انتهى عهد الإصلاح الديني في مخلاف - مملكة يهوذه مع موت الملك يوشيه 640 - 609 ق.م، إذ قُتل أثناء تصديه لجيش الفرعون المصري نيخو: 609 - 595 ق.م في ساحل بني مجيد - مجدو. وهذه المعركة هي التي تعرف في الفكر الاستشراقي، والفكر الألفي الأميركي باسم معركة (هر - مجدو) حيث يُزعم أنها ستحدث مرة أخرى من أجل التعجيل بظهور المخلص. كان المصريون قد استغلوا فترة التراجع الآشوري أمام الميديين في فارس الصاعدة في هذه الآونة، شرق وشمال شرق بلاد ما بين النهرين، واستغلوا بالتالي انشغال وضعف الإمبراطورية من أجل تنظيم هجوم مباغت على أورشليم السراة. كان الصراع الآشوري - المصري ينحصر في حدود السيطرة على سواحل البحر الأحمر، وإخضاع ممالك - مخاليف اليمن. وما إن تناهت أنباء الحملة المصرية وتقدمها صوب الساحل إلى أسماع الملك يوشيه الموالي للآشوريين، حتى خرج على رأس رجاله لملاقاتهم عند ساحل بني مجيد - مجدو. وهناك نشبت معركة ضخمة وكبرى انتهت بمقتله على يد الملك المصري نيخو - نكو الثاني. وإثر مصرع الملك المصلح، صعد ابنه

الأكبر إلى العرش. ولكن المصريين سارعوا ثانية - مستغلين الاضطرابات التي استمرت تواجه الآشوريين - إلى تنظيم اجتياح جديد، أسفر عن تخريب أورشليم وأسر ملكها الشاب في معركة ربلة - الربل من أرض حمة. ولسوف يموت هذا غريبًا في مصر فيما بعد، حين يتم نقله إلى هناك، بعد أن استبدله المصريون بشقيقه يوهيقم - واقم (الهاء مثل يهرعش في يرعش ويهريق الماء في يريق الماء وهي لهجة يمنية) الذي بادر إلى إعطاء الجزية للمصريين. المثير للاهتمام أن اسم والدة الشاب الأسير هذا وحسب التهجئة العبرية هو (זבדה - زبدة - زبيدة)[1] وهي في الأصل من سكان الجزيرة العربية في موطن قبلي يُدعى في التوراة رومة - رومه[2]، وعند الجغرافيين العرب يدعى رومة كذلك، وهي بئر اشتراها عثمان بن عفان من ماله وأوقفها للمسلمين.

في هذه الآونة كان نبوخذ نصر يصعد إلى عرش الإمبراطورية البابلية الجديدة. ويبدو أن يهوقيم - واقم[3] هذا، أدرك بسرعة مغزى صعوده، ولذا بادر على الفور إلى انتهاج سياسة تقارب مع الآشوريين. وخلال عقد كامل 597 - 587 ق.م كان هناك اثنان من ملوك مخلاف يهوذه، قد تعاقبا على

(1) لايزال اسم زبيدة شائعًا عند اليهود الشرقيين (والعراقيين بشكل خاص) وهناك صيغة من الاسم ترد في سفر يوشع 7: 10 في صورة זבדי .

(2) رومة רומה التوراة: ملوك 2 - 24 - 1 إن بعض أساطير ملوك اليمن أثناء سيطرتهم على مكة، تدور في نطاق هذا الاسم، وهو اسم بئر حفرها أحد ملوكهم الأسطوريين، يسميه المؤرخون العرب القدماء تبّع. وبعض الباحثين العرب ذهبوا بعيدًا في خيالاتهم الاستشراقية حول اسم رومة. يقول عنها الحميري: بئر رومة بالمدينة، وكانت ليهودي يبيع المسلمين الماء، فقال رسول الله ﷺ منْ يشتري رُومة فيجعلها للمسلمين وله بها مشرب في الجنة، فاشتراها عثمان بن عفان بعشرين ألفًا - الروض المعطار: 274. ومن غير شك، ستبدو إشارة التوراة إلى أن والدة الشاب الأسير هي في الأصل من هذا المكان، تأكيد قاطع على أن النص التوراتي يسجل أحداثًا ومرويات قبلية لا صلة لها بفلسطين.

(3) واقم، اسم لايزال شائعًا في أسماء المواليد المسيحيين الشرقيين (واكيم).

العرش، بينما سارت الأوضاع في السراة اليمنية والساحل لصالح الآشوريين، الذين عرفوا آنئذٍ، ملكًا حازمًا وقويًا سوف يتردد المصريون كثيرًا أمامه. أحد هذين الملكين اللذين صعدا إلى عرش مملكة يهوذه، كان ابن يهوقيم - واقم الذي يُدعى يوياكن[1]، وكان في الثامنة عشرة من عمره. لكنه لم يُحسن التصرف دينيًا وسياسيًا، وذلك ما أغضب بابل وحفزَها على المبادرة إلى سحق الدويلة الانتهازية المتمردة. وقاد نبوخذ نصر بنفسه الهجوم الأول ووصل إلى أورشليم، حيث أشرف على عمليات نفي القبائل. وهكذا، شملت عمليات النفي معظم المحاربين - الفرسان، وعددهم نحو سبعة آلاف فارس. أما الملك الثاني، فكان شقيق يهوقيم الذي سمى نفسه صدقيا، وقد نصّبه الآشوريون بعد تدمير أورشليم؛ ظنًّا منهم أنه سيكون أكثر إخلاصًا من سابقيه. ولكن، لم يكد يمضي سوى وقت قليل، حتى تمرد صدقيا على بابل، فزحف نبوخذ نصر مرة أخرى بنفسه ووقف على أبواب المدينة المقدّسة. ومن جديد وصلت جيوشه إلى عمق الجزيرة العربية واليمن. في البداية وصل إلى جبل شعر שער ، بينما كان الملك صدقيا وفرسانه يقومون بمناورة يائسة، ويتجهون فارين صوب وادي العرب - عربه הערבה حيث لاحق الآشوريون فلولهم، فأدركوهم في برية يريحو יריחו . وعندها أمكن إلقاء القبض على صدقيا، فقد اقتيد إلى (وادي ملك) أسيرًا. وهناك فُقئت عيناه وأرسل مُصفَّدًا بالسلاسل إلى بابل.

هذه بإيجاز شديد الخطوط العريضة للتنافس المصري - الآشوري على الساحل اليمني حيث جرت معركة هر - مجدو (معركة ساحل وجبل بني مجيد). وهذا ما سوف نتحقق منه في الفصل التالي.

---

(1) نجده اليوم في صورة الاسم (يكن) والاسم كما هو واضح من تصاريف الفعل (كان).

الحملات المصرية في القوائم الفرعونية

هناك ما يشبه الاتفاق بين علماء المصريات على أن حملات الفرعون المصري[1] سنوسرت الأول 1971 - 1926 ق.م، كانت موجهة صوب البحر الأحمر. كما يوجد شبه اتفاق مماثل على أن حملة الفرعون المصري تحوتمس الثالث بلغت بلاد البونت[2]، وهي بلاد البون الأعلى والبون الأسفل في اليمن (בונת البونت - البون بإلحاق التاء اليمنية كما في النقوش والمساند الحميرية المكتشفة، مثل قرشت في قريش، بون - بونت). وفي المقابل، ليس هناك أي شكل من أشكال الاتفاق المُحتمل على مكان ومسرح الحرب كما صورته التوراة، إذ مع هيمنة الرواية الاستشراقية - التوراتية على التاريخ، جرت أكبر عملية تحريف عرفتها البشرية، تمّ بمُقتضاها وضع أسماء الأماكن، الواردة في قوائم الغنائم والتي تزين جدران

(1) هو الفرعون الثاني في الأسرة الثانية عشرة في مصر.

(2) من أكثر الأمور غرابة في قراءة النقوش وفي تأويل نصوص التوراة، أن علماء الآثار والتاريخ قاموا بتفسير اسم البونت على أنه أرض الصومال (وقد حملت بموجب هذه القراءة، إحدى دويلات الصومال اليوم اسم أرض بونت). وهذا ما لا أساس له في التاريخ، لان المقصود بيلاد البوت بلاد البون (بونت في النطق اليمني) وهما بونان، أعلى وأسفل.

معبد الكرنك المصري، داخل التاريخ الفلسطيني بدلًا من وضعها في مكانها الصحيح، التاريخ اليمني، وفي مكان محدد هو السراة اليمنية والبحر الأحمر. ومع أن العلماء فشلوا حتى اللحظة في البرهنة على وجود اسم واحد من هذه الأسماء في فلسطين، فقد تواصل تنسيب هذه الأماكن إلى التاريخ الفلسطيني دون وجه حق. بذلك تم اختراع فلسطين تورتية، فيها أسماء لا جود لها. ونظرًا لطول القائمتين المعروفتين باسم قائمة نهاريا الشمالية وقائمة مجدو، هاكم نصًا «مُختصرًا» لهما:

قائمة الكرنك/مجدو كما سجلها المصريون

قائمة الكرنك - مجدو	الضبط العربي
1: قدش	قَدَس
2: مكت	مخت - المخا
3: خطي	خط
4: عنسو	عنس
5: قصر	قصر
6: ء تر	وتر
7: ء بر	أبير
8: حمت	حمة
9: عقدو	عقد
10: شمن	سمن
11: تبي	تبي
12: ء م سن	أم السن
13: قنو	قني
14: عرن	عرنه
15: ء تمم	الإتمة

16: ء كسف	ء كسفه
17: تعنك	تعناك
18: عين	عيان
19: عكأ	عك
20: خشب	خشب
21: نجب	نجب
22: مءخس	الخائس
23: يفو	يفا
24: ء فقن	أفقين
25: سوك	سوق
26: كنط	أكانط
27: تي	تيه
28: هر	يهر
29: يسفر	سفر
30: كرر	كرار
31: نعمن	نعمان
32: عني	غني
33: رحب	رحب
34: ءقر	وقر
35: قفت	قف
36: ريت	رية
37: عمق	عمق
38: عنقن - عم	بنو - عنقه
39: برقن	بارق
40: ء فرت	ءفراة
41: ء ي	أيا
42: صرب	سُربه.

43: ختم	خطم
44: رمس	رمس
45: روس	روس
46: حصر	حضر
47: ء تان	أتان
48: صرر	صرر

تضم القوائم الأصلية التي أعددنا عنها قائمتنا هذه، أكثر من مائتين وعشرين اسمًا. ونظرًا لوجود معظمها في النصوص التوراتية التي سبق الإشارة إلى بعضها فيما سلف، فسوف نكتفي بالإشارة إلى بعضها الآخر، وحيث تطلب الأمر ذلك. ومن نافل القول التأكيد على أن نقاشًا طويلًا، ثار بين أهل الاختصاص، تركز أساسًا حول طريقة قراءة الأسماء، وما إذا كانت هناك أخطاء وقعت سهوًا أثناء نسخ القوائم، ساهمت في تحويلها إلى أسماء غريبة وغير مفهومة، وفي استحالة العثور عليها في فلسطين، أم أن ثمة أمرًا آخر لا نعلمه؟ وفي الواقع لم يحدث مثل هذا الخطأ الافتراضي في النسخ، ولكن حدث خطأ حقيقي وواقعي من نوع آخر، مصدره الالتباس في القراءة التي زعمت وجود الأسماء في الجغرافيا الفلسطينية. وهنا تكمن المشكلة الكبرى في هاتين القائمتين: وجود معضلة غير قابلة للحل، تسبَّبت بها القراءة الاستشراقية، مع استحالة العثور على أسماء المواضع التي استهدفتها الحملات المصرية، أو معرفة ما إذا كانت في فلسطين وبلاد الشام أم في مكان آخر؟ وإذا ما قمنا بإعادة بناء الرواية التاريخية عن الحملات الحربية المصرية على بني إسرائيل في السراة اليمنية وساحل اليمن؛ فإن القوائم ستظهر آنئذٍ بكل دقتها، كسجل موثوق به وغير قابل للتلاعب. ولذلك، يمكن القول إنها سجلات نظيفة لم تحدث فيها أخطاء افتراضية أثناء النسخ كما زعم بعض علماء الآثار.

إن سِفر أخبار الأيام الثاني، مثلًا يروي فصولًا من أخبار هذه الحملات، ومنها حملة الملك المصري شيشق - شيشانق الأول 933 ق.م على رحب عم - رحبعم بن سليمان الملك، حيث ترك هناك ما يُدعى أنه نقش (معركة مجدو). وإذا ما صدقنا هذه المزاعم التي أشاعها بعض علماء الآثار، فإن الحملة تكون قد وقعت في ساحل مجيد - مجدو، وليس في فلسطين التي لا تعرف مثل هذا الاسم. كما يروي السفر[1] قصة هجوم تجلات بلاسر الثالث في العام 734 ق.م على بني إسرائيل عندما كان (ء حاز אחז) ملكًا. بينما كان الآشوريون والمصريون، يواصلون الصراع طوال مئتي عام في هذه الحقبة الطويلة والنموذجية في المكان نفسه، الساحل الطويل للبحر الأحمر. وقبل البحث عن الأسماء الواردة في القوائم المصرية، سنقوم برسم إطار تاريخي لهذه الحروب والحملات، وسنأخذ حملة شيشانق الأول كنموذج دراسي بهدف البرهنة على أن القوائم المصرية في الكرنك، هي سجل أمين وحقيقي بأسماء المواضع اليمنية التي اجتاحها المصريون.

هاكم رواية مُقتضبة عن الحملة كما وردت في سِفر الأخبار الثاني (دبري - ها - يميم)[2]. عندما توفي سليمان الملك صعد ابنه رحب - عم (رحبعم) إلى العرش، وكان شابًا صغيرًا قليل الخبرة. لكن صعوده مثّل إيذانًا ببداية الانشقاق الديني والسياسي الداخلي (الأهلي وبين اليهود أنفسهم) في مخلاف - مملكة بني إسرائيل والذي سوف ينتهي بقيام مخلافين - مملكتين، يهوذه في السرو الحميري الممتد من عدن حتى تخوم حضرموت[3]، ما يُدعى بمملكة الشمال في القراءة الاستشراقية، ومخلاف - مملكة بني

---

(1) النص العربي لتسهيل عودة القراء: الإصحاح 28: 14: 27.

(2) سفر الأخبار الثاني، 10: 5: 18. والنص العربي: 10: 12: 11: 14.

(3) وفي القرآن قوم هود. واليمنيون حتى اليوم، يزورون قبر هود في الأحقاف بحضرموت، ويؤمنون بوجوده في هذا المكان.

إسرائيل إلى الشرق من صنعاء، وهو ما يُدعى بمملكة الجنوب عند التوراتيين، وعاصمته الدينية بيت بوس، وهي أورشليم حسب قول التوراة، حيث توجد قرية شعثاء حتى اليوم هي جزء من بيت بوس وتدعى أورشليم (وتنطق أورسلم). وهذا ما يُعيد تذكيرنا بانقسام اليمن إلى دولتين شمالية وجنوبية خلال القرن الماضي. وتجلى السبب الجوهري في هذا الانقسام الذي سوف يتكرس مع الوقت، ويصبح حقيقة سياسية في ظهور معارضة قوية من قبائل الشرق، القاطنة في سرو حمير، للسياسة التي انتهجها الملك سليمان، واتسمت بالقسوة والمظالم الاجتماعية. ولنتذكر أن التوراة تشير باستمرار إلى هؤلاء وتطلق عليهم الاسم نفسه، بلاد المشرق أو الشرق. وهذا ما يقول به الهمداني.

أدرك الملك الشاب رحب - عم، المصاعب التي تواجه مسألة توليه العرش في مملكة موحدة، ومركزية تضم كل أسباط بني إسرائيل؛ فقد كان هناك خصوم جدد يُطالبون بتغيير شامل في النظام السياسي والروحي. ومن بين أشد هؤلاء كان يربعم بن نبط الذي فرَّ إلى مصر في عهد سليمان الملك الأب، حيث منحه المصريون الأمان هناك، وكان على علاقة وثيقة معهم. لكن، وفي اللحظة التي أُعلن فيها عن موت سليمان، سارع الملك الشاب إلى دعوة خصم والده للعودة والمشاركة في ترتيبات اختيار الملك الجديد وتسيير شؤون المملكة. وبالفعل سارع يربعم بن نبط[1] إلى العودة واتجه إلى مكان الاجتماع في شكيم، حيث التقت قبائل بني إسرائيل كلها[2]. بيد أن

---

(1) لاحظ العلاقة بين اسم القبيلة نبط واسم نبيت بن إسماعيل الأب الأعلى للعرب، وقارن مع اسم الأنباط المهاجرين من اليمن إلى بلاد الشام والعراق.

(2) يروي مؤلف كتاب (جلال الملوك: نصوص حبشية قديمة) ترجمة: مجدي عبد الرزاق سليمان، مراجعة محمد خليفة حسن، منشورات المجلس الأعلى للثقافة - مصر 2002=

هذه المحاولة سرعان ما أخفقت وانهار الاجتماع، إذ تفاقمت الخلافات بين ممثلي القبائل. ولم يمض وقت طويل على عودته من مصر، حتى أعلن ابن نبط هذا، انشقاقه على أسرة سليمان، وأقام بمعونة مباشرة من قبائل بني المشرق، مملكة مناوئة لحكم أسرة سليمان؛ ضمت الكثير من العشائر والبطون من سبط يهوذا، أكبر أسباط بني إسرائيل. ولسوف تعرف هذه المملكة - المخلاف باسم يهوذا، وهؤلاء هم الذين عناهم القرآن الكريم وسماهم قوم هود، بينما ظلت البطون والقبائل الأخرى في بني إسرائيل تتبع البيت السليماني، وتخضع لحكم رحب - عم. وبذلك تبدأ حقبة جديدة وطويلة تفترق فيها القبائل دينيًا وسياسيًا. وبرأينا أن تعبير أيدي سبأ، أو تعبير تفرقوا أيدي سبأ في الموروث الثقافي الجاهلي، ينطوي كل منهما على إشارة إلى هذه اللحظة من الشقاق والتمزق القبلي والديني. وسوف تُثار وُتوجه الاتهامات بممارسات دينية منافية للتوحيد، مثل التقرب إلى النيران في جبل هنوم، وهذا ما نراه بوضوح في الكثير من المراثي والقصص التوراتية. أقام رحب - عم بن سليمان في أورشليم (بيت بوس) بعد اختياره ملكًا على بني إسرائيل، فباشر بإقامة الحصون في بيت لحم - بيت لخم בית-לחם وهي لخمو في النصوص الآشورية. وكنا أشرنا فيما سلف إلى أن عالم الآثار هومل، قرأ نقشًا يعود إلى حملة شلمنانصر الثالث 950 - 929 ق.م هو نقش لخمو إلهة دلمون الأنثى לחמו . وبيت لحم هذه، هي معبد الإلهة

= رقم 469 أن شيوخ إسرائيل أجروا قرعة بالعصي لاختيار الملك (وهذا ما يذكرنا بضرب القداح عند عرب الجزيرة العربية) وأن العصا خرجت على بيت إفرايم بن نابا ط، فاختاروا ابنه يربعام ملكًا. وهذا الملك هو الذي نازع رحبعم العرش في اليمن. وفي التراث اليهودي - المسيحي للحبشة هناك أساطير مثيرة عن زواج سليمان من بلقيس التي تدعى ماكدة، إذ يروى أنها ولدت لسليمان ابنًا سمته داود، وصار ملكًا على الحبشة، وأنه دخل في نزاع مع رحب - عم، رحبعم.

الأنثى لحم أي الخبز، وهذه هي الإلهة الأم، إلهة الخصب العربية القديمة. وكانت هذه المدينة المقدسة مسقط رأس جده داود. كما أن رحب - عم أقام في عيطم، وتقوع - قوع، وصور وسوكه - سوق، وعدلام، ومرسه، وزيف، وءدورتيم، وعذيقه، وأيالون - أيلة - وجت، ولكيس - لكيز - وحبرون. وفي العام الخامس من حكمه، كانت العلاقات مع مصر قد تدهورت بسرعة غير متوقعة، انتهت بقيام شيشانق الأول 950 - 929 ق.م، بتجهيز حملة كبرى لإخضاع الملك الشاب رحب - عم (رحبعم) الذي لم يبدِ أي قدر من المقاومة، فسقطت أورشليم ونُهبت على يد القوات المصرية. أما خصمه يربعم بن نبط ملك - مخلاف يهوذه المتمرد، فقد أصبح اعتبارًا من هذا الوقت، عرضة لمؤامرات داخلية، قاد بعضها بصورة مباشرة خصم جديد يُدعى أبه - أبو. وكنا رأينا من نقوش الحملات الآشورية أن الآشوريين اصطدموا بمتمرد يدعى أوبو Uabo قام بثورة عارمة عامة للتخلص من سلطانهم. وهذا تطابق مدهش لم ينتبه إليه أحد من علماء الآثار، فالتوراة تسجل اسم الشخص المتمرد بالصورة نفسها في النقوش. يعطي هذا الإيجاز التاريخي فكرة شديدة العمومية، ولكنها ضرورية للغاية لفهم واستيعاب طبيعة الحملات العسكرية المصرية على الساحل اليمني والنجد، لإخضاع القبائل المتمردة. وهي الحملات التي سجلتها قوائم معبد الكرنك. لقد تم وضع هذه الأحداث بصورة اعتباطية، ومن دون دليل واحد ضمن التاريخ الفلسطيني على الرغم من انعدام أي برهان أثري أو لغوي أو جغرافي. وكنا رأينا من تحليل قوائم يشوع وصموئيل، أن الأسماء الواردة في هذا النص (انظر أسماء المواضع التي أقام فيها رحب - عم) هي مواضع يمنية لايزال بعضها موجودًا بالصيغ ذاتها؛ بينما على الضد من ذلك، لا يوجد اسم واحد منها في جغرافية فلسطين. إن تتبع خط سير هذه الحملات سيكون مُمكنًا من خلال تتبع المواضع الواردة في قوائم الكرنك. ولنبدأ من وادي عمق -

عمق. يقول الهمداني في وصف وادي عمق الذي سقط في يد القوات المصرية (عصر تحوتمس الثالث وشيشانق الأول) ما يلي[1]:

> في وصف سرو حِمْيَر: من هذه المواضع قُرى ومساكن كثيرة أرض حلالهم وأحلافهم: من الأودية الضباب ووادي حضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء، ووادي شكع، ووادي عمق تصب هذه الأودية إلى أبْيَن.

وبكل تأكيد لا وجود في فلسطين لواد يدعى عمق، يقود السائر فيه إلى وادي حضر (عمق وحضر في القائمة أعلاه). فهل سار شيشانق الأول في مكان مجهول؟ ها هنا وادي عمق في سرو حِمْيَر على الطريق بين صنعاء وعدن. ويعني هذا أن الحملة المصرية تواصلت في المكان نفسه الذي أصبح مسرحًا للصدام مع الآشوريين. إن السجلات الآشورية[2] تروي جوانب هامة من صدامات الآشوريين والمصريين، كما تروي أخبارًا عن حملات الآشوريين على قبائل مُضَر. بيد أن القراءة الغربية قرأت الاسم في الحالتين في صورة مصر، بحيث وقع خلط مأسوي بين الصدامات الآشورية مع فراعنة مصر على الساحل، وبين حملات الآشوريين لتأديب القبائل المتمرّدة ومنها قبائل مُضَر، وكنا رأينا أن الإخباريين العرب كانوا يتحدثون عن معارك، قادها معدّ بن عدنان ضد ملوك آشور، وذلك ما أشرنا إليه مرارًا. لقد أفضت القراءة الاستشراقية فعليًا إلى رسم جغرافيا خيالية إضافية، وذلك حين جرى وضع الأحداث برمتها في فلسطين. ولم يسلم من هذا التخييل حتى أفضل العلماء. إن عالمًا مرموقًا مثل ساكز لا يتوانى عن استخدام نصوص سفر الملوك الثاني مثلًا، كمادة تاريخية في المُطابقة مع التاريخ المُدوَّن، ولذا نراه

(1) صفة: 173.

(2) هاري ساكز عظمة بابل: 144.

يتحدث من دون احتراس أو تدقيق عن معركة رفح التي سجلتها الوثائق الآشورية، باعتبارها رفح فلسطين على الحدود الصحراوية مع مصر. بل يتحدث عنها باعتبارها معركة ضد المصريين. ومع أن النص الآشوري يتحدث بوضوح عن معارك في موضعي (قو) و(حمة) وهما موضعان لا وجود لهما شمال فلسطين، ولم تقع فيهما معارك بين الدولتين العظميين في العالم القديم؛ فإن التلفيق سوف يستمر ليبلغ ذروته مع ساكز[1]، حين يقول ما يلي: إن الجنرال المصري سو[2]، هُزم أمام سرجون الثاني[3]، وذلك استنادًا إلى رواية إشعيا الشعرية وإلى سفر الملوك الثاني. وهذا غير صحيح وغير مقبول من عالم في التاريخ، لم يجرب إمكانية العودة إلى السجلات الآشورية أو النقوش التي تنكر أية معرفة لها بهذا الحادث وتصمت عنه. وهذا أمر مثير بالفعل؛ إذ من غير المنطقي أن تتجاهل السجلات الآشورية حدثًا ضخمًا من هذا النوع لو أنه وقع حقيقة؟ بينما برهنا على أن الجنرال المصري المزعوم (سو) لم يكن ملكًا مصريًا ولا جنرالًا؛ بل ملك قبيلة مُضَر التي هُزمت في الحملة الآشورية التأديبية (انظر ما كتبناه عن سوء ملك قبيلة مُضَر) كما هزمت على أيدي المصريين في هذه الحملة. هاكم ما يقوله ساكز[4]، كنموذج عن القراءة التلفيقية:

---

(1) ساكز، عظمة: 144 145، 146، 148، 151.

(2) في التلفيق الاستشراقي يصبح ملك مضر جنرالًا مصريًا.

(3) ذكر الثموديون في نقوشهم التي يعرفها علماء الآثار جيدًا ومنها نقش عثر عليه في خرائب ثمود (أن سرجون الثاني أخضع ثمود لحكمه) انظر: جواد علي 1/ 223 وهذا ما يتوافق كليًا مع ما ورد في السجلات الآشورية.

(4) يعتبر ساكز، 144 - 145 أن سرجون الثاني لم يواجه اضطرابات أخرى في فلسطين باستثناء محاولة فاشلة من مدينة أشدود Ashdod على الساحل الجنوبي من فلسطين، لتنظيم حلف مضاد للآشوريين، بإسناد مصري غامض، وذلك عام 712، بالاتفاق مع يهوذا وأدوم Edom وموآب، وإن سفر أشعيا (إصحاح: 1: 20 - 6) يشير إلى استيلاء الحاكم=

وتورطت غزة بإسناد جبان من الجنرال المصري الذي يُسميه العهد القديم باسم سو. ولكن عند الاشتباك في رفح، هرب الجنرال المصري (استنادًا إلى الأخبار الآشورية بشكلٍ مُخزٍ تاركًا ملك غزة لمصير محتوم).

في الواقع لم يكن هناك أبدًا، جنرال أو ملك مصري، هُزم في معركة رفح التي سجلتها الوثائق الآشورية. والواقعة تروى في السجلات العراقية القديمة على أساس وجود حلف من القبائل العربية - البدوية والمتمردة ضد الإمبراطورية الآشورية، وقد تم تحطيمه في رفح، وبالطبع لم تكن هناك أدنى إشارة إلى فلسطين. وبالفعل فقد كان هناك حلف من قبائل بدوية لصدّ الآشوريين، شاركت فيه قبائل مُضَر بقيادة ملكها سو[1] الذي سوف يقع هو نفسه - تاليًا - في أسر القوات الآشورية، في حين لم تكن هناك غزة متورطة في الهجوم. فكيف حدث هذا الالتباس والخلط؟ في الواقع كان الصدام المصري المزعوم، مجرد قراءة خاطئة للأسماء في السجلات الآشورية، وفي قائمتي الكرنك. وبالنسبة للسجلات الآشورية؛ فمن المؤكد أن اللوحات البطولية العملاقة التي تركها الآشوريون، تدحض فكرة وجود حدث تاريخي

= الآشوري على مدينة أشدد، ويذكر سكان القدس بعبث توقع دعم مصر العسكري ضد آشور. وهذه القراءة المغلوطة للتاريخ، استنادًا إلى تأويل التوراة، هي التي سار عليها كل الكتاب والمؤرخين العرب، فالقدس أصلًا اسم حديث، لا يرقى إلى أبعد من العهدة العمرية لأهل إيلياء خلال فتوحات الشام، وليس هناك أي نص في التوراة يشير إلى أن القدس هي أورشليم، كما يزعم ساكز. ولم يسأل أي من المؤرخين العرب وهم يرددون هذه الأكاذيب: وأين ذكرت التوراة أن القدس هي أورشليم، حتى يتسنى لنا اعتبار نص السفرين، سفر الملوك2 وأشعيا، نصين خاصين بفلسطين؟.

(1) انظر مراثي إرميا وأشعيا في التوراة، النص العربي، ولاحظ كيف أن إرميا حث القبائل على طلب النجدة من المضريين الذين دخلوا المعركة وهزموا وأسر ملكهم.

من طراز أسر جنرال أو ملك مصري يدعى سو، لأنها ببساطة لوحات تصور قبائل بدوية مهزومة وقع فرسانها في الأسر. ولو كان هناك حدث بهذه الضخامة لسجلته الوثائق الآشورية. إن الأزياء التي يرتديها الأسرى، كافية بخد ذاتها - كما تبيِّن اللوحات - للبرهنة على حقيقة المعركة ومسرحها، فهي ملابس جماعات بدوية. أما بالنسبة لقائمة الكرنك المصرية فهي على المنوال ذاته، تضم أسماء مدن وقرى وجبال ووديان اليمن وليس فلسطين. وفي الحالتين، ثمة أمر مشترك في السجلات الآشورية وقائمة غنائم الكرنك، يتمثل في وجود قبائل بدوية، لحقت بها الهزيمة على أيدي المصريين والآشوريين في فترات وحقب مختلفة. إن التشابه في بعض الأسماء، والصمت عن ذكر فلسطين، والاكتفاء بذكر أسماء المدن والجماعات، قد يكونان السبب المباشر في حدوث هذا الخلط. مثلًا: كانت هناك مدينة تدعى عزه - بالعين المهملة -، ولكن الآشوريين والمصريين لا يحددون المقصود بها. ولذا افترض علماء الآثار أنها غزة، بالغين المعجمة بنقطة من فوق، وكانت هناك رفح بالفعل، ولكنهم تجاهلوا تحديد المقصود منها. والأمر ذاته ينطبق على اسم ملك مصريم. لقد تلازمت هذه القراءة المغلوطة للتاريخ، وطوال القرن الماضي مع أعمال وجهود علماء الآثار للمطابقة بين نصوص التوراة وبين المكتشفات، وأسفر ذلك بجلاء عن تكريس قراءة مغلوطة جملة وتفصيلًا للتاريخ القديم في المنطقة، الأمر الذي خلق فوضى لا حدود لها. وفي هذا الإطار، واستنادًا إلى التوراة وحدها، فقد قرأ التيار التوراتي في علم الآثار، وعلى منواله كتاب التاريخ، اسم عزه في صورة غزة، ورفح اليمنية في صورة رفح الفلسطينية، كما قرىء اسم مصريم في كل الحالات ومن دون تمييز أو تدقيق في صورة مصر. لذلك، ومن أجل إعادة تركيب التاريخ القديم بعيدًا عن التوراة، فسوف نعيد قراءة وضبط الأسماء في

قائمة الكرنك المصرية، استنادًا إلى شهادة جغرافية حاسمة يقدمها الهمداني عن كل ما ورد من أسماء بما فيها رفح، وهذا ما سوف يساعدنا في فهم حقيقة المعركة التي هزم فيها جنرال مصري مزعوم يدعى سو[1]:

ما قبل من أشراف نقيل السود فبيت بوس وجبل نُقم وما بينهما حقل صنعاء إلى خطم الغراب، وبيت رفح فالرحبة إلى خطم الغراب وقاعة والبون، وأكانط والخشب.

إذا ما أمعنا النظر في هذا الوصف، فسوف نجد الأسماء الواردة في قائمتي نهاريا ومجدو من دون أدنى تحريف وبالتسلسل نفسه. والنص أعلاه يرسم فضاءً جغرافيًا متكاملًا، فها هنا دارت رحى المعارك في خطم - ختم، والرحبة - رحب، وكنط - أكانط، والخشب - الخشب. وها هنا بيت بوس (وهي أورشليم) التي نهبها المصريون. وها هنا أيضًا بلاد البون - البونت (وهي بلاد واسعة كما في تعبير السجلات المصرية: بلاد بونت). وإلى هذا كله: لدينا رفح اليمنية التي اشتبك فيها الآشوريون، مع قبائل مُضَر بقيادة ملكها من بني سواءة، عندما اندفعت من الساحل لصد المصريين ولنجدة بني إسرائيل (على الرغم من خلافاتهم العنيفة وصراعاتهم المريرة). وهاكم تعريف الهمداني للمقصود بالجنرال المزعوم سو[2] - سوءه:

ثم سراة جنب (. .) ثم يتلوها سراة عنز وسراة الحجر نجدهم خثعم وغورهم بارق، وبنو الخالد نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ثم سراة الخال لشكر، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية.

(1) الهمداني، صفة، ص 156 - 159. النص مُختصر.
(2) صفة: 130 - 131.

هذه هي سراة جنب - جنب وإلى جوارها جبل بارق - برقن[1] وهاهنا بنو سواءة - سو، وهم خليط من القبائل في عصر الهمداني، ولكن روابطهم لا تزال مع ذلك عامرية (مضرية). كانت معارك رفح وقو وحمه وقراقر عام 721 ق.م بين سرجون الثاني وقبائل المُضَريين، تدور في المكان نفسه ولا علاقة لفلسطين بها، كما لا علاقة لمصر البلد العربي لا من قريب ولا بعيد بهذه الأحداث. هذا الخلط المأسوي ناجم عن تهجئة مغلوطة للأسماء، وعن افتراضات مبنية أساسًا على النصوص التوراتية، وليس على نتائج البحث الأثري التي لم تُبين قط، وجود مثل هذه المعارك في فلسطين. إن رفح اليمنية التي دار فيها القتال، ثم امتد إلى قو وقرقر وحمة - التي تخيلها الغربيون حماه السورية - هي ذاتها رفح القريبة من بيت بوس - أورشليم، بينما لا توجد رفح فلسطينية قرب القدس إذا ما سلمنا - جدلًا - أن القدس هي أورشليم. بالضد من ذلك كله، هناك جبل قدش - قدَس إلى الجنوب من تعز على مقربة من رفح هذه، تمامًا كما في القائمة. المثير للاهتمام أن المصريين والآشوريين لم يسجلوا في المدونات المتروكة قط، أي شيء عن هزائم وحروب دامية من هذا النوع، بينما تسجل قوائم الكرنك، أسماء المواضع التي بلغتها القوات المصرية في عمق النجد اليمني وعلى الساحل من أجل إخضاع القبائل ذاتها. وهذا ما تتحدث عنه السجلات الآشورية. بهذا المعنى يتوجب فعليًا إعادة النظر، بما يُدعى الحروب الآشورية - المصرية في فلسطين خلال حقبة شيشانق الأول، لأنها حروب كُتبت روايتها السائدة اليوم، بناء على قصص التوراة وليس الآثار المتروكة أو السجلات والنقوش. وبالتالي، يجب أن نحذف من التاريخ الفلسطيني، أحداثًا بأكملها نُسبت خطأ إلى هذا التاريخ، منها حملة شيشانق الأول. لقد وقعت بكل

(1) سجل المصريون اسم هذا الموضع طبقًا للنطق اليمني القديم - النون الكلاعية - برقن. وهذه وثيقة تاريخية دامغة يقدمها المصريون القدماء لنا عن طريقة النطق القديمة.

تأكيد صدامات دامية وحروب ضارية وشرسة بين الآشوريين والمصريين، ولكن ليس من المؤكد أن هذه الحروب - التي تذكرها التوراة وتسجلها في أسفار مختلفة - وقعت في فلسطين (انظر الصورة رقم 2 مشهد الملك يهوياقين يقدم فروض الطاعة للآشورين).

لذلك، ومن أجل فهم أعمق لهذه الحملات، يتعين - اليوم - قراءة قوائم الكرنك من منطلق مغاير، بوصفها سجلًا بالغنائم والمكاسب العسكرية التي نجحت في الحصول عليها، حملات مصرية متتابعة قادها تحوتمس الثالث وشيشانق الأول، واستهدفت إخضاع قبائل النجد والساحل اليمني، ما فعله الآشوريون مع القبائل المتمردة على سلطانهم. سنأخذ المواضع التالية من قوائم معبد الكرنك: نعمان - نعمن (رقم 31) وأفقن - ء فقين (رقم 24) وعيان - عين (رقم 18) وكنط - كانط (رقم 26) والخشب - الخشب (رقم 20) حسب تسلسلنا، وهي أسماء مواضع لا وجود لها في فلسطين قط، وقد اعتبرتها القوائم المصرية من بين غنائم الحرب. هاكم ما يقوله الهمداني عنها[1]:

في وصف الجوف اليمني: أودية من ظاهر بلد همدان مثل يناعة وذي بين[2]، وأكانط والخشب، والميح وبلد ذيبان فيمر بالقحف ويلتقي بمياه الخارد التي هبطت من صنعاء ومخاليفها ثم يصبان في الجوف (....) وبركان وعيان ويمدهما سيل نعمان (..) ثم وادي نجران وفروعه من ثلاثة مواضع (...) ولقي سيل غربي صَعْدَة ونعمان وأفقين.

(1) صفة، 159، 163.

(2) انظر ما كتبناه عن (بين) في الفصول السابقة.

استنادًا إلى هذا التوصيف، يكون **الجيش المصري** قد اجتاح كامل منطقة **الجوف اليمني وليس فلسطين**، وبالتالي فقد تمكن من دحر القبائل هناك، واستولى على مواضع هامة، من بينها **أكانط**، وهي ما يُسمى اليوم كانط، واليمنيون المعاصرون يعرفون هذا النطق جيدًا. كما استولى على منطقة **الخشب** التي تتبع بلد **أرحب**، وهو وطن وقبيل مشهور وقديم في اليمن، قبل أن يواصل زحفه من صعدة **باتجاه نجران إلى الغرب**، ليستولي على **وادي عيان**، حيث القرى العامرة، ثم يدخل منازل القبائل **في وادي نعمان في الجوف الأعلى**، وأخيرًا ليستولي على **أفقين** المجاور له. إن كانط هذه، موطن قبائل من **بكيل وحاشد** - حاسد في التوراة[1]، وهي من قرى **البون** - **البونت** التي يقول المصريون في سجلاتهم إنهم اجتاحوها ووضعوا يدهم عليها. هاكم وصف **الهمداني**[2]: فهذه قُرى البون (**الخشب وأكانط**، قرية كبيرة بها خليط من **بكيل وحاشد**، وبأكانط منهم الميح وبيت الجالد).

كما اجتاح الجيش المصري كامل منطقة ذمار القريبة من صنعاء، والمخاليف المجاورة في الجوف اليمني والتي تقيم فيها بطون من حِمْيَر. وأهم موضع في هذا المخلاف هو **عنس - عنسو** الذي تُقيم فيه قبائل من مذحج، كما تقع فيه **حمه** (وهذه صورتها القراءة الغربية للتوراة على أنها حماه السورية) وكذلك **سُربه - صرب**. إليكم وصف[3] المواضع التالية في القائمة (**عنسو** -

---

(1) ورد اسم حاشد في قصص سليمان، سفر الملوك 1، 4: 7:

«وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ اثْنَا عَشَرَ وَكِيلاً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ يَمْتَارُونَ لِلْمَلِكِ وَبَيْتِهِ. كَانَ عَلَى الْوَاحِدِ أَنْ يَمْتَارَ شَهْرًا فِي السَّنَةِ. 8وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ: ابْنُ حُورَ فِي جَبَلِ أَفْرَايِمَ. 9ابْنُ دَقَرَ فِي مَاقَصَ وَشَعَلُبِّيمَ وَبَيْتِ شَمْسٍ وَأَيْلُونِ بَيْتِ حَانَانَ. 10ابْنُ حَسَدَ فِي أَرُبُّوتَ. كَانَتْ لَهُ سُوكُهُ وَكُلُّ أَرْضِ حَافَرَ». والكلمة في النص العبري مرسومة بحرف السامك، والرسم الصحيح ابن حاشد بما أن السين والشين تتبادلان الوظيفة.

(2) صفة: 221.

(3) المصدر السابق: 206 - 209.

عنس: رقم 1، حمه - حماه: رقم 8، صرب - سُربه: رقم 42، كرار: كرر رقم 30):

> مخلاف ذمار: جبل إسبيل مُنقسم بنصفين نصف إلى مخلاف عنس، وما بين إسبيل وذمار أكمة سوداء تُسمى حمة (. . .) والأودية التي بها مطاحن الماء فهي سُربه ويسكن هذه المواضع بطون من حمير (. .) مخلاف ألهان ومُقري: وهو مخلاف واسع. ومما يُصالي ألهان ريمه الصغرى وحدا وعشار (. .).

يعني هذا، أن المصريين قاموا بمهاجمة، ما يُعرف بمملكة بني إسرائيل إلى الشرق من صنعاء، وليس إلى الشرق من فلسطين التي لم يسمع سكانها القدماء بمخلاف عنسو - عنس، ولم يشاهدوا حمه - حماه، كما لا يعرفون سُربه - صرب. وبكل تأكيد فهم لا يعرفون بلد حدا - حده ولا عشار. وأخيرًا، لا وجود لوادٍ في طول فلسطين وعرضها يُدعى كرار - كرر، رقم 30، بينما نراه في المكان نفسه لسلسلة المخاليف المتجاورة التي اجتاحها الجيش المصري. وفي هذا الإطار، وإذا ما وضعنا قدش (قدَس رقم: 1) ضمن جغرافية القوائم الموصوفة؛ فإن القوات المصرية تكون قد توجهت بسهولة صوب جنوب تعز بنحو 80 كيلومترًا، لتستولي على جبل قدش - قَدَس، بينما يستحيل الوصول إلى قدس الفلسطينية من عنسو، وحمه، وصرب، لأنها ببساطة أماكن لا وجود لها هناك. فهل هي محض مُصادفة إذن، أن تكون المواضع الواردة في قوائم الكرنك، قرب بعضها البعض في جغرافية اليمن، بينما يستحيل العثور عليها في فلسطين؟ والأمر المؤكد في ضوء ما تقدم، فقد تقدمت القوات المصرية صوب ردمان، لتضرب قبائل الرمسيين في رمس - رمس[1] (رقم 44) وعقدو (عقد رقم 9). والرمسيون

(1) الغريب أن الاستشراقيين الأجانب والعرب، يقرأون رمس هذه في صورة رمسيس، =

بطون من حِمْيَر، يُقيمون فيما يُعرف عند اليمنيين بالمُسمق الأعلى، وأغلبهم من قبائل البدو الرحل. إن أحدًا لا يعرف رمس وعقدو في فلسطين، قرب بعضهما. بيد أن الهمداني يعرض علينا صورًا جغرافية شيقة ودقيقة عن كثافة سكانية عالية، حيث تحتشد القبائل في هذا المكان. إليكم ما يقوله[1]:

> رجع إلى ردمان: نوعة لجُران وهم من حِمْيَر وهم في ناجية، المسْمق الأعلى والمسْمق الأسفل لبني مليك حَرْيَة للرمسيين (بنو رمس) وعقد لبني عبد من حِمْيَر (..) أودية كلها لبني مر وفيهم أخلاط من بني غيلان وبنو غيلان من نُهيك ونهيك من جنب.

لدينا - في هذا النص - أسماء المواضع والجماعات ذاتها التي استهدفتها الحملة المصرية في ردمان، حيث جرى ضرب بني إسرائيل ونهب منازلهم وتخريب معابدهم: ها هنا رمس وهم بنو رمس[2] وإلى جوارها بلدة عقد - عقدو[3]، وأخيرًا: ها هنا بطون جنب - جنب. إن لمن المستحيل حقًّا، العثور في فلسطين على ما يُماثل أسماء هذه القبائل الواردة في قوائم

= للدلالة على الخرافة القائلة إن اليهود هم من بنى الأهرامات وشيد مدينة رمسيس، لكنهم عند ورود الاسم نفسه في قائمة معبد الكرنك، يتجاهلونها. والسؤال هو: إذا كانت رمس هي رمسيس حسب القراءة الاستشراقية، فكيف استولى عليها المصريون في حملتهم على فلسطين؟.

(1) صفة: 186.

(2) الهمداني، صفة، ص 166 - الهامش.

(3) الواو في آخر الاسم لهجة يمنية. وفي نقوش المسند: هتفت/ مراهو (نذرَ لسيده أو أميره). كما تلحق السين بالواو والهاء في لهجة أخرى، مثل: بهنسو: (في ابن، ابنه كما عند سكان حضرموت). وانظر ما كتبناه في فلسطين المتخيلة عن تحنفيس - تهنفيش - بإضافة الهاء والسين على الاسم نفيش. ومثل مراسو: رئيسه، ونفسيهو: نفسها. وحول الواو لوحدها لاحظ عنسو، وعقدو، صفة: 216، وانظر: شرف الدين، اللغة العربية: 84، 87.

الكرنك. وفي هذا السياق سنتوقف عند الاسم المثير روس - روس[1]:

> في وصف مخلاف خولان وذي جُرَة: وادي قروى ووادي مقولة (وادي قروى من أودية خولان الشهيرة. وبقية الأودية عدادها من سنحان وبلد الروس التي هي من ذي جُرَة) وأودية عنَس، فقد يختلط بينها بُوسان. ومن ذي جُرَة إلى حريب عَنَس فإلى ثلاثة مواضع؛ فالذي يصب إلى خارد الجوف منها السر ويلاقيها سيل مغارب صنعاء.

ذو جُرَة هذا، هو ما يُسمى بلاد سنحان أو بلاد الروس، وقد نُسِبَ إلى ذي جُرت بن يكلى بن حمير. وعلماء الآثار يعرفون هذا المكان جيدًا، إذ عثروا فيه على نقوش بالخط المسند وردَ فيها اسم القبيلة اليمنية - التوراتية ذي جُرت. ومعظم أراضي ذي جُرت وعنس - عنسو تقع إلى الجنوب من صنعاء. يعني هذا أن القوات المصرية الزاحفة جنوب صنعاء، تمكنت من الاستيلاء على عنَس وبلاد الروس في وقت واحد، حسب رواية قوائم الكرنك. وبالطبع لم تحدث هذه الواقعة في فلسطين، ولم يكن هناك هجوم استهدف عنسو وعقدو وروس فيها؟ وإذا ما تابعنا المواضع التي سقطت في هذه الحملات، فسوف نرى أن المصريين تمكنوا من الاستيلاء على سلسلة جديدة من الأماكن المجاورة أو القريبة، أثناء هجومهم على بلاد الروس وعنس، منها موضع هر - يهر (عند الهمداني هر وفي العبرية يعني جبل، ويهر اسم مكان بزيادة الياء مثل يعرم في عرم، يهو، في هو، يهوذه في هوذه). ويبدو أن علماء الآثار من التيار التوراتي، سعوا إلى التأكيد على أن

(1) الكثير من المواليد اليهود اليوم يحملون هذا الاسم التوراتي من دون أن يعلموا أنه اسم عربي.

المقصود موضع في فلسطين يُدعى هر. وبالطبع في السياق ذاته للمُطابقات العشوائية، أي معزولًا عن أية أسماء أخرى. بيد أن هر - يهر هذا يقع في المكان نفسه الذي كان فيه المصريون يتقدمون داخل سرو حِمْيَر، وهم اتجهوا صوبه في طريقهم للاستيلاء على وادي عمق وحضر. هاكم وصف الهمداني[1] للمواضع (حَضر חצר رقم 46، عمق עמק رقم 37، هر הר رقم 28) ضمن سرو حِمْيَر:

سرو حِمْيَر وأوديته وساكنه: العر ويهر - هر، وتيم[2].
يهر - هر لبني شُعيب ووادي حَضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء ووادي عمق. تصُبّ هذه الأودية إلى أبْيَن.

وبسقوط هذه السلسلة من المواضع والأماكن في أيدي القوات المصرية، يكون طريق الساحل قد بات مفتوحًا من أجل التقدم عبر تهامة بسرعة للاستيلاء عليه. وهذا ما يمكن رؤيته من سقوط موضع يدعى تي - تيه على مشارف تهامة. لقد توهم بعض الاستشراقيين - وحتى بعض الكتاب العرب - أن المقصود به (طيِّىء) القبيلة، لمجرد وجود تماثل في مبنى الاسمين. في الواقع تقدم الجيش المصري نحو الساحل، وبالطبع ليس ثمة مضارب لقبيلة طيِّىء هناك؛ بل يوجد موضع يدعى بالفعل تي - تيه، وتمامًا كما رسمت اسمه قوائم الكرنك. يصف الهمداني الطريق من جُرش في نجد العليا إلى تهامة فالساحل على النحو التالي[3]:

رأس تية هي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين. وهذه أودية عسير؛ ومن النجدي أوطانها

(1) صفة: 172 - 173.
(2) انظر تيم في الفصول السابقة.
(3) صفة: 230 - 233.

الرفيْد ثم يصلاها عُنقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز (. .) والرُّفيْد والغوص وعُنقه (وادي عُنقه لايزال معروفًا) وتمنية[1] يسكنها بنو مالك، ذو الينيم ويسكنه بنو ضرار، فأتانة والمغوث وتسمى هذه أرض طود، ورأس العقبة لبني النعمان ثم إلى عفرانين ثم بلد نهد من جُرش إلى كتنة. (. .) ثم بلد بني مجيد وبلد الفرسان، وهي على محجة عدن من زبيد ثم ديار الأشعريين، والمخا ثم سهام، وهي عكية ومن بواديها واقر (. .) ثم بلد حرام من كنانة وهو وادي أتمة ووادي رحمة وأسفل عرنة.

لدينا في هذا النص سائر المواضع التي وردت في قوائم الكرنك، وحسب تسلسلها. ها هنا رأس تيه - تي التي بدأ المصريون الزحف منها صوب الساحل، حيث سقطت مدن وقرى وادي شعب بني عُنقة - عنقن[2] - عم: قبل أن يتقدموا بمحاذاة سراة جنب نحو أتانة (أتان رقم 47) والمخا[3] (مخت رقم: 2) والتي توهمها بعض الباحثين أنها مكة (مكا) ثم اتجهوا نحو صرر (رقم 48) وهم بنو ضرار، ثم أقر (وقر رقم 34) ووادي أتمة (ءتمم، رقم 15) وعرن - عرنه (رقم 1) وعكا[4] (عك رقم: 19) وعنقن عم (عنقه:

(1) انظر تمنية وعقرون وتيمن عندنا في الفصول السابقة.
(2) يبدو أن المصريين سجلوا أسماء المواضع التي اجتاحوها طبقًا لطريقة نطقها عند اليمنيين: عنق - عنقن. برق - برقن.
(3) ورد اسم المخا في مواضع كثيرة من التوراة منها: سفر قضاة 3: 18 و27: 18.
(4) في الكثير من النقوش السبئية ورد اسم عك على هذا النحو: بعل/ حبشت/ وعكم (على قبيلة حبيش وعك) ولاحظ أن عكم ترسم في العبرية في صورة معكه (أي العكا) بمعاملة الميم كأداة تعريف منقرضة.

رقم 38) وأخيرًا ساحل بني مجيد الذي وقعت فيه معركة مجدو عام 608ق.م بين الملك المصري نيخو الثاني، وبني إسرائيل والتي انتهت بإخضاعهم للإرادة المصرية[1]. يبقى أن نتذكر أن نقش رمسيس الثالث يتحدث عن وصول المصريين إلى موضع يدعى فرست - فرس الساحلي (التاء هنا هي التاء اليمنية مثل: قرشت في قريش كما تدلل على هذا النقوش اليمنية وطريقة نطق الأسماء). ويمكن لأي متتبع للجغرافيا، أن يشاهد موضع فرست هذا في الساحل اليمني. ومن الواضح أن سقوط هذه المواضع، وحسب تسلسلها في تهامة والساحل، يعطي فكرة عن حجم المعارك التي جرت هناك، كما يعطي فكرة عن القبائل التي تم إخضاعها للنفوذ المصري.

هذه هي أهم المواضع التي سقطت في أيدي المصريين في حملاتهم الحربية المتعاقبة في ساحل البحر الأحمر واليمن، ولم تكن فلسطين والحال هذه، كمسرح لحروب المصريين سوى وَهْمٍ اختلقه التوراتيون.

(1) سفر الملوك الثاني، الإصحاح: 23.

بابليون ومصريون في أورشليم

في إطار هذه الحروب، حدثت سلسلة من الصدامات بين الجيشين الآشوري والمصري (الإمبراطورية البابلية الحديثة مع نبوخذ نصر وآشور أوبالط: 605 ق.م) على امتداد الساحل اليمني، وفي أورشليم اليمنية العتيقة. لقد صورت التوراة جزءًا هامًّا من هذه الحروب. بيد أن القراءة الاستشراقية تعمَّدت وضع التاريخ، مرة أخرى في السلَّة الفلسطينية دون وجه حق، لتصبح فلسطين وسورية مسرحًا لحروب، لا يعرف التاريخ المكتوب عنها أي شيء، فبعد سقوط مملكة - مخلاف يهوذه في يد المصريين، إثر معركة هر - مجدو (ساحل وجبل بني مجيد) على البحر الأحمر، ومن ثم إثر معركة كركميش[1] قرر الآشوريون، بقيادة نبوخذ نصر، القيام بتحضيرات واسعة لهجوم ساحق من أجل دحر القوات المصرية، وذلك بحلول عام 605 ق.م. كان نبوخذ نصر - في هذه الآونة - قائدًا عسكريًّا شجاعًا ومرموقًا، يعمل تحت إمرة والده الملك نبو بلاسر. وعلى الطرف الآخر، كان الملك المصري نيخو

(1) كر - كمس: تعني كلمة كر العبرية: مرج. أما كامس فهي موضع الكامس: مرج الكامس وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ووصف الجغرافيين العرب القدماء.

الثاني[1] يقود المعركة الدفاعية بنفسه. لقد ترك لنا نبوخذ نصر نقشًا في غاية الأهمية عن خط سير حملاته الحربية، ففي نقش نشره هاري ساكز[2]، نلاحظ، أن العاهل الآشوري خاطب يهوياقين ملك بلاد اليهودية، تمامًا كما في التوراة.

إلى يهو - كينا ملك بلاد يهودو، لأبناء ملك يهودو الخمسة (و) لثمانية يهود، كل منهم 1/ 2 سيلة من الحبوب

---

(1) يعرفه الإخباريون الكلاسيكيون العرب باسم نيخو الأجدع. ويقولون إنه كان كسيحًا. وفي (تاريخ الملوك والرسل: 1/ 313) يقول الطبري:
وقال بعضهم: بل الذي غزا حزقيا صاحب شعيا، سنحاريب ملك الموصل. وزعم أنه لما أحاط بيت المقدس بجنوده بعث الله ملكًا فقتل من أصحابه في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل وكان ملكه إلى أن توفي تسعًا وعشرين سنة ثم ملك بعده فيما قيل أمرهم منشا بن حزقيا إلى أن توفي خمسًا وخمسين سنة ثم ملك بعده أمون بن منشا إلى أن قتله أصحابه اثنتي عشرة سنة. ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد، ملك مصر إحدى وثلاثين سنة. ثم ياهواحاز بن يوشيا وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه إلى مصر، وملك فرعون الأجدع يوياقيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه، ووظف عليه خراجًا يؤديه إليه، فكان يوياقيم يجبي ذلك فيما زعموا من بني إسرائيل ويحمله فيما زعموا اثنتي عشرة سنة. ثم ملك أمرهم من بعده يوياحين بن يوياقيم فغزاه بختنصر فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه. وملك مكانه متنيا عمه وسماه صدقيا فخالفه فغزاه فظفر به فأوثقه وحمله إلى بابل، بعد أن ذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب المدينة والهيكل، وسبى بني إسرائيل وحملهم إلى بابل، فمكثوا بها إلى أن ردهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب بن أسب من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم. وذلك أن أمه أشتر - أستير - ابنة جاويل وقيل حاويل الإسرائيلي، فكان جميع ما ملك صدقيا مع الثلاثة الأشهر التي ملك فيها يوياحين، فيما قيل إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لهراسب وعامله على ذلك كله بختنصر.

(2) هاري ساكز، عظمة بابل: 174.

يكشف هذا النقش، أن علاقات نبوخذ نصر مع ملوك بلاد اليهودية، اتسمت بكونها مزيجًا من الضغط العسكري والعلاقات الدبلوماسية، وذلك واضح من اهتمامه بتحديد نوعية الضرائب المفروضة التي شملت كميات كبيرة من الذهب والبخور والحبوب. ويبدو أن التحدي المصري في هذه الآونة، كان يفرض على نبوخذ نصر اللجوء إلى خيار إخضاع بلاد اليهودية وإخراجها من دائرة الصراع. ومع ذلك، ظل العاهل الآشوري متحفزًا لخوض معركة حاسمة ضد المصريين على ساحل البحر الأحمر.

يروي سِفر إرميا صورًا مدهشة عن طبيعة هذه المعركة في إحدى مراثيه - النص مختصرًا[1]:

(ءشر - هيه - دبر - يهوه - ءل - يرميه - ها - نبيئه - عل - ها - جويم - ل - مصريم - عل - حيل - فرعه - نكو - ملك - مصريم[2] - ءشر - هيه - عل - نهر - فرت - ب - كر - كميش - ءسر - هكه - نبوكلدر - نصر - ملك - ببل - ب - شنة - ها - ربيعيت - ل - يهويقيم - بن - يئشيه - ملك - يهوده: عركو - مجنه - و - صنه - ونشو - ل - ملحمهء صرو - ها - سوسيم - وعله - ها - فرشيم - وها - تيصبو - ب - كوبعيم - ها - جيدو - ب - مصريم - وها - شميعو - ب - مجدول - وها - شميعو - ب - نوف - وب - تحفني - مرو - هاتيصبو - ها - كن لك - كي - ءكله -

(1) الإصحاح: 46 النص العبري: 45: 4: 46: 10.

(2) لاحظ أن اسم مصريم هنا يرسم في صورة نكو - ملك - مصريم، وهذا ما يوضح مقاصد النص، فهو نكو ملك المصريين - البلد -. ومن الواضح أن محرر النص لم يستخدم كلمة مشفحت لأنها تدل فقط على المُضريين القبيلة - مشفحت - ؟.

صبببيك - مدوع - نصحف - ءبيريك - لء - عمد -
كي - يهوه - هادفو - ها - ربه - كوشل - نم - نفل -
ءيش - ءل - رعهو - ويئمرو - قومه - ونشبه - ءل -
عمنو - وءل - ءرص - مولدتنه - م - فني - حرب).

وترجمة هذا النص:

تلك هي كلمة الرّب إلى إرميا النبي، ألقاها على الأمم:

على مصر، وعلى جيش الفرعون نكو

ملك مصر الذي كان على مسيل فراة

وظهر في مرج كامس

فضربه نبوكدر نصر

ملك بابل

في السنة الرابعة من حكم يهوياقيم بن يوشيه ملك يهوذه:

المجنَّ والرماحَ للقتال فلتعدوا

واجمعوا الخيولَ

وعلى السروج اعتلوا

وبخوذاتكم جولوا

وفي - ديار - المُضَريين دوروا

لتسمعكم مجدول

ونوف وتهنفيش[1] تسمعكم

(1) تفيش: الهاء لاصقة وهي لهجة يمنية (شمر يهرعش - شمر يرعش) ولاحظ كيف دخلت النون على الاسم. انظر، شرف الدين: اللغة، 34 لهجة الهاء من بقايا لهجات العرب، =

قولوا واستعدوا واثبتوا.

وبالسيوف تمسكوا

لن يقف الرب ليصد الموت عنكم

فالكثرة الضالة تُهزم

ومن يقاتلون الشر رجال نهضوا

فقوموا انهضوا

وبالسيوف هبوا

لأجل شعبكم وأرض مولدكم

في هذا النداء الحارّ الموجه من إرميا، يرى الشاعر - النبي ببصيرة نفاذة أكثر من كل سياسي وكهنة أورشليم، بتعبير هاري ساكز، مخاطر الرهان على مصر لطرد النفوذ الآشوري من الساحل. كان إرميا وطوال حقبة التوتر، ثم الصراع مع الآشوريين والتي تسبَّبت بها السياسة الطائشة للكهنة في بلاد اليهودية، يدعو من دون كلل إلى التعقل، وإلى فحص عواقب هذا التمرد ومخاطره، وانتهاج سياسة أكثر تبصرًا بحقائق الأمور، والاحتراس من تقديم تقديرات سيئة بشأن حقيقة المصاعب السياسية أو العسكرية التي كانت تواجهها الإمبراطورية الآشورية. في هذه القصيدة يصور النبي - الشاعر ويحدد، المواضع التي نشب فيها القتال، داعيًا القبائل إلى الاستبسال دفاعًا عن وجودها، بعدما أصبحت الحرب بين الآشوريين والمصريين أمرًا واقعًا

= وسميت بذلك لورود حرف الهاء بدلًا من السين المعينية، كما هو الحال في العربية الحديثة، ثم بدلًا من الهمزة في الفعل المبدوء بها، مثل هقنى - أقنى - وفي القرآن هو أقنى - أي أغنى، ومثل هوفى في أوفى وهعن في أعان. وقد سقطت الهاء من الكلام: يهرعش، يرعش، أو أبدلت بالهمزة هوفى، أوفى.

ومُعلن الأهداف، الاستيلاء على الساحل بأكمله. إن مجدول ونوف وديار مُضَر، هي ديار وقبائل الساحل والنجد اليمني، وليست مدنًا مصرية. غير أن المترجمين وقعوا - مرة أخرى - ضحية الأوهام الاستشراقية حين ترجموا اسم مصريم في كل المقاطع إلى مصر، دون أن يفطنوا أن الاسم نفسه يشير إلى مصر تارة، وتارة أخرى إلى المُضريين. وهذا ما سوف يكون مُربكًا للمعاني والدلالات داخل القصيدة بشكل مثير ومأسوي. من الواضح أن إرميا يريد من اسم مصريم في بعض المقاطع، الإشارة إلى مصر البلد، وفي مقاطع أخرى يقصد مُضَر - المُضريين القبيلة التي ترسم أيضًا في صورة - مشفحت مصريم: عشائر المُضَريين للتمييز بينهما، وذلك في قوله: (جولوا - أخبروا المُضريين ومجدول) إذ من غير المنطقي أن يطلب الشاعر من القبائل أن تجول في مصر البلد العربي، بينما جيشها يدكُّ أورشليم؟ وبالطبع لا توجد مجدول ونوف في فلسطين، وهما موضعان لا وجود لهما في مصر البلد العربي؛ بل هما من مواطن قبيلة مُضَر العربية. وهذا مغزى قول الشاعر: أخبروا المُضَريين ومجدول ونوف. يصف الهمداني[1] موضع مجدول - الجدول (ولاحظ الميم اليمنية المنقرضة) على النحو التالي:

في وصف اليمامة: والجدول أعلى منها لبني قشير والفقي لآل حماد من تميم، ورمل الدبثيل وراء العارض عارض اليمامة والدبيل ما بين اليمامة ونجران.

لنلاحظ، أن النصوص الآشورية، كانت تحدثنا عن صدام مع قبيلة أد - بثيل، وأنهم نصبوا أحد شيوخها ملكًا على مضر. يقول نص النقش: إن الإمبراطور تجلات بلاسر الثالث عيّن رجلًا من قبيلة أد - بثيل زعيمًا على

(1) صفة: 274 وراجع ما كتبناه عن كاهن الجدول في الفصل الخاص ببناء أورشليم في كتابنا السابق القدس ليست أورشليم - الريس للنشر، بيروت 2010.

مُضر (مصري) مصريم מצרים . وما يؤكد هذا الاستنتاج أن بعض أسفار التوراة تسمي مصريم (مشفحت ها - مصريم משפחת־ה־מצרים) وهي تقصد عشائر المُضريين، وليس مصر البلد. وها هنا مضارب قبيلة الدبيل قرب مجدول - الجدول. لقد حدثت أكبر وأعنف المواجهات بين المصريين والآشوريين في نجران، وفي مرج الكامس (كر - كمش). وهذا المكان تخيله محققو التوراة جرابلس اللبنانية - السورية[1]، وذلك في سياق التلاعب بالوقائع التاريخية، علمًا إن اسم جرابلس لا يتضمن من المنظور الفونيطيقي، أي عنصر من مادة كر - كميش. وبكل يقين فقد خلط هؤلاء العلماء بين حملة رمسيس الأول على جرابلس، وبين معركة الفرعون نيخو. إن ما يدعى في المؤلفات التاريخية بمعركة كركميس - كركميش التي أثارت جدلًا واسعًا ولغطًا لا معنى له، يصبح نموذجًا للتلفيق، لأن كتاب التاريخ من التيار التوراتي لم يأخذوا بنظر الاعتبار وجود مسرح جغرافي مختلف كليًّا عن مسرح معركة رمسيس الأول، وأن كر تعني مرج، وأن المقصود مرج الكامس، وهذا تقليد قديم عند القبائل في نسب المعارك إلى الأماكن، وهي تسمي معاركها بأسماء مواضع بعينها، مثلًا معركة مرج عامر.

انتهت معركة مرج الكامس بمذبحة للطرفين، ولكن الذعر داخلَ قلوب جنود نيخو المصري، فولوا هاربين من الميدان، وكان بوسع نبوخذ نصر مطاردة فلولهم حتى حدود بلادهم، لولا أن نبأ وفاة والده الملك جاء ليضع حدًّا للحرب. يتضح من هذا المثال النموذجي لنمط الأخطاء في التحقيق والترجمة، أن الصراع على سواحل البحر الأحمر واليمن، كان في صلب وقائع التاريخ القديم، ولم تكن فلسطين حاضرة فيه بأية صورة من

---

(1) على الأرجح حدث هذا الخلط بسبب أوهام القراءة الاستشراقية لكتابة وجدت في نصب رمسيس في نهر الكلب.

الصور، لأن بلاد الشام بأسرها كانت تلتزم الهدوء في هذا الوقت من التاريخ - ولا تستطيع المخاطرة بتحدي الآشوريين - بينما كانت القبائل البدوية في نجد وسواحل اليمن بجبالها الوعرة، تتنقل بحرية أكبر وتتحرك تحت تأثير الدغاوى الدينية لكهنة أورشليم، لتصعيد الصراع والمراهنة على المنافسين المصريين. إن توصيف إرميا لفرعون مصر نيخو الثاني في هذه القصيدة، بالغ الدلالة: (ثم قولوا لفرعون ملك مصر، إن الزمان سوف يدور). كان إرميا[1] تواقًا إلى سياسات متعقلة، تجنب أورشليم الدمار المتتابع والمتوالي بفعل هذه الرهانات الانتهازية، ولكن آماله سرعان ما انهارت مع تصاعد هيمنة الكهنة على مقدَّرات الأمور. وسنرى كيف انتهى نهاية محزنة حين جرى اعتقاله واتهامه بالعمالة للآشوريين. وفي العام 570 ق.م نظم المصريون، بقيادة الضابط المصري حوفرا - ابريز (589 - 570 ق.م) هجومًا جديدًا على الساحل اليمني، حيث تمكنت القوات المصرية من السيطرة على وادي صيد. وهو ما اضطر الحاميات الآشورية إلى إخلاء مواضعها والانسحاب من أورشليم - بيت بوس. وعندئذٍ هبت القبائل اليمنية المناوئة لبابل، للاستيلاء على مقدرات الأمور فيها ونهبها. كان إرميا في قصائده، أكثر تحفظًا من جميع الساسة ورجال الدين من القبائل، فلم يسارع إلى تأييد أي حرب بين الآشوريين والمصريين، ولم يُبدِ أي قدر من الانحياز أو الحماسة، والتأييد لدعوات الحرب التي كانت تسمع بقوة في أورشليم بفعل تشجيع الكهنة؛ بل على العكس من ذلك، تنبأ بوقوع كوارث جديدة مع كل معركة بين الطرفين. ولكنه في المقابل، لم يتردد في توجيه الدعوات الحارة للقتال

(1) عند الإخباريين العرب الكلاسيكيين (الطبري مثلًا، وانظر جواد: 1/ 157) يتلازم اسم إرميا النبي مع اسم برخيا. وبرخيا هذا هو باروخ بن نيريا بن حسبا شقيق الكاهن سرايا Seraiah وكان من كتاب الوحي عند النبي إرميا.

دفاعًا عن النفس ضد المصريين. وهذا ما حدث بالفعل، فقد سارع نبوخذ نصر في أعقاب هذه الحملة مباشرة إلى إرسال جيش قوي لمحاصرة أورشليم. وعلى امتداد ثمانية عشر شهرًا، كانت المدينة تنهار من الجوع والخراب. في النهاية فرّ المصريون تاركين المدينة المقدسة لقدرها المحتوم، حيث الجوع والدمار. في هذا الوقت كان النبي حزقيال (وكان معاصرًا لإرميا وعاش الأحداث) يكتب مرثيته الرائعة عن سقوط صور اليمن. ولكن، وكما حدث مع سائر القصائد والمراثي الأخرى، فقد جرى وضع المرثية ضمن التاريخ الفلسطيني بدلًا من اليمني، مع أن صور اللبنانية المزعومة لم تعرف مثل هذا الحصار المدمر، وليس ثمة دليل تاريخي أو أثري واحد، يؤكد وقوع صور في يد المصريين أو الآشوريين عام 571 ق.م. لكل هذه الأسباب والأدلة، فإنني أنفي نفيًا قاطعًا أن يكون السبي البابلي حدث في فلسطين. لقد خُدع العالم بأسره، وصدق أكذوبة هي من تلفيق خيال استشراقي غربي، تقول من بين ما تقول إن السبي البابلي حدث في فلسطين وفوق أرضها، وهذا محض هراء لا أساس له، ولكنه هراء باسم العلم ومن النوع الذي يتعذر معه قبول الحقيقة، المفروضة بقوة الهيمنة على السرد التاريخي، لا بقوة الوقائع والمعطيات والحجج.

لم يحدث السبي البابلي في فلسطين، ولا عرفت أرضها ولا تاريخها مثل هذا الحدث. ومع ذلك جرى احتكار الرواية عن الضحايا بنسبتها إلى جماعة بعينها.



منحوتة أشورية من عصر نبوخذ نصر - تمثل أسرى القبائل العربية



منحوتة أشورية تظهر (القسم الأعلى) الملك يهو - قين ملك يهوذه
وهو يقدم فروض الطاعة لملك بابل شلما نصر
(القسم السفلي من المنحوتة) تظهر فيه غنائم الحملة على مملكة يهوذه
وتظهر فيها مجموعة من الإبل

مصادر ومراجع

- الطبري، تاريخ الملوك والرسل، دار المعارف، القاهرة 1963.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان 1973.
- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان - 1424 هـ - 2004 م، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة.
- وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء 1979.
- الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق العلامة محمد بن علي الأكوع، نشر سلسلة خزانة الأدب، دار الآفاق التابعة لدائرة الشؤون العامة بوزارة الثقافة العراقية، بغداد.
- الهمداني، صفة جزيرة العرب: تحقيق، محمد بن علي الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990.
- الهمداني: الإكليل - من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر - الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها، حققه وعلق عليه محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء 1990.
- نشوان بن سعيد الحميري الأندلسي، نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة دار الأقصى، عمان - الأردن 1982.
- نشوان بن سعيد الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن، المسمى خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل ابن أحمد الجرافي، دار العودة - بيروت، الطبعة الثانية 1978.

- ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب: **المحبر**، دار الآفاق الجديدة. بيروت، 2009 اعتنى بتصحيحه إيلزه ليختن شتيت.
- عبيد بن شرية الجرهمي، ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء 1979.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة 1999.
- التوراة، النص العبري תורה נביאים כתובים [illegible] .

THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW.

SCRIPTURES 1Rectory Lane. Edward. Middles H A87LF ENGLAND U.

- قوجمان: القاموس العبري - العربي، دار الجيل (مكتبة المحتسب) بيروت - عمان 1970.
- النابغة الذبياني: الديوان، شرح وتعليق الدكتور حنا ناصر الحِتّي، دار الكتاب العربي 1991، وانظر كذلك: قرص الشعر العربي من مصادره الأصلية، AFI، عبد اللطيف للمعلومات، دون تاريخ نشر.
- ابن منظور، لسان العرب، ط/ بيروت، دار صادر 1994.
- النويري: نهاية الأرب في بلوغ الأدب -30 مجلد طبعة أحمد زكي باشا - مصر 1920.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد 2، 1993.
- ابن دريد - الاشتقاق - 970-933، 1/ 1 نسخة إلكترونية.
- البكري، معجم ما استعجم - ط: بيروت.
- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت. طبعتان 1975-1984.
- جلال الملوك: نصوص حبشية قديمة، ترجمة مجدي عبد الرزاق سليمان، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن المجلس الأعلى للثقافة برقم 469 القاهرة 2003.
- المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، طبعة دار المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن، صدرت الطبعة الأولى عام 1332.
- أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي: تاريخ اليعقوبي، 1-2 دار الكتب العلمية، بيروت 1999.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1990.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام 346 للهجرة، اعتنى بها الدكتور يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان. دون تاريخ نشر.
- الثعالبي النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف سلسلة ذخائر العرب -.
- تاريخ العرب (مطول) د. فيليب حتي، د أدوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، 1961، دار الكشاف للنشر.
- ابن وحشية، الفلاحة النبطية، الترجمة المنحولة إلى ابن وحشية، تحقيق توفيق فهد، 3 أجزاء طبعة المعهد العالي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1993والطباعة والتوزيع/ بيروت ط 1949، ط 1961.
- ابن الكلبي، الأصنام، طبعة أحمد زكي باشا، القاهرة.
- هيرودوت، وصف مصر، نقله إلى العربية الدكتور محمد المبروك الدويب، ط/ جامعة قار يونس، ليبيا، 2006.
- جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، بلا سنة نشر.
- هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور عامر سليمان، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر 1979.
- مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - عمان، دار الجيل 1973.
- أحمد حسين شرف الدين، اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام - 1985.
- مطهر علي الإرياني، نقوش مسندية وتعليقات - مركز الدراسات والبحوث اليمني 1990.
- فاضل الربيعي، فلسطين المتخيلة، دار الفكر - دمشق 2009.

- فاضل الربيعي - شقيقات قريش: الزواج والطعام في الموروث العربي - الريس للنشر، بيروت 2002.
- فاضل الربيعي، أبطال بلا تاريخ - دار الفرقد، دمشق 2005.
- فاضل الربيعي، إرم ذات العماد: البحث عن الجنة - الريس للنشر، بيروت 2000.
- فاضل الربيعي، القدس ليست أورشليم، الريس للنشر، بيروت 2010.

سيرة ذاتية

- مفكر وباحث عراقي.
- ولد في بغداد 1952.
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- عضو نقابة الصحفيين العراقيين.
- عضو اتحاد الكتاب الهولنديين.
- باحث متفرغ في المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية - عمان.
- رئيس تجمع الأدباء والكتاب العراقيين.
- أقام في هولندا منذ عام 1996 وحصل على الجنسية الهولندية.
- تخصص في المثيولوجيا (علم الأساطير) ودراسات الكتاب المقدس واللغة العبرية.
- حاصل على درع الرواد والمبدعين العرب في مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب - من مؤسسات الجامعة العربية 2008.
- فاز مؤلفه (أبطال بلا تاريخ: المثيولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية) بالجائزة الأولى للإبداع الثقافي كأفضل كتاب في الدراسات الأنثروبولوجية - الإنسانية، القاهرة 2006 (مؤسسة الشاعر السعودي الراحل ناصر باشراحيل).
- في عام 2005 نشر ترجمة جديدة عن النص العبري من التوراة لقصيدة (نشيد الإنشاد) في إطار اهتمامه الدراسي بالكتاب المقدس من منظور نقدي جديد.
- شارك في مؤتمرات أدبية وفكرية عربية وعالمية منذ عام1974.
- نشر عددًا من المؤلفات في القصة والرواية والأدب والتاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي والعربي والأنثروبولوجيا:

منها:

- الشيطان والعرش (رحلة النبي سليمان إلى اليمن) بيروت، شركة رياض الريس 1996.

- إرم ذات العماد: البحث عن الجنة - بيروت، الريس للنشر 1999.
- كبش المحرقة: نموذج مجتمع القوميين العرب (طبعتان): الريس للنشر، بيروت 2000، دار الفرقد - دمشق 2006.
- شقيقات قريش (الأنساب والطعام في الموروث العربي) بيروت، الريس للنشر 2001.
- يوسف والبئر (أسطورة الوقوع في غرام الضيف) بيروت، شركة رياض الريس 2008.
- أبطال بلا تاريخ: الميثولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية(ثلاث طبعات) دمشق، دار قدمُس 2003، والفرقد 2005، 2010.
- قصة حب في أورشليم (غرام النبي سليمان بالإلهة العربية سلمى) دار الفرقد للنشر، 2005.
- الجماهيريات العنيفة ونهاية الدولة الكاريزمية - دمشق، دار الأهالي 2005.
- الخوذة والعمامة: موقف المرجعيات الدينية من الاحتلال الأميركي للعراق - دمشق، دار الفرقد 2006.
- ما بعد الاستشراق: الغزو الأميركي للعراق وعودة الكولنياليات البيضاء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2007.
- فلسطين المتخيّلة: أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان - خمسة كتب) - دمشق، دار الفكر 2007.
- الأسطورة والسياسة (بالاشتراك مع الباحث الراحل تركي علي الربيعو) منشورات دار الفكر - دمشق 2007.
- العسل والدم: من عنف الدولة إلى دولة العنف، دار الفرقد، دمشق 2008.
- من مجتمع القهوة إلى مجتمع الشاي: دولة الكانتون القبلي، دمشق، مركز الغد 2009.
- المسيح العربي، انتشار النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيرنطي - الفارسي، الريس للنشر 2008.
- القدس ليست أورشليم، مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، بيروت، الريس للنشر 2010.

| الكتاب |

أين وقع حادث السبي البابلي؟

هل حقًّا عرف تاريخ فلسطين القديم أي حملات آشورية نَجَمَ عنها سبي لليهود، كما تزعم القراءة الاستشراقية للتوراة؟

في هذا الكتاب يقدّم الدكتور فاضل الربيعي رؤية جديدة ومثيرة لحادث السبي البابلي، مستندًا إلى ثلاثة مصادر أساسية:

المصدر الأول: النص العبري من خلال إعادة ترجمة نصوصه الأصلية، وكشف نوع التزييف والتلاعب الذي قام به محقّقو ومترجمو التوراة.

المصدر الثاني: الكتب والمصادر الإخبارية العربية القديمة التي تحدثت عن السبي البابلي، بوصفه حادثًا تاريخيًا وقع في اليمن، وذلك أمر يثير الدهشة والتعجب. فالربيعي يقدّم نصوصًا للطبري وابن حبيب والمسعودي وسواهم، مرّ عليها القراء وكتّاب التاريخ مرور الكرام، ولم ينتبهوا إلى حقيقة أنها تؤكد بشكل قاطع لا يقبل التأويل، أن العرب القدماء كانوا يتحدثون عن السبي باعتباره حدثًا تاريخيًا وقع في اليمن وليس في فلسطين.

المصدر الثالث: فهو النقوش والسجلات التي تركها الآشوريون، وكلها تؤكد بشكل واضح أن الحملات التسع استهدفت القبائل العربية الوثنية واليهودية في الجزيرة واليمن.

كتاب جريء يقلب رأسًا على عقب كل النظريات الزائفة عن علاقة السبي البابلي بفلسطين.


ISBN 978-614-418-078-5

جداول Jadawel
www.jadawel.net